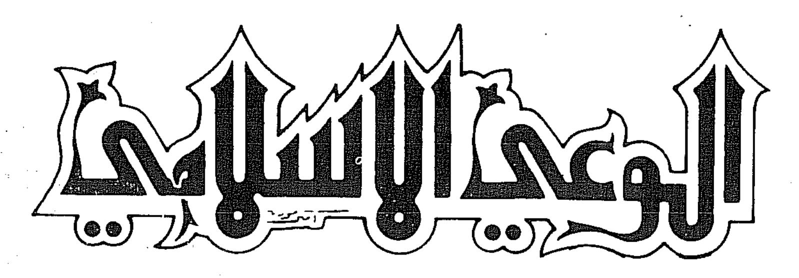

الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
مؤتمر الطب الإسلامي الأول - الكويت ربيع أول ١٤٠١هـ
1st. ISLAMIC MEDICINE CONFERENCE Kuwait



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ١٩٦ ● ربيع الثاني ١٤٠١ هـ ● فبراير ١٩٨١ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة



صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٢٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

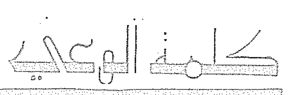
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

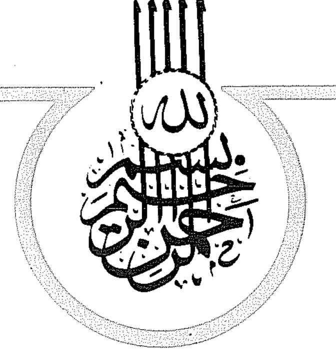
بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

صورة الغلاف

تحضير الأدوية من الأعشاب الطبيعية عند أطباء المسلمين قديما





كيف ندعو إلى الإسلام

الايمان بوجود اله خلق الخلق ودبر أمرهم عقيدة الاسلام التي يقوم عليها نظام كامل يتناول كل مظاهر حياة الانسان الأسرية ، والاجتماعية ، والدولية ، ومن ثم لا يمكن الفصل في حياة المسلم بين العقيدة الكامنة في ضميره المستقرة في قلبه ، والشريعة التي تحكم حياته .

وهذه الحقيقة قد رسمت خط سير الدعوة الاسلامية في عهد رسول الله ﷺ فكانت العقيدة والشريعة تسيران معا في تلاحم وثيق ، مما أدى الى قيام المجتمع الاسلامي الذي يشرق بكل معاني السمو والتقدم والنهوض . فقد بدأ رسول الله محمد ﷺ دعوته الى سبيل الله بتحرير الروح الانسانية من العبودية لغير الله فأنقذها من وهدة الشرك ، وطهرها من عبادة الأصنام ، وأعدها لتكاليف الحياة الرفيعة التي خطط لها الاسلام .

ومهمة الدعوة الاسلامية في عهد رسول الله ﷺ هي مهمتها في كل عصر وفي كل بيئة ، عن طريق الكلمة الطيبة السديدة ، التي تكون حياة الداعية الشخصية

ترجمة حية لها ، وبرهانا مؤيدا لمضمونها ، فلا يأمر بالبر وينسى نفسه ، ولا يقول ما لا يفعل .

ويجب أن يلاحظ الدعاة الاسلاميون أن الرسول ﷺ حين بدأ بالدعوة الى الله لم يكن في الجزيرة العربية حكومة مستقلة ، ولا أجهزة اجتماعية معينة ، ولم يكن بالعالم كله نظريات مقررة للحكم والاجتماع والاقتصاد كما هو الحال في هذا العصر .. فالعالم اليوم تحكمه نظريات اجتماعية مفصلة من صنع الناس ينشرها أصحابها ويقيمون أجهزة اعلامية لترويجها . ولذلك كان على الدعاة الاسلاميين أن يقدروا الظروف والملابسات التي تحيط بالدعوة الاسلامية ، وأن يضموا الى البدء بتكوين الفرد المسلم عقائديا وسلوكيا بيانا تفصيليا للحياة الاجتماعية كما قررها الاسلام ليتمكن بهذا البيان من الشعور بالفارق البعيد بين نظام الاسلام المحكم الذي تسعد بتطبيقه البشرية وبين تلك النظم التي تضطرب بها أوضاع الحياة في الأمم الآخذة بها ! فان ذلك يجعل المسلم الذي يتكون على هذا الأساس ينبعث انبعاثا ذاتيا الى تحقيق نظام الاسلام الأمر الذي يكسب الدعوة الاسلامية نجاحا وقدرة على تحويل النفوس الى الحق والاستعلاء بها عن الباطل .

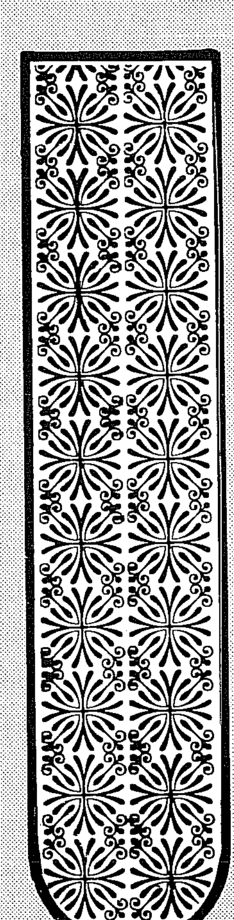
والاسلام في هذا الزمن بحاجة الى دعاة فاقهين لرسالته عاملين بها ، يحسنون عرض أفكاره ومبادئه بأسلوب يتناسب وكل قوم ، فللعمال الكادحين خطاب يناسبهم ، وللماديين المنكرين لوجود الله خطاب يناسبهم . وهكذا يخاطبون الناس على قدر عقولهم يحدوهم لذلك قول رسول الله ﷺ : (خاطبوا الناس على قدر عقولهم) .

وعليهم أن يعتمدوا في أسلوبهم الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن امتثالا لقول الله تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

احتفال الوزارة



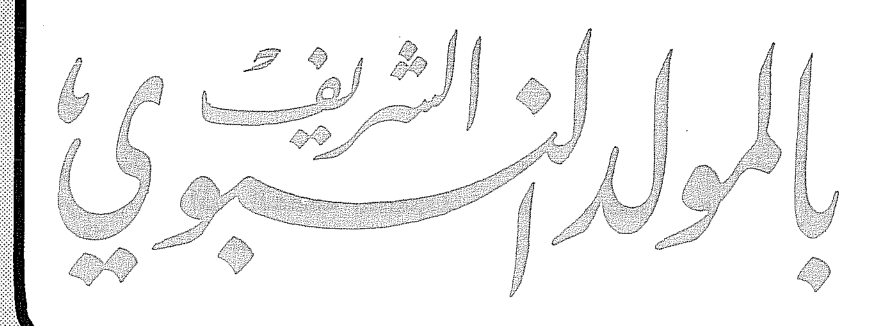
أقامت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بمسجد فاطمة بضاحية عبد الله السالم بعد صلاة العشاء احتفالا كبيرا بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف . وقد تقدم الحضور وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية يوسف جاسم الحجي ، ووكيل الوزارة والوكلاء المساعدون وكبار المسؤولين .

وقد ابتدأ الاحتفال بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ، بعد تقدمة موجزة من مقدم الحفل حول المعاني العظيمة لذكرى مولد الهدى محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم ألقى وزير الأوقاف كلمة أثنى فيها على التاريخ العطر لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال أن مولد محمد صلى الله عليه وسلم غير وجه التاريخ وكان حدا فاصلا بين الجهالة والنور ، بين الظلمة والعدل .

وتحدث عن دولة الاسلام التي أنشأها محمد صلى الله عليه وسلم ، وأثره الطيب في سائر أرجاء الدنيا معددا صفاته الخلقية ، وسيرته بين شعبه وعشيرته ، والشعوب التي دانت بالاسلام .

وفيما يلي نص كلمة معالي الوزير :



أحمد الله تبارك وتعالى الذي هدانا الى الايمان وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وأصلى وأسلم على صاحب السيرة العطرة والتاريخ الحافل بالأمجاد الخالدة سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وبعد ،

فاننا في رحاب ذكرى المولد النبوي الكريم نجتمع الليلة لنحتفل بحدث عظيم غير مجرى التاريخ حيث جاء مولد محمد صلى الله عليه وسلم حدا فاصلا بين ظلام الجاهلية ونور الاسلام .

نعم كان العالم يموج بالفتن المدمرة والعقائد الباطلة وكانت البشرية تتخبط في ظلمة الفوضى والجهل ، استبد الأقوياء بالضعفاء فسفكوا الدماء وقتلوا الأبرياء وأتوا كل منكر بل ألغوا عقولهم فتركوا عبادة الخالق وسجدوا لأصنام لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع وفي هذا الجو الفاسد قدمت العناية الالهية الى البشرية الضالة والانسانية المعذبة محمدا صلى الله عليه وسلم ثم اختاره لهم مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وبمنهج الله هدى الناس الى الطريق السوي وجمع القوى المتناثرة وألف بين القلوب المتنافرة ووضع موازين الحق والعدل ومبادىء التراحم والمؤاخاة وبذلك أسس دولة امتدت الى الصين شرقا والى الاندلس غربا تحكم بالقرآن وتعلن كلمة التوحيد « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

أيها الأخوة المؤمنون :

من حق صاحب الذكرى أن نذكر فضله الذي نشره وخلقه الكريم الذي تأثر به المجتمع وأن نذكر الرحمة التي كان باعثها والاخاء الذي

ربط به قوى الأمة والعدل الذي سهر من أجله والحلم الذي تميز به ، وكان طبيعة له ومع هذا مهما تحدثنا عن سيرته صلى الله عليه وسلم فلن نستطيع الاحاطة بجوانب عظمته لأنه كان صورة لأعلى قمة للكمال البشري .

وعلى امتداد قرون طويلة تحدث المسلمون في هذه المناسبة واستعرضوا جوانب العظمة المحمدية وأجادوا عرضها شعرا ونثرا ولكن الاقتصار على ذلك لا يمثل تكريم صاحب الذكرى فقد وافانا القرن الخامس عشر الهجري ورصيد الأحداث يزداد في حساب الأمة الاسلامية الأمر الذي يفرض على المسلمين أينما كانوا أن يحولوا الكلمات الى عمل بناء الى ايمان يحمي الأمة من الفرقة والضياع فبالايمان والعمل ننتصر على كل التحديات ونقهر الطامعين ونحرر الأرض والمقدسات في عزة واباء ، فلن يؤثر الكلام أمام عدو يستبيح الحق ولا يعرف الا منطق الحديد والنار . وماذا تصنع لغة الكلام لأرض محتلة وشعب مشرد ومقدسات سليبة ؟

أيها الأخوة المؤمنون :

مع اطلالة القرن الجديد كأني بالمسلمين بدأوا يتطلعون الى النجدة في لهفة ويتلمسون الطريق الى ساحة العزة والكرامة ، والطريق الى ذلك أن يتمسكوا بالذي أوحى الى نبيهم أن يحتكموا الى القرآن مؤمنين بأن خير تشريع ما جاء من عند الله ولقد جربوا تشريع البشر فوجدوا فيه الشر والضياع والمعاناة .

ان السير على منهج الله والحكم بما يراه الله ضرورة للحياة كلها ، ضرورة لسعادة الفرد ورقيه ، وللمجتمع لاستقراره وبقائه .

ان شريعة الله كونت أمة وأسست حضارة عاش العالم في ظلها أجيالا وقرونا يحس بسماحتها وينعم بعدلها ، ويوم أشرقت حضارة الاسلام في شرق الدنيا وغربها ، كانت أوروبا تعيش في ظلام التأخر والجهل ثم تنبهت الى هذا المد الاسلامي الزاخر بالعلم والمعرفة والمبادىء الانسانية فأرسلوا بعوثهم الى أقرب جامعة اسلامية اليهم وكانت في الأندلس ، تعلموا الطب والفلك والفلسفة والرياضيات ، تعلموا كثيرا من العلوم والمعارف على أيدي العلماء المسلمين هناك ، شهد بذلك كثير من المؤرخين والفلاسفة والمستشرقين وقرروا وهم على غير ملة الاسلام أن العلم وحده ليس هو الذي أعاد الى أوروبا الحياة بل أن مؤشرات الحضارة الاسلامية بعثت باكورة أشعتها الى الحياة

الأوروبية .

أيها المسلمون :

بالأمس كنا سادة الدنيا وأساتذة العالم ثم أصبحنا في حاضر مؤسف أليم نطلب العلم ممن تتلمذوا على أسلافنا الأماجد ، نستورد من الغرب صناعته وانتاجه ونطبق نظامه وشريعته وتعطلت فينا طاقات الانتاج وهي موفورة في قوانا البشرية والمادية ، وبذلك استطاع المستعمر بأسلوبه الشرقي والغربي أن يخطط لاضعاف الأمة المسلمة واستطاع أن يستبيح حماها ويغتصب الخيرات ويدنس المقدسات وبالغزو الفكري فرض أنظمة وأشاع مفاهيم تشكك في صلاحية الاسلام وعمد المبشرون الى الدس والتزوير في ثقافتنا وتراثنا ، والطعن في قضايا الاسلام والمسلمين .

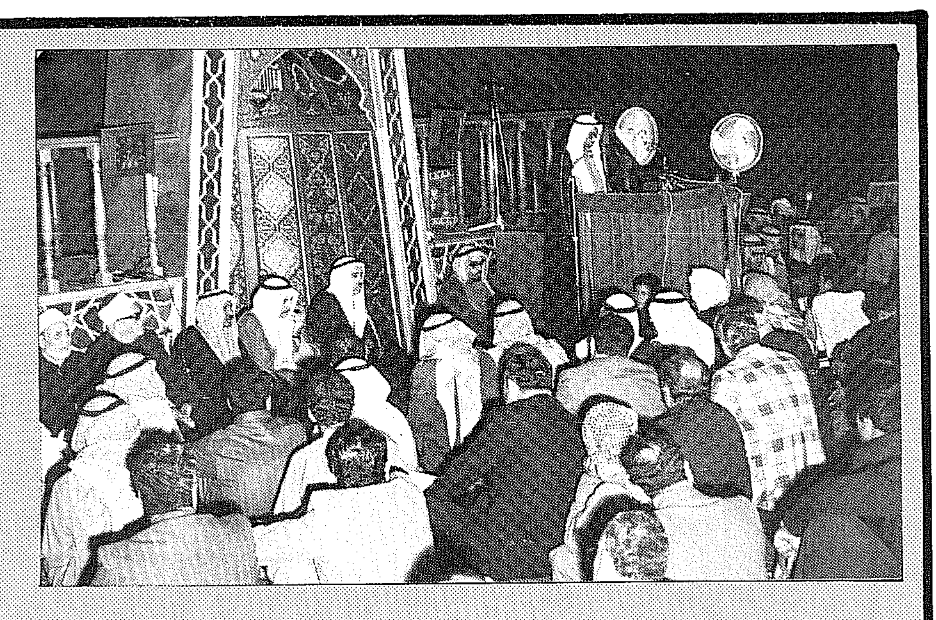
لقد أوقد أعداء المسلمين نار الفتنة بين صفوف الأمة حتى تفرقت الى شيع وأحزاب متناحرة وبقي على المسلمين أن يتنبهوا الى ما يراد بهم من خطر ودمار وأن يفتحوا الآذان والقلوب الى نداء القرآن « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

أيها الأخوة :

لا ينبغي أن نقف أمام الأحداث وقسوتها منكسي الرؤوس ، فنحن والحمد لله من سلالة أبطال لم يعرفوا الشعور باليأس والقلق وديننا يأبى الذلة والاستكانة وينشد العزة لاتباعه في قوة وايمان ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

أيها الأخوة المؤمنون :

مما يبشر بالخير لتصحيح مسيرة الأمة على درب الاسلام انعقاد المؤتمر الاسلامي على مستوى الزعماء والقادة في العالم الاسلامي في مكة المكرمة وفي رحاب حرم الله الآمن ، والى هذا التجمع الاسلامي تتجه القلوب ويتجدد الأمل في بدء مسيرة العودة الى منهج الله والحكم بما أنزل الله ، والعمل على وحدة الصف وجمع الكلمة وتناسى الخلافات وكل ترابط وتسامح واخاء وبصدق النوايا وصحة العزائم ننتزع من قلب الليل المظلم صباح فجر جديد ، كما علمنا صاحب الذكرى أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر



يسرا .

أسأل الله من فضله أن يردنا الى ديننا ردا جميلا وأن يهدينا الى الصراط المستقيم ، اللهم أعنا على أنفسنا وانصرنا على أعدائنا ووحد صفوفنا واجمع على الحق كلمتنا وانصر الاسلام وأعز المسلمين .

وفي ختام كلمتي أتقدم بالتحية والتهنئة في هذه المناسبة المباركة الى حضرة صاحب السمو أمير البلاد والى سمو ولي عهده ، والى الشعب الكويتي الكريم والى العالم الاسلامي في مشارق الأرض ومغاربها وكل عام وانتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله ،

● ثم تحدث الدكتور عبد الله محمد تاليا حديث الوزير ومعددا ايجابيات الاسلام ومفهرسا ماهيته الدنيوية حيث استشهد بآراء بعض المستشرقين الأجانب ممن ناقشوا الاسلام بتعقل وتدبر وقد كان في ذلك عدة أطروحات علمية قدمت لجامعات غربية شهدت بسمو الاسلام وضرورته كبناء حضارة انسانية قويمة لا غنى عنها على مر التاريخ .. وفي كلمته وضح ماهية الاسلام بطابعها العملي في الدنيا والآخرة وكيف استطاع هذا الدين أن يثبت

معارف المساواة والحقوق بين الناس وأن يؤسس في نفوسهم حضارة شاملة شامخة بكل مفاهيمها .

● أما الدكتور أحمد كمال ابو المجد فقد ركز حديثه حول الجوانب العلمية للاسلام ومتطلبات التبصير بها للغير وحصر ذلك بثلاث نقاط تتلخص في سرد قصة النبوة وقضايا الجدل

المتطرف ونزعة التعبد قبل بزوغ فجر الاسلام لينبذ ذلك كله ثم ما رافق ذلك بعد انتشار الاسلام وبهذا كان الاسلام وسطا بين التطرف والتدني ثم أسلوب الدعوة والدعاة ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيث لم يدع الناس الا بالحسنى والرفق والتبسيط ولم يكن فظا غليظ القلب ولا عجب في ذلك وقد رباه الله وأحكم تربيته .

● وأما كلمة الرائد الشيخ محمد الحشاش عن القوات المسلحة فقد تركزت حول مبادىء الاسلام وقصة بعض الصحابة ممن عاشوا وماتوا على حب الاستشهاد في سبيل الله وضرب مثلا بمصعب بن عمير الصحابي الجليل الذي فضل أن يموت شهيدا على أن يحيا مشركا ضالا رغم ثروة اسرته ومكانة جاهه فحمل راية الاسلام من يد ليد حتى سقط شهيدا وكفن ببردته البسيطة .

● في الختام ألقى فضيلة الشيخ محمود عيد كلمة استوقف فيها تاريخ المسلمين مقارنا بالحاضر وما يرافقه من ضياع وتشتت ثم طالب المسلمين بالتدبر والعبرة من كل ذلك لا سيما فيما يعانيه المسلمون في أصقاع العالم وما ترزح تحته القدس من احتلال غاصب .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الفكري والأدبي الينا :

- **كتابة العناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة أو بحث تسهيلا لارسال المكافأة .**
- **موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة أشهر .**
- **الانتاج المرسل لا يقل عن ٥ صفحات فولسكاب مكتوبا بالآلة الكاتبة .**
- **ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .**
- **لا تقبل البحوث المسلسلة أو المقالات المجزأة .**



للاستاذ/ محمد كمال الدين

كان مبدأ التضامن من أهم المبادىء التي قام عليها المجتمع الاسلامي في كل عصوره ، وبفضله احتفظ المسلمون بقدرتهم على البقاء والتقدم ، وبنوا لأنفسهم مجدا مؤثلا ما زال يحتفظ باعجاب العالم وانبهاره ، وكان المسلمون في الشدائد باستمرار ، قوة ويدا واحدة ، وبفضل تضامنهم وتعاونهم كان لهم النصر حليفا ، والوحدة رائدا ومتجها .

والتعاون كمبدأ إسلامي يوجد في مظاهر كثيرة ، يوجد بين المرء ونفسه ، ويوجد بين المرء وزملائه في العمل أو السكن ، ويوجد بين المرء ومجتمعه ، ثم هو يوجد بين جماعة وجماعة ، أو بين شعب وشعب ، ويقوم دليلا حيا على اكتمال « الجمع » وسلامته .

ويظهر التعاون أو التضامن أول ما يظهر بين المرء ونفسه ، متمثلا في

أعضائه ، فما لم تكتمل أعضاء الشخص ، وتعمل مع بعضها البعض في توافق وانسجام ، اضمحل هذا الشخص وضعف ، ونتصور هذا إذا امتنعت حاسة في المرء عن العمل كالسمع أو البصر أو اللمس ، فاننا نرى الجسم ككل يفقد عنصرا من عناصره ، أو بالأحرى يفقد سببا من أسباب تضامنه واكتماله ، وفي داخل الانسان تتحرك أجهزة كثيرة يربط بينها تعاون وثيق ، فلكل من القلب والمعدة والكبد وغيرها وظائف محددة لو تجاوزها أو قصر عنها لكانت لها آثارها الضارة على الجسم كله .

كذلك يظهر التعاون بين المرء وغيره من أفراد المجتمع ، ولنأخذ مثلا لذلك برغيف العيش ، فانه يصل إلينا وقد تعاونت في صنعه وإعداده بالشكل النهائي عدة أعمال – لكل عمل متخصصون – ولا يستطيع فرد واحد القيام بها جميعا ، إذ يشترك فيها الزارع والبائع والطاحن والخابز والتاجر ولا سبيل إلى عمله إلا بالتضافر بين جميع هذه العناصر ، وذلك بتوزيع العمل وتنويع الانتاج ، وفي النهاية نجد صورة مكتملة نتيجة لهذا التعاون الجماعي ، وما يقال عن الخبز يمكن قوله عن أي مظهر اجتماعي آخر ، ولا بد لهذا التعاون أن يأخذ صورة خيرة تسهم في بناء المجتمع السليم القوي ، والا فسد وضاع أثره في خضم الحياة .

ولهذا كله جاء القرآن الكريم بأعظم الأمثلة والنماذج التي تدل على أثر التضامن والتعاون في حياة الفرد والجماعة ، فيقول تعالى : **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا)** . « آل عمران / ١٠٣ » ويقول سبحانه وتعالى : **(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)** « آل عمران / ١٠٤ ، ١٠٥ » ، ويقول أيضا : **(وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)** « الانفال / ٤٦ » ، ويقول جل شأنه : **(وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)** « المؤمنون / ٥٢ » ، **(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)** « الحجرات / ١٣ » ، **(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)** « المائدة / ٢ » **(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)** « الصف / ٤ » **(إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم)** « الحجرات / ١٠ » .

هذه الآيات الكريمة – وغيرها كثير – تثبت أن التعاون والتضامن بين المسلمين هو من دواعي قوتهم ،

وأن الله خلقهم ليتعاونوا ويتعارفوا ويطيعوا الله ورسوله ، ويكونوا يدا على من سواهم ، فبهذا يقوم صرح الأخوة الاسلامية وبنيان مجتمعهم المسلم الصحيح .

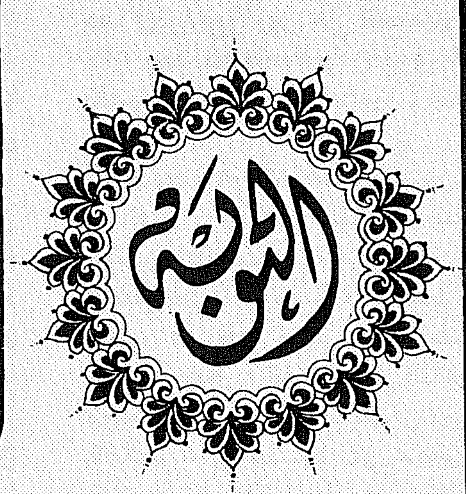
وفي هذا الاطار الكريم تقوم سنة الرسول الأعظم ، فيقول عليه الصلاة والسلام : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » رواه مسلم . ويروى أن الصحابة كانوا في أول امرهم إذا نزلوا منزلا في أثناء سفرهم توزعوا من الشعاب والأودية ، فقال لهم الرسول : « إن تفرقكم هذا من الشيطان » رواه ابو داود . فصاروا لا ينزلون بعد هذا منزلا إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى ليقال فيهم : لو بسط عليهم ثوب لعمهم ، وفي يوم سمع الرسول اثنين من عامة المسلمين يناديان بنداء العصبية فيقول أحدهما : يا للأنصار ، ويقول الثاني : يا للمهاجرين ، فيغضب الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك ويقول : « أبدعوى الجاهلية تدعون وأنا بين أظهركم ؟ دعوها فانها فتنة » رواه الترمذي ويقول الرسول ايضا « من ذب عن عرض أخيه كان حقا على الله أن يقيه من النار » رواه احمد والطبراني ، ويقول : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » رواه الشيخان ، وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام : « المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » رواه البخاري ، ولذلك فان نصيحة رسول الله للمسلمين « لا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » رواه ابو داود وابن ماجه ، من اغلى التوجيهات الاسلامية في سبيل أخوة متضامنة تبنى ولا تهدم ، تقوم ولا تعوج ، تصلح ولا تفسد ، تقاوم الفتن التي تقوم بين طوائف المسلمين ، تحارب البدع التي يدسها عليهم أعداؤهم ، تنقى عقائدهم من كل دخيل ، تحفظ عليهم كلمتهم ، توحد صفهم ، تؤآخي بينهم . إن الاسلام يحارب الفرقة والخلاف ، ويجعل من الحرية دعوة للحب والاخلاص لا سبيلا إلى البغض والاختلاف ، ولنأخذ من التاريخ الاسلامي بعض النماذج المشرقة في التضامن والتعاون ، وأثرهما في تقوية أواصر الود والأخوة بين المسلمين ، وكلنا يتذكر صحبة أبي بكر الصديق للرسول يوم الهجرة ، وكان الأعداء يتربصون به الدوائر ، فكان أبو بكر يمشي مرة عن يمين الرسول وفجأة ينتقل إلى يساره ، ثم فجأة يسير أمامه أو من خلفه ، فيسأله الرسول عن ذلك ، فيقول أبو بكر : « أخاف الرصد فأمشي أمامك ، ثم أخاف الطلب فأمشي خلفك ، ثم أخاف أن يأتي عدو

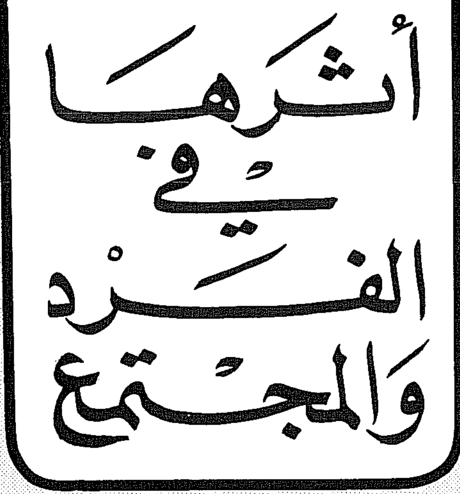
من يمينك أو شمالك فأمشي عن يمينك أو شمالك » فيرفع الرسول بصره إلى السماء ، وينادي : « اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة » فنودى أن قد استجيب لك .

ويروى عن ابن عباس أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه رجل ، فسلم عليه ، ثم جلس ، فقال له ابن عباس : « يا فلان أراك مكتئبا حزينا » ، قال : نعم يا ابن عم رسول الله ، فان لفلان على حق ولاء ، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه » ، قال ابن عباس : أفلا أكلمه فيك ؟ قال : إن أحببت ، قال فخرج ابن عباس من المسجد فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ؟ – أي من الاعتكاف – قال : لا ، ولكني سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب ، فدمعت عيناه ، وهو يقول : « من مشى في حاجة أخيه ، وبلغ فيها ، كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين » . رواه البخاري .

ويذكر التاريخ أن المسلمين حين تضامنوا ، وتعاونوا ، وتكاتفوا أمام حصار قريش الظالم ، ثلاث سنوات ، حتى تحطم على صخرة إيمانهم ، وخرجوا من الحصار منتصرين ، وبفضل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وبها وسع الأنصار المهاجرين في ديارهم ، وأموالهم ، حتى أثنى عليهم الله جل جلاله بقوله : **(والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)** الحشر / ٩ » .

وتحت لواء التضامن والتعاون بين المسلمين ، استطاع القائد « صلاح الدين الأيوبي » أن ينتصر على الصليبيين في موقعة « حطين » ، ويطهر فلسطين منهم ، واستطاع القائد « قطز » القضاء على التتار في موقعة « عين جالوت » بعد أن دوخوا العالم ، وقضوا على معالم الحضارة ، بالقضاء على خلافة العباسيين ، وفي تاريخنا المعاصر نتذكر العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ ، الموافق السادس من أكتوبر ١٩٧٣) يوم تضامن المسلمون في سيناء والجولان ، فأثبتوا أنهم عند الملمات يد واحدة ، وقوة ضاربة ، يخشى العدو بأسها ، وهذا ما كان ، وارتفعت راية الاسلام مرة أخرى ، عزيزة منتصرة ، وما زالت المعارك تنتظر حتى يتم لهم النصر بتطهير قدسهم الشريف ، وأرضهم السليبة ، ويعود لفلسطين أهلها وأرضها ، وشرط الاسلام عليهم ، أن يحافظوا على وحدة كلمتهم ، وتضامن صفهم ، وتضافر جهودهم ، وحينئذ سوف يصدق فيهم قول ربهم عز وجل : **(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)** « غافر / ٥١ » وكذلك قول رسولهم الكريم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه البيهقي ، وصدق الله ورسوله .





للدكتور : وهبة الزحيلي

أولا : الباعث على التوبة :

الانسان في أصل فطرته ـ وان كان ميالا الى الشر واقتراف الذنوب والمعاصي لكنه كثيرا ما يدرك خطورة انحرافه وشذوذ سلوكه ، فيبادر الى تصحيح مسيرته ارضاء لشعوره الداخلي واحساسا بمرارة الألم والضيق الذي يعقب الفعل الجانح واستجابة لنداء الضمير وندما على التورط في المعصية ، وتأثرا بالوازع الديني الفطري المستكن في النفس الانسانية ، وطمعا في نيل العفو من الله تعالى ، وخوفا من عقاب السلطة الحاكمة في عالم الدنيا .

والتخلص من الخطيئة بالتوبة دليل على قوة الارادة وبعد النظر وسعة الأفق العقلي . وذلك بسبب قوة تأثير المغريات والشهوات الباعثة على الانحراف ، لا سيما اذا اعتادها الانسان والعادة طبيعة ثانية ، وفي نزع الناس عن عاداتهم حرج عظيم ، ولأن الانسان عادة يتعجل الأمور ، وقلما ينتظر المؤجل ، الا بشيء من الأناة والصبر والفهم والتخطيط ، لذا لفت القرآن الكريم نظر الناس لطبائعهم فقال تعالى : **(كلا بل تحبون العاجلة . وتذرون الآخرة)** « القيامة / ٢٠ ، ٢١ » **(بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى)** « الأعلى / ١٦ ، ١٧ » .

ثانيا : تعريف التوبة :

التوبة ، عبارة عن : ندم يورث عزما وقصدا على عدم العود أو تكرار الخطيئة وتتحقق بأن يرجع الخاطىء عن الفعل القبيح شرعا وعقلا ، أو عن الاخلال بالواجب في الحال ، ويندم على ما مضى ، ويعزم على تركه في المستقبل قال عليه الصلاة والسلام : (الندم توبة) رواه ابن ماجه والحاكم وابن حبان

والحقيقة أن التوبة لغة : هي الرجوع : ولا يلزم أن تكون عن ذنب . وشرعا : هي الرجوع عن التعويج الى سنن الطريق المستقيم . وأما الندم والعزم فهما من مقومات الرجوع الصحيح الذي يعد اقلاعا صادقا عن المعاصي . ولا بد أن يكون الباعث على الرجوع مع الندم والعزم دينيا أو شخصيا بحتا مع القدرة والارادة ، فلو رجع لسبب آخر من ضعف بدن أو غرامة مالية أو تهديد بحبس أو اكراه من الدولة لم تكن التوبة محققة نتائجها الدينية المرجوة وأخصها تكفير الخطايا في عالم الآخرة ، وان حققت نتيجة مدنية تهتم السلطة بها ألا وهو قمع الاجرام وتوفير الأمن والطمأنينة والاستقرار .

ثالثا : شروط التوبة :

اشترط العلماء لصحة التوبة شروطا معينة تختلف بحسب كون المعصية بين الانسان وبين الله تعالى ، أو تتعلق بحقوق الناس . فان كانت المعصية تمس أمرا بين الانسان وربه ولا تتعلق بحق شخصي لانسان آخر أي في حقوق الله تعالى فلها ثلاثة شروط :

أحدها ــ الاقلاع عن المعصية في الحال .

ثانيها ــ الندم على المعصية والمخالفة .

ثالثها ــ العزم على ألا يعود الى مثل تلك المعصية أبدا في المستقبل .

فالتوبة ذات أركان ثلاثة : الاقلاع ، والندم ، والعزم ؛ فان فقدت أحد هذه الأركان الثلاثة لم تصح التوبة . الا أن من عجز عن العزم والاقلاع كتوبة الأعمى عن النظر الى المحرم ، وتوبة المجبوب عن الزنا ، فتوبته مجرد الندم ، لأن « الميسور ــ لا يسقط بالمعسور » . أي لا يسقط المقدور عليه بالمعجوز عنه ، كما لا يسقط ما قدر عليه من أركان الصلاة مثلا بما عجز عنه ، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه ما استطعتم) رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة . اي اذا امرتكم بمأمور فأتوا من ذلك المأمور ما استطعتموه أو ما قدرتم عليه .

وان كانت المعصية تتعلق بحق شخصي لانسان ، فشروطها أربعة وهي الثلاثة السابقة ، ويضاف اليها الخروج من المظالم بأن يبرأ العاصي من حق صاحبها ، فان كانت المعصية اخذ مال أو نحوه بدون حق رده اليه وان كان الفعل قذفا ونحوه مكن المقذوف منه أو طلب عفوه . وان كان غيبة استحله منها وطلب مسامحته عن طعنه فيه في غيبته .

وأكمل أنواع التوبة ما حدده علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وذلك فيما روى جابر أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم إني استغفرك وأتوب اليك ، وكبر ، فلما فرغ من صلاته قال له علي كرم الله وجهه : ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين ، وتوبتك تحتاج الى التوبة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما التوبة ؟ قال « اسم يقع على ستة معان : على الماضي من

الذنوب : الندامة ، ولتضييع الفرائض : الاعادة ، ورد المظالم ، واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية ، واذاقة النفس مرارة الطاعة كما أنقتها حلاوة المعصية ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته » من تفسير الامام الالوسي

والتوبة المستوفية كامل شرائطها هي التوبة النصوح الصادقة المشار اليها في قوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا**) « التحريم / ٨ » . (**وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى**) « طه / ٨٢ » .

واختلاف العلماء في تحديد هذه التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولا ، مجرد اختلاف ظاهري في العبارة ، من هذه الأقوال ما قال القرطبي : التوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء : الاستغفار باللسان ، والاقلاع بالأبدان ، واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيىء الخلان .

رابعا : حكم التوبة شرعا :

أ ـ وجوب التوبة فورا : اتفقت مصادر الشريعة في القرآن والسنة واجماع الأمة على وجوب المبادرة الى التوبة فور وقوع الخطيئة ، فمن أخرها زمانا صار عاصيا بتأخيرها وذلك حتى يتحقق المقصود الأكمل منها بالتخلص من الأوزار ، والظفر بمغفرة الله تعالى في الآخرة والرضا عن الانسان في الدنيا ولتطهير المجتمع من الجرائم ، ومنع الاسترسال في الانحراف كيلا تتجدد ظروف العود أو التكرار مرة أخرى في المستقبل ، وغير ذلك من وجوه المصلحة المترتبة على التوبة التي يمكن فهمها من الحث المتكرر عليها في القرآن والأحاديث النبوية :

فمن آيات القرآن الكريم قوله تعالى : (**وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**) « النور / ٣١ » . (**وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا**) « هود / ٣ » (**يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا**) « التحريم / ٨ » (**انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب**) « النساء / ١٧ » (**فان يتوبوا يك خيرا لهم**) « التوبة / ٧٤ » (**ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما**) « النساء / ١١٠ » .

ومن الأحاديث النبوية المؤكدة للقرآن أو المبينة الموضحة لبعض آحكامه قوله صلى الله عليه وسلم : (والله اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) البخاري (يا أيها الناس توبوا الى الله ، واستغفروه فاني أتوب في اليوم مائة مرة) مسلم . وقد استنبط العلماء من هذين الحديثين أنه يستحب للتائب اذا ذكر ذنبه الذي تاب منه أن يجدد الندم على فعله ، والعزم على ترك العود الى مثله ، بل ولا يلزم أن تكون التوبة عن ذنب كما قلنا سابقا ، فلا يعني الحديثان اذن ان النبي صلى الله عليه وسلم يذنب في كل يوم سبعين مرة أو مائة مرة ، بل معناه تجديد التوبة وتكريرها عن ذنب واحد صغير واستعظام التقصير أو التفريط ، أو ارتكاب أي خطيئة مهما صغرت ، تشريعا وتعليما للأمة وارشادا

للناس وفتحا لباب التوبة للامة ، كل على قدر منزلته ، وعلو رتبته ، ومدى مسئوليته العامة أو الخاصة . أما النبي فقد تاب الله عليه من أي شيء .

ومن الأحاديث المرغبة في التوبة أيضا : (لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره ، وقد أضله في أرض فلاة) الشيخان .

ب ـ ما تجب التوبة عنه ووقت قبولها : تجب التوبة من جميع الذنوب أو المعاصي ، فان تاب المرء من بعضها صحت توبته عند أهل السنة من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي .

والمقصود بالذنب : هو كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى في ترك أو فعل . ومما يدل على جواز التوبة عن أي مخالفة لأحكام الاسلام قوله تعالى : **(انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة)** « النساء / ١٧ » فانه يعم الكفر وسائر المعاصي ، فكل من عصى ربه ، فهو جاهل حتى ينزع أو يقلع عن معصيته ، قال قتادة : أجمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أن كل معصية فهي بجهالة عمدا كانت أو جهلا .

وايجاب التوبة على الفور هو الأصل المبدئي العام ، ومع ذلك يمكن قبول التوبة طوال حياة الانسان تفضلا من الله ورحمة ، وتيسيرا وسماحة ، وفتحا لباب الامل . وابعادا لليأس والقنوط عن النفس ، اذ (كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون) حديث رواه الترمذي وغيره . ويرشد لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : (ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر) رواه احمد والترمذي . أي ما لم تبلغ روحه الحلقوم ، وفسر عكرمة قوله تعالى : **(ثم يتوبون من قريب)** من الآية ١٧ من سورة النساء بأن الدنيا كلها قريب . وقال الضحاك : كل ما كان قبل الموت فهو قريب وفي حديث آخر : (ما من عبد مؤمن يتوب قبل الموت بشهر الا قبل الله منه أدنى من ذلك ، وقبل موته بيوم وساعة ، يعلم الله منه التوبة والاخلاص اليه ، الا قبل منه) رواه ابن مردويه .

قال العلماء : انما صحت التوبة قبل الموت ولو بيوم ، لأن الرجاء باصلاح الانسان باق ، ويصح منه الندم والعزم على ترك الفعل القبيح . أما من صار في حال اليأس من الحياة ، كفرعون الذي آمن حينما صار في غمرة الماء والغرق ، فلا تنفعه التوبة ، أو اظهار الايمان في ذلك الوقت ، لأنها حال زوال التكليف الشرعي ، قال تعالى عن قصة فرعون : **(وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين)** يونس / ٩٠ ، ٩١ . ويؤكد ذلك آية أخرى في موضوعها وهي : **(وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما)** النساء / ١٨ .

دلت الآيتان على عدم قبول التوبة حال اليأس من الحياة ، وهو رأي ابن عباس وابن زيد وجمهور المفسرين .

وقال الشيخ محمد عبده : المراد بالزمن القريب : الوقت الذي تسكن فيه ثورة الشهوة النفسية ، أو تنكسر به سورة الغضب ، ويثوب الى فاعل السيئة حلمه ، ويرجع اليه دينه وعقله . فالظاهر من آية (**من قريب**) أنها بينت الوقت الذي تقبل فيه التوبة من كل مذنب حتما . وأما الآية التالية لها : (**وليست التوبة**) فانها بينت الوقت الذي لا تقبل فيه توبة مذنب قط ، وما بين الوقتين مسكوت عنه ، وهو محل الرجاء والخوف ، فكلما قرب وقت التوبة من وقت اقتراف الذنب ، كان الرجاء أقوى ، وكلما بعد الوقت بالاصرار وعدم المبالاة والتسويف كان الخوف من عدم القبول هو الأرجح .

جـ ـ الوعد المضمون الحصول بقبول التوبة : وعد الله سبحانه وتعالى المغفرة لمن اجتنب الذنوب الكبائر ، فقال : (**ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم**) النساء / ٣١ . أي اذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب ، وأدخلناكم الجنة ، جزاء على الامتناع عن الكبائر ، والصبر عنها ، والحث على الدوام والبقاء على طريق الاستقامة . فهذا اخبار من الله سبحانه ، وهو الصادق في وعده بأنه يقبل التوبة عن العاصين من عباده . ومثله قوله تعالى : (**ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده**) التوبة / ١٠٤ . وقوله (**وإني لغفار لمن تاب**) طه / ٨٢ .

قال القرطبي : فاخباره سبحانه وتعالى عن أشياء أوجبها على نفسه يقتضي وجوب تلك الأشياء . والعقيدة : أنه لا يجب عليه شيء عقلا ، فأما السمع فظاهره قبول توبة التائب والخلاصة : أن الآيات تتضمن وعدا من الله ، ولا خلف في وعده أنه يقبل التوبة اذا كانت بشروطها المصححة لها ، وهي الأربعة السابق ذكرها .

وأما العقل فلا يوجب قبول التوبة على الله خلافا للمعتزلة ، لأن من شرط الموجب أن يكون أعلى رتبة من الموجب عليه والحق سبحانه خالق الخلق ، ومالكهم والمكلف لهم ، فلا يصح أن يوصف بوجوب شيء عليه تعالى عن ذلك .

د ـ المشيئة الالهية وحرية الاختيار في مغفرة الذنوب : قد يعفو الله عن السيئات صغيرها وكبيرها من غير اشتراط شيء كالتوبة للكبائر واجتناب الصغائر . لقوله تعالى : (**وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون**) الشورى / ٢٥ .

أي يقبل الله التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي مطلقا سواء الصغائر والكبائر لمن يشاء ومشيئة الله موافقة لحكمته ، وجارية على مقتضى سننه .

وجاءت آية أخرى تستثني الشرك بالله مما يغفره الله تعالى ويراد بالشرك مطلق الكفر الشامل لكفر اليهود وغيرهم . وذلك لأنه تتولد منه سائر الرذائل التي تهدم الأفراد والجماعات قال عز وجل : **(ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)** النساء / ٤٨ . أي أن مغفرة المعاصي لا لكل الناس ، ولكن لمن يشاء الله من عباده الموفقين للايمان والتوبة والعمل الصالح . **(إن الحسنات يذهبن السيئات)** هود / ١١٤ **(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا)** الزمر / ٥٣ .

أي أن رأى جماعة من العلماء قيدوا المغفرة في هذه الآيات بشرط التوبة ، حتى لا يفهم من القرآن الاغراء بالمعصية والجرأة عليها . والحقيقة أن الآية فوق ذلك ، فهي تقارن بين الشرك وغيره ، فالشرك معاقب عليه حتما لافساده النفوس البشرية وأما ما عداه فمغفرته ممكنة حسب المشيئة الالهية ، لأنه لا يصل إلى درجة الشرك في إفساد النفس .

والكلمة الأخيرة في قضية تكفير السيئات وعدم المؤاخذة عليها في الآخرة هي أنها تتعلق بمقاصد النفس وقوة الايمان وسلطانه في القلب . وهذا رأي الغزالي وتبعه الأستاذ الامام محمد عبده ، فمن صح إيمانه واتجه قصده وارادته إلى كف النفس عن المعاصي استحق المغفرة والرضوان .

وأما الاضرار بحقوق الناس المالية والأدبية فهو يعتبر كالشرك بالله لا يقبل المغفرة ما لم يسقط صاحبه حقه الشخصي ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « الدواوين عند الله ثلاثة : ديوان لا يعبأ الله به شيئا ، وديوان لا يترك الله منه شيئا ، وديوان لا يغفره الله ، فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله ، قال الله عز وجل : **(إن الله لا يغفر أن يشرك به)** النساء/١١٦ وقال : **(إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة)** المائدة/٧٢ وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله من صوم يوم تركه ، أو صلاة ، فان الله يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء . وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فظلم العباد بعضهم بعضا ، (القصاص لا محالة) رواه احمد والطبراني والحاكم .

خامسا : التوبة والعقوبة :

أ ـ نوعا الجزاء أو العقوبة في الاسلام : من المعلوم أن الشريعة الاسلامية تقرر نوعين من العقاب على الجرائم : وهما عقاب دنيوي وعقاب أخروي . فالعقاب الدنيوي : هو الذي تطبقه السلطة الزمنية الحاكمة في الدنيا والعقاب الأخروي : هو الذي يوقعه الله تعالى على العاصي في عالم الآخرة كالتعذيب في النار ونحوه ، والجنايات الموجبة للعقوبة الدنيوية المحددة ثلاثة عشر هي : القتل ، والجرح ، والزنا ، والقذف ، وشرب الخمر ، والسرقة والبغي ، والحرابة (قطع

الطريق) ، والردة : والزندقة ، وسب الله ، وسب الانبياء والملائكة ، وعمل السحر ، وترك الصلاة والصيام .

والسبب في تنوع العقاب في الاسلام هو الحماية الفعلية للأنظمة والأخلاق والفضائل وقمع الرذائل والقضاء عليها . فمن أفلت من عقاب الحاكم الزمني غفلة منه ، أو تحايلا عليه أو لعدم توفر وسائل الاثبات المطلوبة ، أو لم يكن لجريمته عقاب مقرر في القوانين المطبقة كالكذب وخلف الوعد والحقد والحسد والغيبة والنميمة ونحوها ، عوقب على مخالفاته ، في عالم الآخرة بين يدي أحكم الحاكمين الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

كما أن الجزاء الأخروي يمتاز بمكافاة الصالحين على فعل الخير تشجيعا للفضيلة وحثا على الاستقامة وصلاح الاعمال في الدنيا ، والتوبة النصوح قد تساعد على تطبيق العقوبة في الدنيا بالاقرار بالجريمة أمام القاضي ، وقد تسقط الجزاء الأخروي فتساهم في إصلاح المجرم ، وانقاذه من الزلات والأخطاء التي ارتكبها ، وتجعله في عداد الصالحين ، فيتحقق تلقائيا أو بصفة ذاتية الهدف الجوهري من تشريع العقوبات الزاجرة .

ب ـ الهدف من العقوبة : يلتقي الفقه الاسلامي كأساس عام مع أفضل المبادىء والنظم التي توصلت إليها المدرستان التقليدية والوضعية لتحديد أساس حق العقاب ووظائف العقوبة قانونا .

ففي مواجهة المدرسة التقليدية التي تقيم حق العقاب على أساس منفعة المصالح الاجتماعية عن طريق المنع أو الوقاية في المستقبل ، نرى فقهاءنا يقررون أن اساس أو مناط العقوبات المقررة شرعا : هو مصلحة الناس العامة وسعادتهم فكل ما يحقق مصالح البشرية فهو مشروع مطلوب لأن المقصود الأصلي من مشروعية الحدود والتعزيرات هو زجر الناس وردعهم عن ارتكاب المحظورات وترك المأمورات دفعا للفساد في الأرض ومنعا من إلحاق الضرر بالأفراد والمجتمعات .
قال ابن عابدين : إن مدار الشريعة بعد قواعد الايمان على حسم مواد الفساد لبقاء العالم .

ومن حرص الشريعة على تحقيق المصلحة في العقاب أنها تمنع كل الوسائل التي تؤدي إلى الاجرام كتناول المسكرات والمخدرات ، بل واعتبرتها جرائم في ذاتها وتطبيقات مبدأ « سد الذرائع » تؤكد ذلك ، فالفاحشة مثلا حرام ، والنظر الى عورة الأجنبية حرام ، لأنها تؤدي الى الفاحشة .

ثم إنه في مواجهة المدرسة التقليدية الجديدة التي تقول : إن أساس حق العقاب هو العدالة المطلقة مجردة عن فكرة المنفعة ، يقرر فقهاؤنا ضرورة وجود تناسب بين الجريمة وعقوبة التعزير . ولكن دون فصل لمبدأ العدالة عن مراعاة المصلحة .
وانما يستهدف العقاب تحقيق العدالة وحماية المصالح الاجتماعية الثابتة .

وفي مواجهة المدرسة الوضعية التي تتفق مع المدرسة التقليدية من حيث

ارتكازها على المبدأ النفعي ، وتطالب بالعناية بشخص المجرم لتقدير درجة خطورته ومدى قابليته للاصلاح ، نرى فقهاءنا يقررون ذلك صراحة عند تقدير القاضي للعقوبات التعزيرية لاكثر الجرائم الواقعة وذلك على قدر الجناية وعلى قدر مراتب الجاني . كما ان فقهاءنا يتميزون اساسا سواء في الحدود والتعزيرات بفتح باب التوبة عن المخالفات ، ليبادر الجاني باصلاح نفسه اصلاحا ذاتيا صادرا عن اقتناع واختيار وحرية فكرية .

جـ ـ الحاجة الى العقوبة : في كل انسان نزعتا الخير والشر ، وبما ان الخير سبيل الاصلاح والتقدم والسعادة وجب تقوية دوافع الخير في الانسان ، واضعاف عوامل الشر في نفسه ، فكان لا بد من تشريع العقاب الزاجر ، لانه يساعد في مقاومة الميل الى الشر او يرغب في الخير .

وحينئذ يعتبر تطبيق العقوبة على الجناة محققا لمبدأ الرحمة العامة ، والرحمة العامة في الحقيقة هي العدل والعدالة الحقيقية هي الرحمة الحقيقية ، ويعني ذلك ان ـ الرحمة والعدالة في الشريعة متلازمتان فليست الرحمة فوق العدل ، ولا العدل فوق الرحمة او القانون ، بدليل صريح القران الكريم : **(وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا) الكهف /٥٨** . فاذا كانت العدالة تقتضي تعجيل العقوبة في الدنيا ، فان الرحمة تستدعي تأخيرها فتحا لباب الامل والتوبة والعدول عن المخالفة امام كل انسان في الحياة ، وبذلك تكون التوبة اثرا من اثار الرحمة الواجب مراعاتها في تشريع العقاب مع مراعاة العدالة ، وهذا هو جوهر رسالة الاسلام . ـ **(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)** الانبياء / ١٠٧ قال ابن القيم « ان الشريعة مبناها واساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها وحكمة كلها » .

وقال ابن تيمية : « من رحمة الله ـ سبحانه وتعالى ان شرع العقوبات في الجنايات الواقعة بين الناس بعضهم على بعض في النفوس والابدان والاعراض والاموال والقتل والجراح والقذف والسرقة ، فاحكم سبحانه وتعالى وجوه الزجر الرادعة عن هذه الجنايات غاية الاحكام ، وشرعها على اكمل الوجوه ، المبينة لمصلحة الردع والزجر ، مع عدم المجاوزة لما يستحقه الجاني من الردع » . واستعرض العز بن عبدالسلام مفاسد الجرائم التي شرعت عنها الزواجر من الحدود والتعزيرات بعبارة دقيقة البيان عميقة التحليل .

د ـ فلسفة التوبة او هل تؤثر التوبة على المصلحة المقصودة من العقاب ؟ :

ان الشريعة الاسلامية ـ كما هو معروف ـ تستهدف في احكامها حماية مصالح الدنيا ، وحفظ مقاصد الاخرة ، بل ان الدنيا في الحقيقة « مزرعة الاخرة » ، كما ورد في الاثر .

وبناء على هذا فلا يتصور ان تكون التوبة سببا في ضياع مصلحة الجماعة في

تطبيق العقوبة ، ولا وسيلة تؤدي الى الاغراء بالمعاصي والتجرئة عليها او تسهيل ارتكابها ، وانما على العكس تكون التوبة الصادقة مساعدة في استئصال شأفة الجريمة ، لانه اذا كانت الغاية الاولى للعقاب هي اصلاح المجرم ، فان التوبة تكون اقوى تأثيرا في تحقيق تلك الغاية لصدورها عن باعث ذاتي واقتناع داخلي . فهي اذن تفتح باب الامل امام المخطئين ــ وتدفعهم الى معترك الحياة بروح ايجابية جديدة وحيوية وفعالية منتجة .

ثم ان دور التوبة قاصر ــ باتفاق الفقهاء كما سنبين ــ على الحالة التي لم تعرض فيها قضية الجريمة على محاكم القضاء ، وفي حقوق المجتمع المحضة « اي حق الله بتعبير فقهائنا » فان عرضت القضية على الحاكم لم يكن للتوبة تأثير في اسقاط العقوبة . وان مست الجريمة حقا شخصيا للفرد لم يقبل الحد « اي العقوبة المقدرة شرعا » الاسقاط ايضا بالتوبة ولا بغيرها كالابراء والعفو والتنازل والصلح والمعارضة .

هـ ــ المعاصي التي يتاب منها وكيفية التوبة عنها : يتناول هذا الموضوع امرين : تقسيم الذنوب الى صغائر وكبائر ، وتقسيم الذنوب الى ما يكون حقا لله او للادميين .

التقسيم الاول : تقسيم الذنوب الى صغائر وكبائر :

كل معصية في الاسلام تصح التوبة عنها ، سواء اكانت من الكبائر ام من الصغائر ابتداء من جريمة الكفر او الشرك بالله الى أدنى المحظورات ، والمراد من الصغائر : هي التي تحصل لظرف طارىء كثورة او غضب ، أونزوة طائشة ، ثم يعقبها تأنيب وندم يمحو صفة الاصرار . عن ابن عباس ان رجلا قال له : الكبائر سبع ؟ فقال هي الى سبعمائة اقرب ، لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار .كالنظر الى ما لا يحل النظر اليه من المرأة الاجنبية « اي التي لا قرابة محرمية منها » ، وضرب الخادم بدون ذنب ، وسماع الملاهي والاوتار ، واللعب بالنرد ، ومجالسة شاربي الخمر والفساق والخلوة بالمرأة الاجنبية .

واختلفت عبارات العلماء في تحديد الكبائر :

- فقال ابن عمر : كل ما نهي عنه فهو كبيرة .
- وقال صحابي اخر : كل ما وعد الله عليه بالنار فهو كبيرة .
- وقال بعض السلف : كل ما اوجب عليه الحد في الدنيا فهو كبيرة .
- واما غير الصحابة فقال الذهبي : الكبائر : كل ما نهى الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة والاثر عن السلف الصالحين . وذكر في كتابه « الكبائر » سبعين كبيرة ، من أهمها : الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، والسحر ، واكل الربا ، واكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات . وهذه السبعة هي السبع الموبقات في الحديث

النبوي الذي رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة . وعقوق الوالدين وشهادة الزور ، والظلم ، والغدر ، وعدم الوفاء بالعهد ، واليمين الغموس « وهي الكاذبة قصدا وعمدا » والرشوة ، والقمار ، والزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، والغصب ، وايذاء الناس وشتمهم .

● وذكر المفسرون في تفسير المعصية الكبيرة اراء اهمها اربعة :

احدها : أنها المعصية الموجبة للحد .

والثاني : انها المعصية التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب اوسنة .

والثالث : قال إمام الحرمين وغيره : كل جريمة تنبىء بقلة اكترات مرتكبها بالدين ورقة الديانة فهي مبطلة للعدالة .

والرابع : ذكر القاضي ابو سعيد الهروي : أن الكبيرة : كل فعل نص الكتاب على تحريمه وكل معصية توجب في جنسها حدا من قتل او غيره . وترك كل فريضة مأمور بها على الفور ، والكذب في الشهادة والرواية واليمين .

واذا كان القول الثاني هو لاكثر المفسرين : فان الرأي الثالث هو أولى الاراء بالقبول لأن الغزالي اعتمده ، واستحسنه الرازي .

فالكبيرة اذن : هي كل ما يشعر بالاستهانة بالدين وعدم الاكتراث به .

التقسيم الثاني : تقسيم الذنوب الى ما يتعلق بحق الله أو بحق العباد

تنقسم الذنوب الى ما بين العبد وبين الله تعالى ، والى ما يتعلق بحقوق الاشخاص .

والمقصود بحق الله تعالى : ما يمس المجتمع ، وهو ما يتعلق به النفع العام للعالم من غير اختصاص بأحد . وينسب إلى الله تعالى لعظم خطره ، وشمول نفعه .

وأما حق العبد : فهو الحق الشخصي : وهو ما يتعلق به مصلحة خاصة كحرمة مال الغير ودمه وعرضه .

فأما ما يتعلق بحق الله تعالى : فهو كترك الصلاة والصوم . والتوبة لا تصح منه ، حتى ينضم الى الندم قضاء ما فات منها .

وأما ما يتعلق بحقوق العباد فهو كترك الزكاة وقتل النفس وغصب الأموال وشتم الاعراض ، والتوبة منه تكون برد الحق لصاحبه . ففي حال التفريط بالزكاة يجب القضاء . وفي القتل . تكون التوبة بالتمكين من القصاص ان كان عليه ، وكان مطلوبا منه قضاء . وفي القذف ببذل ظهره للجلد ان كان مطالبا به . فان عفي عنه أو عن القتل مجانا كفاه الندم والعزم على ترك العود بالاخلاص ، فان عفي عن القتل بمال فعليه أداؤه ان كان واجدا له ، قال تعالى : (**فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان**) البقرة / ١٧٨ . وكذلك شراب الخمر والسراق والزناة اذا أصلحوا وتابوا سقط الحد عنهم في رأي

بعض العلماء كما سنبين تفصيل الكلام فيه .

وان كان الذنب من مصالح العباد ، فلا تصح التوبة عنه الا برده الى صاحبه والخروج عنه ـ عينا كان أو غيره ـ ان كان قادرا عليه . فان لم يكن قادرا فالعزم أن يؤديه اذا قدر في أعجل وقت وأسرعه .

وان كان العاصي أضر بآخر فانه يزيل ذلك الضرر عنه ، ثم يطلب منه العفو والاستغفار له ، فاذا عفا عنه ، سقط الذنب عنه .

وان أساء رجل الى آخر بأن فزعه بغير حق ، أو غمه ، أو لطمه ، أو صفعه بغير حق أو ضربه بسوط فآلمه ، أو شانه بشتم لاحد فيه ، ثم ندم واستعفى من المضرور ، وعزم على ألا يعود فعفا عنه صاحب الحق ، سقط عنه ذلك الذنب .

المطلب الثاني : أثر التوبة الصادقة في الجزاءات أو العقوبات الأخروية :

يترتب على التوبة النصوح ـ كما ذكرنا ـ اسقاط عقوبة المعصية قطعا فيما بين التائب وبين الله تعالى ، لأن التوبة تسقط أثر المعصية . ولو كانت أعظم الجرائم التي هي الكفر أو الشرك بالله ، لانه يغفر كل ذنب للتائب الا اذا أصر عليه فلا يغفر . قال تعالى : **(غافر الذنب وقابل التوب)** غافر / ٣ . وقال سبحانه **(قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين)** الانفال / ٣٨ **(ان الله يغفر الذنوب جميعا)** الزمر / ٥٣ . أي بشرط التوبة في رأي الزمخشري وغيره .

روى مسلم من حديث عمرو بن العاص ، قال: لما جعل الله الاسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، قلت : أبسط يدك أبايعك فبسط يمينه ، فقبضت يدي ، فقال : (مالك ؟) قلت : أردت أن أشترط ، قال (تشترط بماذا ؟) قلت : أن يغفر لي ، قال : (أما علمت يا عمرو **أن الاسلام يهدم ما كان قبله ،** وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟!) .

ويؤيد ذلك أحاديث نبوية كثيرة منها : (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) رواه ابن ماجة والطبراني والبيهقي (لو أخطأتم حتى تبلغ السماء ، ثم تبتم لتاب الله عليكم) ابن ماجه (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون ، فيستغفرون الله ، فيغفر لهم) مسلم

وسنذكر هنا نموذجا من توبة العصاة :

١ ـ **توبة الكافر :** الكفر أو الشرك اما في الألوهية أو في الربوبية فالشرك في الالوهية هو الشعور بسلطة وتأثير وراء الاسباب والسنن الكونية لغير الله تعالى ، وكل قول وعمل ينشأ عن ذلك الشعور . والشرك في الربوبية : هو الاخذ بشيء من أحكام الدين والحلال والحرام عن بعض البشر دون الوحي .

وتوبة المشرك أو الكافر تكون باعلان الاسلام والاقرار بتوحيد الاله « توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية » سواء قدر عليه الحاكم أم لم يقدر عليه ، لأن عدم القدرة ليست مشترطة في توبة الكفار . والتوحيد الذي يناقض الشرك : هو عبارة

عن اعتاق الانسان من رق العبودية لكل أحد من البشر وكل شيء من الاشياء السماوية والارضية وجعله حرا كريما وعزيزا لا يخضع خضوع عبودية مطلقة الا لمن خضعت لسنته الكائنات ، بما أقامه فيها من النظام في ربط الاسباب بالمسببات ، فلسنته الحكيمة يخضع ، ولشريعته العادلة المنزلة يتبع . وانما خضوعه هذا لعقله ووجدانه ، لا لأمثاله في البشرية وأقرانه .

وتقبل توبة الكافر اتفاقا ترغيبا في الاسلام . ولقوله تعالى : **(قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف)** الانفال / ٣٨ .

٢ ـ **توبة المنافق :** النفاق : اظهار الايمان باللسان ، وكتمان الكفر بالقلب والمنافق وهو الذي لا يتدين بدين أشد خطرا على المسلمين من الكفار ، لأنه يكتم الكفر والكيد للمسلمين ويتربص الدوائر بهم ، ويرتكب السيئات بباعث النفاق الظاهر والخبث الباطن ، فاستحق العذاب مرتين ، وكان في الدرك الاسفل من النار .

وتوبة المنافق تكون بتزكية نفسه ومجاهدتها بقدر الاستطاعة والطاقة ، وطلب العفو عما لا طاقة له به ، وترك الكفر ظاهرا وباطنا ، واعلانه الايمان بالله ورسوله ويمكن قبول توبة المنافق لقوله تعالى **(ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما)** الاحزاب /٢٤ . **(وآخرون اعترفوا بذنوبهم ـ الآية إلى قوله تعالى ـ عسى الله أن يتوب عليهم)** التوبة / ١٠٢ **(وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم)** التوبة / ١٠٦ .

٣ ـ **توبة الزنديق :** الزنادقة : هم الدهريون الذين ينكرون وجود الاله ويزعمون أن العالم وجد مصادفة . ثم أصبحت الزندقة صفة كل من يظهر الاسلام ويسر الكفر .

واختلف العلماء في توبة الزنديق ، فقال العترة من الزيدية ، وأبو حنيفة ومحمد والشافعي : تقبل توبة الزنادقة ولا يقتلون ، لعموم قوله تعالى : **(قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف)** . الانفال / ٣٨ .

وقال مالك وأبو يوسف والجصاص : لا تقبل توبتهم ، فاذا عثر على الزنديق قتل ولا يستتاب ولا يقبل منه ادعاء التوبة اذ يعرف منه عادة : التظاهر بالتوبة تقية ، بخلاف ما يبطنه ، واستثنى الامام مالك : من جاء تائبا قبل ظهور زندقته فتقبل توبته .

قال صاحب البحر الزخار الزيدي : لكن الأقرب العمل بالظاهر ، وان التبس الباطن لقوله صلى الله عليه وسلم لمن استأذنه في قتل منافق : (أليس يشهد أن لا اله الا الله ؟) رواه مسلم .

٤ ـ **توبة المبتدع :** المبتدع : هو الذي أحدث شيئا في الاسلام ليس منه ، ولم يكن عليه الصحابة والتابعون ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي . أو هو كل من قال قولا خالف فيه اعتقاد أهل السنة والجماعة .

فاذا كان ببدعته منكرا لما علم بالتواتر والضرورة « أي البداهة » من

الشريعة ، فهذا كافر ببدعته ، كالمجسمة أو المشبهة الذين شبهوا معبودهم بانسان له جسم محدود بسبعة أشبار بشبر نفسه ، أو الذين ألهوا أحدا من البشر .

وأما ان كان المبتدع لا يكفر ببدعته ، فهو ضال فاسق كأهل البدع والأهواء المخالفين لأهل السنة أو سيرة السلف الصالح في بعض المسائل الاعتقادية ، مثل القدرية القائلين بخلق الانسان أفعال نفسه ، والخوارج الذين كفروا عليا ومعاوية وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة .

وتوبة المبتدع : تكون بالتخلص من بدعته والتزام العقيدة الحقة ولا مانع من قبول توبته وان كان كافرا ، لأن العقل يجوز ذلك ، وظاهر الشرع وعموم الآيات القرآنية يدل على امكان قبول توبة الكفار والمشركين .

والخلاصة ان قبول التوبة في عالم الآخرة مشروط بعدم الاصرار على المعصية ، وعدم التلاعب بالاسلام وعدم البقاء على الكفر قبل الموت وذلك هو ما يشير اليه القرآن الكريم في الآيات الثلاث الآتية :

١ ـ **(والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون)** . آل عمران / ١٣٥

٢ ـ **(ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا)** . النساء / ١٣٧ **(ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم)** آل عمران / ٩٠

٣ ـ **(ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به)** آل عمران/ ٩١ .

المطلب الثالث : اثر التوبة في الجزاءات او العقوبات الدنيوية :

تمهيد في أنواع العقوبات :

العقوبات الدنيوية بحسب نوع المصلحة المقصودة منها ثلاثة انواع وهي :

١ ـ **الحدود** : وهي العقوبات المقدرة شرعا ، الواجبة حقا لله تعالى في الشريعة اي التي تستوجبها المصلحة العامة : وهي دفع الفساد عن الناس ، وتحقيق الصيانة والسلامة لهم . وتطبق على جرائم سبعة : الزنا ، القذف ، شرب المسكرات ، السرقة ، الحرابة ، الردة ، البغي .

٢ ـ **القصاص والدية** : أما القصاص : فهو معاقبة الجاني على جريمة القتل او القطع او الجراح عمدا بمثلها . واما الدية : فهي العوض المالي الواجب دفعه بدل النفس . وقد شرع القصاص مراعاة للحقين : حق الجماعة العام في اصل العقاب ، وحق المجنى عليه الخاص في نوع العقاب .

٣ ـ **التعازير** : وهي العقوبة المشروعة على معصية او جناية لاحد فيها ولا كفارة ، سواء اكانت الجناية على حق الله تعالى ، كالأكل في نهار رمضان وترك الصلاة ، وطرح الاقذار في طريق الناس ونحو ذلك ، أم على حق شخصي للعباد كأنواع السب والضرب والايذاء بأي وجه ، وغير ذلك من مختلف انواع جرائم الاعتداء على الأموال والأنفس التي لا حد فيها .

وتعتبر اغلب الجرائم التي نص عليها قانون العقوبات في مصر وسوريا داخلة تحت عقوبات التعزير الشرعية ، سواء اكانت جنايات وجنحا مضرة بالمصلحة العامة ، أم تحصل لآحاد الناس ، أم كانت مخالفات عادية .

وسنبحث اثر التوبات في هذه العقوبات .

أولا : آراء الفقهاء في اسقاط الحدود بالتوبة :

اتفق الفقهاء على ان الحدود اذا رفعت الى ولي الأمر او نائبه القاضي ، ثم تاب المتهم عن جريمته بعد ذلك ، لم يسقط الحد عنه ، بل تجب اقامة الحد وان تاب المجرم حينئذ ، سواء أكان قاطع طريق ام لصا ام زانيا ام قاذفا وغيرهم ، اذ لا يجوز تعطيل الحد ، لا بعفو ، ولا بشفاعة ، ولا بهبة ، ولا غير ذلك لأن الجريمة تمس مصلحة الجماعة والتصرف على الرعية منوط بالمصلحة العامة . ويرشد لذلك من السنة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل العفو عن سارق رداء صفوان بن امية ، وقال لصفوان (فهلا قبل ان تأتيني به ؟) ثم قطع يده ، يعني صلى الله عليه وسلم انك لو عفوت عنه قبل ان تأتيني به لكان العفو سائغا جائزا .

وذكر في الموطأ عن عثمان رضي الله عنه . انه قال : « اذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمشفع » .

وفي سنن ابي داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغني من حد فقد وجب) .

واتفق الفقهاء ايضا على قبول توبة المحارب قاطع الطريق قبل قدرة السلطان عليه : وهو ان يأتي الى الحاكم عن طوع واختيار ويظهر التوبة عنده ، ويسقط عنه الحبس ، لأن الحبس للتوبة ، وقد تاب فلا معنى للحبس . ودليلهم صريح قوله تعالى في حق المحاربين : **(الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم)** المائدة / ٣٤

ومفهوم الآية ألا يسقط عنه شيء بالتوبة بعد الظفر عليه ، لأن الظاهر ان التوبة قبل ذلك توبة اخلاص ، ولترغيبه في التوبة وبعدها الظاهر انها تقية من اقامة الحد عليه ولا حاجة لترغيبه في التوبة لأنه قد عجز عن الفساد والمحاربة .

أما ما يسقط عنه بالتوبة : فاختلفوا فيه فقال فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والامامية والزيدية في أرجح الآراء لديهم : تسقط بتوبة المحارب حقوق الله تعالى كحد الزنا واللواط والسرقة وشرب الخمر لأنها حدود الله تعالى ، فتسقط بالتوبة كحد المحاربة ، ولأن في اسقاطها ترغيبا في التوبة .

ولا تسقط عنه حقوق الناس الشخصية كحد القذف والقصاص وضمان

الأموال ، اذ لا دليل على اسسقاطها .
وهناك آراء اخرى ، قال الهادي من الزيدية ، والأباضية : يسقط عنه ما قد أتلف ولو حقا لآدمي في نفس او مال او قتل ، لعموم الآية : **(إلا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم)** .
وقال بعضهم : ترفع التوبة جميع حقوق الله ، ولكن يؤاخذ بالدماء ، والأموال بما وجد بعينه في يده ، ولا تتبع ذمته .
وبعضهم قال : ان التوبة تسقط جميع حقوق الله ، وحقوق الآدميين من مال ودم ، الا ما كان من الأموال قائم العين بيده .
وشدد بعضهم وهو قول عند الشافعية وللامام مالك . فقال : لا تسقط التوبة عن المحارب الا حد الحرابة فقط ، ويؤاخذ بما سوى ذلك من حقوق الله وحقوق الآدميين .

عقوبة الردة والبغي :

الردة : ترك الدين الاسلامي والخروج عليه بعد اعتناقه . والبغي : الخروج عن طاعة الحاكم بثورة مسلحة ، او الخروج على الامام مغالبة .
وقد اتفق الفقهاء على اسقاط عقوبة الباغي « وهي القتل » بالتوبة لان القصد من عقابه توفير الطاعة والولاء والعدول عن البغي .
كما ان عقوبة المرتد « وهي القتل ومصادرة ماله » تسقط ايضا بالتوبة بأن يتبرأ عن الاديان كلها سوى الاسلام او عما انتقل اليه من مذهب الكفر ، لأن الغاية هي رجوعه الى الاسلام ، لذا استحب الحنفية استتابته وعرض الاسلام عليه قبل القتل ، لاحتمال ان يسلم وأوجب جمهور الفقهاء حصول الاستتابة قبل القتل ثلاث مرات ، فان تاب قبلت توبته ، وان لم يتب وجب عليه القتل .

وأضاف الزيدية وأئمة المذاهب أن من تكرر منه الردة والاسلام حتى كثر فهو مقبول التوبة لقوله تعالى : **(يغفر لهم ماقد سلف)** الانفال/٣٨ ولم يفصل النص بين من تكرر منه ذلك أو لم يتكرر .
ذكر النسائي عن ابن عباس قال : كان رجل من الانصار اسلم ، ثم ارتد ولحق بالمشركين ثم ندم فارسل الى قومه : سلوا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ؟ فجاء قومه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هل من توبة ؟ فنزلت آيات من سورة آل عمران آخرها قول الله تعالى **(الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم)** الاية/ ٨٩ وماقبلها من قوله تعالى : **(كيف يهدي الله قوما كفروا)** الاية /٨٦ . قال ابن عباس فارسل الى الرجل فاسلم .

عقوبة القذف :

اتفق العلماء على ان التوبة لا تسقط حد القذف لانه حق آدمي

الحقوق الشخصية للناس :

يظهر مما سبق أن حقوق الآدميين لا تسقط بالتوبة مالم ترد المظالم لاصحابها

كما انه لا يغفرها الباري سبحانه الا بمغفرة صاحبها ، ولا يسقطها الا باسقاطه .

عقوبة السرقة والزنا وشرب الخمر :

اختلف الفقهاء في اسقاط عقوبات هذه الحدود بالتوبة على رأيين :

الرأي الاول : قال الحنفية والمالكية والشافعية والزيدية والاباضية في ارجح الاراء لديهم : ان التوبة لا تسقط سائر الحدود المختصة بالله تعالى كالزنا والسرقة وشرب الخمر سواء بعد رفع الامر الى الحاكم او قبله واستدلوا بالادلة الاتية :

١ ـ عموم الايات القرآنية التي تقرر عقوبة هؤلاء العصاة مثل قوله تعالى : (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) النور/٢ (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) المائدة/٣٨ فكل نص منهما عام في التائبين وغيرهم ولا يستثنى الا حد الحرابة كما بينا ، وحد تارك الصلاة لو تاب سقط القتل قطعا ، ولو بعد رفعه الى الحاكم ، لان عقابه على الاصرار على الترك لا على مجرد الترك في الماضي . وكذلك اذا زنى الكافر ثم اسلم يسقط عنه الحد .

٢ ـ اقام النبي صلى الله عليه وسلم الحد على من جاءه تائبا ، اذ رجم ماعزا والغامدية وقطع الذي اقر بالسرقة ، وقد جاءوا تائبين يطلبون التطهير باقامة الحد ، بدليل ان الرسول صلى الله عليه وسلم سمى فعلهم توبة ، فقال في حق المرأة (لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من اهل المدينة لوسعتهم) رواه الجماعة الا البخاري وابن ماجة من حديث عمران بن الحصين .

٣ ـ ان الحد كفارة ، فلم يسقط بالتوبة ككفارة اليمين والقتل ولو جاز اسقاط الحد بالتوبة لتمكن كل مجرم من اسقاط العقوبة عنه بادعاء التوبة ، وفي ذلك تشجيع على الاجرام والفساد .

٤ ـ لا تقاس الحدود على حد الحرابة لان مرتكبها مقدور عليه ، فلا تسقط التوبة عنه الحد المقرر كالمحارب بعد القدرة عليه .

الرأي الثاني : قال الحنابلة في الارجح عندهم والشيعة الامامية وبعض الحنفية والمالكية ، والشافعية ، والزيدية : إن التوبة تسقط حد الزنا والسرقة وشرب الخمر عن العصاة من غير اشتراط مضي زمان قبل رفع الامر الى الحاكم او قبل القدرة عليهم او قبل البينة وثبوت الحد عليهم واستدلوا بما يأتي :

١ ـ ثبت في صحيحي البخاري ومسلم من حديث أنس قال : « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فقال : يارسول الله ، اني اصبت حدا فاقمه علي ، قال : ولم يسأله عنه فحضرت الصلاة ، فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة ، قام اليه الرجل ، فاعاد قوله ، قال : أليس قد صليت معنا ؟ قال : نعم ، قال : « فان الله عز وجل قد غفر لك ذنبك » ففي هذا دليل على ان التائب غفر الله له ، ولم يكن بحاجة لاقامة الحد عليه طالما اعترف به .

٢ ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ابن ماجه والطبراني والبيهقي ومن لا ذنب له لا حد عليه . وقال في ماعز لما اخبر بهربه : « هلا تركتموه يتوب فيتوب الله عليه ؟ » واقامة الحد عليه بالرغم من توبته تجاوب مع ما اختاره بنفسه كما اختارته المرأة الغامدية ، قال ابن تيمية : ان الحد مطهر ، وان التوبة مطهرة ، وهما اختارا التطهير بالحد على التطهير بمجرد التوبة ، وأبيا الا ان يطهرا بالحد ، فاجابهما النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك .

٣ ـ صرح القرآن الكريم باسقاط حد الزنا بالتوبة في قوله تعالي : **(واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما)** النساء /١٦ وباسقاط حد السرقة ايضا في قوله سبحانه : **(فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه)** المائدة/٣٩

٤ ـ لا فرق بين حد الحرابة وبقية الحدود ، فاذا اسقطت التوبة حد حرابة مع شدة ضررها وتعديه ، فلان تدفع التوبة مادون حد الحراب بطريق الاولى والاحرى ، وقد قال الله تعالى : **(قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف)** الانفال /٣٨ .

قال ابن القيم : الله تعالى جعل الحدود عقوبة لارباب الجرائم ورفع العقوبة عن التائب شرعا وقدرا ، فليس في شرع الله ولا قدره عقوبة تائب البتة .

والكلمة الاخيرة ان ظواهر القرآن والسنة والعمل بمبدأ الستر في الاسلام تؤيد الرأي الثاني الذي يسقط الحدود بالتوبة اذا كانت خالصة لله تعالى اي لمصلحة الجماعة ، ولم تكن متعلقة بالحقوق الشخصية للناس . وليس في هذا الرأي اخلال بمصالح المجتمع لان التائب بتوبته يحقق المصلحة المنشودة ، لا سيما اذا لاحظنا اشتراط كون التوبة صادقة نصوحا .

قال الحنابلة : اذا قلنا بسقوط الحد بالتوبة ، فهل يسقط بمجرد التوبة او بها مع اصلاح العمل ؟ فيه وجهان :

احدهما : يسقط بمجردها ، وهو ظاهر قول اصحابنا ، لانها توبة مسقطة للحد فاشبهت توبة المحارب قبل القدرة عليه .

والثاني : يعتبر اصلاح العمل لقول الله تعالى : **(فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما)** النساء /١٦ وقال : **(فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه)** المائدة /٣٩ فعلى هذا القول : يعتبر مضى مدة يعلم بها صدق توبته وصلاح نيته ، وليست مقدرة بمدة معلومة .

ثانيا : هل التوبة مسقطة للقصاص والدية :

اذا ثبت القتل وجب على القاتل اما القصاص ، واما الدية ، ولا يسقط القصاص الا بعفو اولياء المقتول على ان يأخذوا الدية او بدون شيء فلا يسقط القصاص او الدية اذن بالتوبة لتعلق الحق الشخصي به لاولياء الدم . وبناء عليه لا تصح توبة

القاتل حتى يسلم نفسه للقود « القصاص » او يؤدي الدية حين العفو او حالة القتل الخطأ . وتوبة القاتل لا تكون بالاستغفار والندامة فقط ، بل يتوقف على إرضاء اولياء المقتول ، فان كان القتل عمدا لابد من ان يمكنهم من القصاص منه ، فان شاءوا قتلوه ، وان شاءوا عفوا عنه مجانا فان عفوا عنه كفته التوبة . وبالعفو عنه يبرأ من العقوبة الدنيوية .

وهل يبرأ فيما بينه وبين الله تعالى ؟

استظهر ابن عابدين ان الظلم المتقدم لا يسقط بالتوبة لتعلق حق المقتول به فيخاصم القاتل يوم القيامة واما ظلم القاتل لنفسه باقدامه على المعصية فيسقط بالتوبة وقال الامام النووي واكثر العلماء : ان ظواهر الشرع تقتضي سقوط المطالبة في الاخرة بالعقوبة عن القاتل اذا تاب فقد دلت احاديث نبوية على انه لا يطالب ، من اشهرها الحديث المروى في الصحيحين الذي ذكر فيه توبة القاتل مائة نفس في الامم السابقة وقبول الله توبته .

ثالثا ـ اسقاط التعازير بالتوبة :

يظهر مما ذكره الفقهاء في اسقاط الحدود بالتوبة ضرورة التفرقة في التعزيرات بين حقوق الله وحقوق الافراد لان ضابط التعزير هو : كل من ارتكب منكرا أو آذى غيره بغير حق بقول أو فعل أو اشارة فقد يكون التعزير حقا لله أو حقا للفرد أو يشترك فيه الحقان واحدهما غالب على الاخر .

فان كان التعزير حقا خالصا للفرد او الغالب فيه حقه كالشتم والسب والمواثبة والضرب بغير حق والتزوير وشهادة الزور ونحوها مما يتوقف على الادعاء الشخصي فلا يسقط بالتوبة كما لا يسقط بعفو القاضي الا ان يصفح المعتدي عليه واما ان كان التعزير حقا لله تعالى كتعزير مفطر رمضان عمدا بدون عذر وتارك الصلاة واكل الربا ظاهرا ومن يحضر موائد الخمر ومجالس الفسق او كان حق الله فيه غالبا كمباشرة امرأة اجنبية فيما دون الجماع كتقبيل وعناق وخلوة بها ونحو ذلك فيسقط بالتوبة كما يسقط بعفو القاضي وهذا التفصيل في الواقع هو رأي الحنفية والشافعية .

ولكن وردت عبارات لبعض الفقهاء يفهم منها بعمومها ان التعزير مطلقا يسقط بالتوبة باتفاق الفقهاء .

قال القرافي : ان التعزير يسقط بالتوبة ما علمت في ذلك خلافا .

وقال في البحر الزخار : يسقط التعزير بالتوبة ويقرب انه اجماع المسلمين الان لكثرة الاساءات فيما بينهم ولم يعلم ان احدا طلب تعزير من اعتذر اليه واستغفر ولا من اقر بانه قارف ذنبا خفيفا ، ثم تاب منه ، ولاستلزامه تعزير أكثر الفضلاء ، إذ لم يخل أكثرهم عن مقارفة ذنب وظهوره في فعل او قول ولعل المراد من هذه العبارات التعزير الواجب حقا لله تعالى لان الخلاف بين التعزير والحد هو في حقوق الله تعالى .

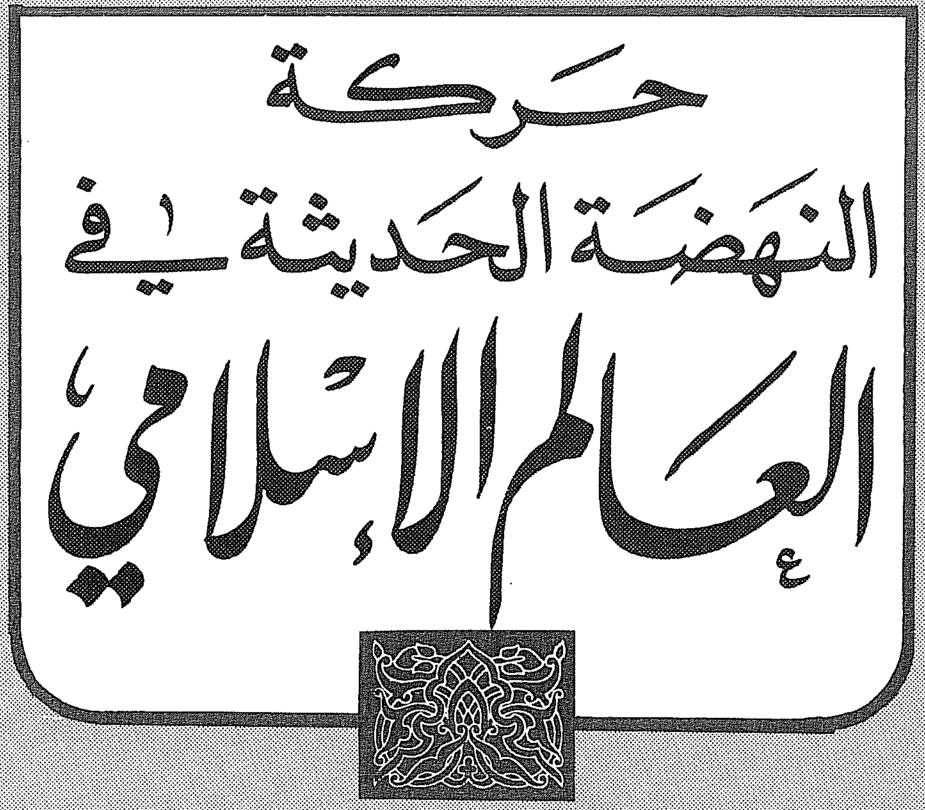
« خاتمة »

يتبين من بحثنا ان للتوبة نظاما دقيقا في الشريعة الاسلامية اذ انه قد يكشف عن الجريمة فيبادر الجاني الى الاقرار بمعصيته امام القاضي وللقاضي حينئذ توقيع العقوبة عليه كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن اقر بالزنا امامه وهو رأي ابن تيمية وابن القيم .
وقد تساعد التوبة على التقليل من الجرائم باصلاح الجاني نفسه ورده الحقوق لاصحابها بدافع ذاتي واقتناع داخلي اذا توافرت شرائط التوبة الشرعية فكانت توبة صادقة نصوحا .

ثم انه قد تكون التوبة دليلا على تحقيق الولاء والطاعة السياسية فتحقن دماء كثيرة ولا تهدر الكرامة الانسانية في سبيل دعم الحكم فتتخلص الامة من شر كبير وفساد عظيم وقعت به في الماضي حين قام بعض الحكام بالبطش بخصومهم المعارضين لسياستهم كما يظهر في توبة البغاة والخوارج وقطاع الطرق .
وقد تكون التوبة ايضا سبيلا سهلا لتوفير احترام العقيدة والنظام الاسلامي كما في توبة المنافقين والمرتدين والزنادقة .

لهذا كله نقر الرأي القائل باسقاط الحدود والتعزيرات بالتوبة اذا كانت الجريمة ماسة بمصلحة المجتمع (حق الله) ما لم يرفع في شأنها دعوى الى القضاء اما اذا كانت الجريمة متعلقة بحق شخصي (حق الفرد) او رفع في شأنها دعوى الى القضاء فمن العدل والمنطق الا تسقط التوبة العقوبة اطفاء لنار الفتنة ودفعا للضرر عن المجني عليه وشفاء لالم المصاب واستئصالا للجريمة فلا يتجرأ احد على الاعتداء على حقوق الاخرين في نفس او مال او عرض .
وهذا هو رأي الحنابلة والشيعة الامامية وبعض فقهاء المذاهب الاخرى في نطاق الحدود الثلاثة : (حد الزنا والسرقة وشرب الخمر) وهو رأي الفقهاء عامة فيما يبدو بالنسبة للتعازير وبقية الحدود الاخرى .

وفي ذلك مصلحة للمؤمنين بشرائع الاسلام في وقت عطلت فيه الحدود الشرعية ولم يبق امام المؤمن الصادق سوى التوبة لتكفير خطاياه .
والله الموفق الى سواء الصراط ، عن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ، ولو لقيتني بملء الارض خطايا لقيتك بمثلها مغفرة ما لم تشرك بي شيئا . ولو بلغت خطاياك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك) رواه الترمذي .



حركة النهضة الحديثة في العالم الاسلامي

للدكتور / بكر مصباح تنيره

تعاقبت القرون على العالم الاسلامي ، وشعوبه تعاني من التدهور والتخلف الحضاري في شتى نواحي الحياة ، الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية ، وذلك بعد ان كان المسلمون الأوائل قد أدوا رسالتهم كما أمرهم الله في قوله سبحانه وتعالى : (**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**) التوبة/٤١ .

فنشروا الدعوة الاسلامية حيثما حلوا ، وأرسوا أصول حضارة إنسانية شاملة ، اتسعت لمختلف فروع العلم والمعرفة ، وازدهرت في عصورها الذهبية حتى عبق أريجها العقل والكون معا ، ونهلت من منابعها العلماء ، وتتلمذت على كنوز تراثها الحضارة الحديثة . اعترف بذلك المنصفون في الغرب والشرق ، قديما وحديثا . فذكر المفكر العربي محمد كرد على ، في كتابه « الاسلام والحضارة العربية » قول كارلايل في انصاف العرب المسلمين ورسالتهم الحضارية ما نصه :

« قوم يضربون في الصحراء كانوا نكرة عدة قرون ، فلما جاء النبي العربي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والمعارف ، وكثروا وعزوا ، ولم يأت عليهم قرن حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم » .

وبلغ المسلمون ذروة السلوك الانساني الحضاري ، عندما اعتمدوا على العقل والمنطق في نشر الاسلام ، والأخذ بيد الشعوب على اختلاف ألوانها وأجناسها ، نحو التقدم والرقى دون تمييز أو تعصب ، يشهد بذلك العالم الفرنسي جوستاف لوبون في كتابه « روح السياسة » فيقول :

« ظن المؤرخون بعزوهم تفوق المسلمين الذهني والمادي في العالم الى قوتهم المادية ، أنهم أصابوا كبد الحقيقة ، فيرد عليهم بأن الحضارة الاسلامية استمرت في الانتشار زمنا طويلا بعد زوال سلطان المسلمين وبأن عدد المؤمنين بالقرآن بلغ في الصين عشرين مليونا مع أنه لم يكن للمسلمين هيمنة على تلك البلاد في وقت من الاوقات وبأن عدد مسلمي الهند صار خمسين مليونا أي أكثر منه أيام دولة المغول . ولا يزال عدد المؤمنين بالاسلام يزيد زيادة مطردة ، فالعرب بعد الرومان هم الامة الوحيدة التي استطاعت أن تمدن مختلف الشعوب وأن تجعلها ترضى بكل عنصر من عناصر حضارتها أي بدينها ونظمها وفنونها » .

ويحاول ادوارد جيبون ان يكتشف سر قوة الاسلام ، وايمان المسلمين ، فيقول في كتابه « اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها » ما نصه :

« وقد وقف المسلمون بالاجماع يقاومون الاغراء الذي ينزل بعقائدهم وتقواهم الى مستوى حواس الانسان وخياله . فشهادة « أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله » ، هي الشهادة الاسلامية البسيطة التي لا تتغير . فصورة الاله في الأذهان لم تصبها مهانة قط بتمثيلها بوثن يراه الناس . والأمجاد التي أسبغت على النبي لم تتعد قط حدود الفضائل البشرية . وحصرت تعاليمه الحية اعتراف أصحابه بفضله في داخل حدود العقل والدين » .

هكذا كان الاسلام أساس التقدم والحضارة لكافة الشعوب التي آمنت به . ثم دار الزمن دورته ، فأصاب المسلمين الضعف والوهن ، ومزقتهم الخلافات المذهبية والسياسية ، فغدوا شعوبا وقبائل ، وفرقا وأحزابا . وتكالبت عليهم الأمم كما تتكالب الأكلة على قصعتها ، مثلما ورد في الحديث النبوي الشريف . فوقعوا هم وديارهم فريسة لأخطر ظاهرة تمخضت عنها الحضارة الغربية الحديثة ، ألا وهي ظاهرة الاستعمار ، الذي جد واجتهد في ترسيخ الفرقة والخلاف بينهم وإضعاف مقوماتهم الحضارية التي جمعتهم على كلمة سواء ، يوم أن كانوا أمة ودولة وحضارة .

غير أن الاسلام في أصوله الثابتة

أبدا ، ونعني بها القرآن الكريم والسنة الشريفة يملك دائما ، وعلى مر العصور الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، عناصر القوة ، ومناهج التجديد ، مصداقا لقوله تعالى :

(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) الاسراء/ ٩ .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع :

« تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي » رواه الحاكم .

لقد أدرك المؤمنون ذلك ، فنهضوا من كبوتهم ، وعادوا الى المنابع الصافية لعقيدتهم الغراء وتراثهم الحضاري الزاخر بألوان العلم والمعرفة ، وما هي الا بضع سنين حتى اصبح العالم الاسلامي يموج بحركات التجديد ، والدعوة الى النهضة الحديثة ، التي قد تبدو لأول وهلة أمام المراقب العادي للتطورات أنها انبثقت فجأة دون مقدمات تاريخية ، واسباب موضوعية ، مباشرة وغير مباشرة ، وتجارب ذاتية للشعوب الاسلامية أسفرت عن نتائج ايجابية أحيانا وسلبية أحيانا أخرى ، ولكنها في النهاية ، وضعت أسسا جديدة للنهضة في تطورها المعاصر .

ارهاصات النهضة الاسلامية الحديثة :

يشاء الله سبحانه وتعالى ، ان تكون ارهاصات الأولى للنهضة الاسلامية الحديثة في مهد الدعوة وأرضها ، في جزيرة العرب ، فالوقائع التاريخية تدل على ان طلائعها بدأت منذ ما يزيد على قرنين من الزمان ، وذلك عندما نهض الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي عاش في الفترة ما بين ١٧٠٣ - ١٧٩١م ، يدعو الى العودة لمنابع الدين الحنيف وتخليصه مما علق به من خرافات وخزعبلات ووثنيات هو منها براء ، براءة النور الساطع من الظلمات ، والتمسك بما أمر الله به في القرآن ، والأخذ بما ثبتت صحته من الحديث الشريف ، وكان منهجه في الحقيقة يقوم على تجديد الايمان والعمل بالكتاب والسنة ، ومستمد من أصول مذهب الامام احمد بن حنبل ، واجتهادات ابن تيمية . ولا نغالي إن قلنا ان الدولة العربية السعودية في مختلف أطوارها ، قامت على هذه الدعوة الاصلاحية ، واستطاعت أن تثبت بذلك قدرة الاسلام في كل عصر على ملاحقة التطور وتلبية حاجات الحياة ، وقبل كل شيء تهذيب العقل وتنمية معارفه ، وضبط السلوك العام والخاص بما يحفظ للانسان حقوقه وقدره وكرامته .

وقد تركت دعوة الاصلاح التي نهض بها الشيخ ابن عبد الوهاب ، أثرها في مختلف اقطار المسلمين وتأثرت بمنهجه وتعاليمه الحركات الاسلامية في الهند ومصر والدولة العثمانية ، كما سنرى . ثم تبع ذلك

دعوة الفيلسوف الاسلامي الثائر جمال الدين الافغاني ، الذي اكتشف بثاقب بصره وبصيرته ، أن خلاص المسلمين ، بل والشرق عموما ، من كل ما كانوا يعانون منه ، من تخلف وانحطاط ، وخضوع المسلمين للاستعمار الاوروبي آنذاك ، لا يتم إلا بثورتين : **أحدهما** : ضد السيطرة الاجنبية ، **والأخرى** : ثورة فكرية أصيلة لتجديد الدعوة وجلاء جوهرها ، وتحديث مناهج التفكير ، وفتح باب الاجتهاد . وللحق والحقيقة ، فقد كادت هذه الدعوة أن تؤتى ثمارها في أكثر من قطر إسلامي ، فكانت تجربتها الأولى في مصر ، إبان الثورة العرابية (١٨٨١ ــ ١٨٨٢م) التي قامت بفضل بذور النهضة الفكرية التي غرسها الافغاني في نفوس وعقول النجباء من تلاميذه ، أمثال الشيخ محمد عبده ، وعبد الله النديم ومحمود سامي البارودي واحمد عرابي وغيرهم كثير ، غير أن التدخل العسكري البريطاني المباشر ، وسكوت الدول الاوروبية عنه ، وعدم تحرك الدولة العثمانية لمقاومته كما فعلت أثناء الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ ــ ١٨٠١م ، هو الذي فت في عضد هذه التجربة ، والتي تؤكد الوثائق التاريخية أنها كانت ستعم الشرق الاسلامي كله ، وتكون بداية النهاية للاستعمار الاوروبي .

ولكن المسلمين لم ييأسوا ، وهم يرددون قوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) آل عمران/ ٢٠٠ ، وتكررت محاولات النهضة في تركيا ذاتها ، والتي كانت تعتبر دار الخلافة في ذلك الحين ، على يد مدحت باشا المسمى « بأبو الدستور » ولكنها تعثرت ثم أخفقت أمام استبداد السلطان عبد الحميد الثاني ، وفساد حاشيته ، وتفشى الرشوة في مختلف اجهزة الحكم والادارة . ثم جرت محاولة في تونس قام بها المصلح خير الدين التونسي ، الذي عاش في الفترة ما بين ١٨١٠ ــ ١٨٧٩ ، وتولى عدة مناصب عليا ، وأقدم على تنفيذ كثير من المشاريع الاصلاحية في الادارة والاقتصاد والتعليم ، غير أن حركته هذه توقفت بسبب التدخل الفرنسي المباشر في شئون تونس .

بالاضافة الى هذه المحاولات العديدة ، التي اتسمت بالتنظيم والفكر والعمل عن طريق اجهزة الحكم في الغالب ، فقد قامت حركات اسلامية ذات طابع ديني لا تقل عنها شأنا أو قوة وكان لها أثرها في مقاومة الاستعمار الاوروبي في بلادها ، ومن هذه الحركات الحركة المهدية في السودان التي تمكنت في مرحلة من مراحلها ، أن تلحق أول هزيمة عسكرية بالاستعمار البريطاني في أفريقيا . وكذلك فان الحركة السنوسية في ليبيا ، والتي قامت بدور فعال وأساسي في تحريرها من الاستعمار الايطالي وتوحيدها .

وعلى أثر ذلك ، وتكرار محاولات النهضة ، واشتداد ساعدها أحيانا ،

تنبه الاستعمار الاوروبي عامة ، والانجليزي منه على وجه الخصوص ، وظن أنه اذا ما تمكن من إبعاد الاسلام عن كراسي الحكم في أوطانه ، استطاع أن يفقده قوة السلطة في دفع عجلة النهضة ، وللحق تم للاستعمار ما أراد ، وأصبح الحكم في كثير من البلاد الاسلامية يقوم على أسس علمانية حديثة ، ولا يأخذ من الشريعة الاسلامية الا بقدر يسير رغم نصوص الدساتير ، على ان الشريعة مصدر رئيسي من مصادر التشريع . غير أن الاسلام ظل يتولى قيادة الحركة الثقافية والفكرية التي تدعو المسلمين الى النهضة ، وتحرير أنفسهم وبلادهم ، وتجديد فكرهم ، مع الأخذ بمناهج العلم الحديث . وقد أثبت الاسلام قدرته على التحدي ، وتزعم الثورات التي أطاحت بالسيطرة الأجنبية في معظم أقطاره في المغرب والجزائر ومصر وباكستان ، وايران ، وهذه افغانستان تقدم لنا دليلا جديدا على حيوية الاسلام وعمق إيمان المسلمين به وتحديهم للقوى العظمى في العالم ، مصداقا لقوله تعالى :

(**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**) آل عمران/١٧٣ .

وقد اكتسب العالم الاسلامي وشعوبه ، أهمية متزايدة في العصر الحديث ، ولذلك اسباب كثيرة : استراتيجية ، واقتصادية ، وسكانية .. مما جعل الدول الكبرى تخشى يقظته ونهضته خوفا على مصالحها وحذرا من أن يقيم العدل والانصاف في الأرض فيفسد عليها استغلالها وظلمها للشعوب الضعيفة .

أهمية النهضة الاسلامية للعالم المعاصر :

تنبع أهمية النهضة الاسلامية ، أنها تشمل بلادا وشعوبا ممتدة من أرخبيل الجزر الاندونيسية في الشرق حتى المغرب وموريتانيا في الغرب ، ومن طشقند في الشمال الى السودان والصومال في الجنوب ، فهذا المحيط الجغرافي المترامي الأطراف ، يمثل حزاما يفصل الشمال المتقدم عن الجنوب المتخلف على الكرة الأرضية ، ويشمل غالبية الدول الاسيوية والافريقية ، كما تقع أجزاء منه في جنوب وشرق اوروبا حيث توجد أقليات اسلامية كبيرة العدد نسبيا في كل من روسيا وألمانيا ويوغوسلافيا ، ويقطنه ما يزيد على ثلث سكان العالم ، ويملك موارد طبيعية هائلة من المواد الخام التي تحتاجها الصناعات المختلفة في الدول المتقدمة ، وعلى رأسها النفط الذي يعتبر عصب التقدم الصناعي والتكنولوجي حتى وقتنا الراهن . وهو من الناحية الاستراتيجية ، يشرف على المحيطات الثلاثة الدافئة ، ونعني بها المحيط الاطلسي في غربه ، والمحيط الهندي في جنوبه ، والمحيط الهادي في شرقه ، مثلما تتحكم الدول الاسلامية في جميع المضايق والممرات

المائية التي تربط اجزاء مختلفة من العالم ببعضها ، كمضيق جبل طارق ، وقناة السويس ، ومضيق باب المندب ، ومضيق ملقا في جنوب شرق آسيا والذي يقع بين ماليزيا وجزيرة سومطرة .

الاسلام على اختلاف مذاهبه ، يجمع بين شعوب هذه البلاد ، وهو العصب الحيوي الذي يحركها تلقائيا وبسرعة في الازمات لمواجهة التحديات والأخطار التي تتعرض لها بعضها ، تماما كما حدث عندما احترق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩ ، ومساندة الدول العربية في مواجهة اسرائيل ، والعطف على أماني المسلمين في الحرية والاستقلال في كل من اريتريا والفلبين ، وليس أدل على ذلك من تلك الغضبة الجامحة التي عبر بها المسلمون عن موقفهم من الاعتداء الطائش الذي وقع على المسجد الحرام في مكة المكرمة في شهر نوفمبر ١٩٧٩ . ومما يقوي شوكة الشعوب الاسلامية ومكانتها الدولية ، أنها تلتقي مع كافة شعوب الشرق على اختلاف دياناتها في روح واحدة ، وأمال مشتركة ،

ومشاكل متشابهة ، فجميعها عانت من الاستعمار ، كما تعاني من التخلف بمعناه الواسع بالاضافة الى انها غير منحازة الى اي من المعسكرين الشرقي او الغربي ، وعلى ضوء ذلك ، يمكن القول ، ان العالم الاسلامي ، بمقوماته المتعددة ، يعتبر مصدرا للقوة والطاقة والقلق في آن واحد ، فهو مصدر للقوة اذا ما توحدت شعوبه ، واتفقت كلمة حكامه ، ولو على الحد الأدنى كما حدث بالنسبة لمواجهة التدخل العسكري السوفييتي في افغانستان ، واستمرار الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية والقدس بالذات ، وقد عبرت عن ذلك القرارات التي صدرت عن مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذي عقد في اسلام اباد في باكستان في يناير سنة ١٩٧٩ ، بذلك يستطيع العالم الاسلامي ، ان يقوم بدور رئيسي في تقرير شئونه وشئون العالم من حوله ، في السلم والحرب على حد سواء . وهو مصدر للطاقة الصناعية ، والحركة الاقتصادية بشقيها ، وهما : الانتاج والاستهلاك . لذا فهو مصدر للقلق بالنسبة للقوى الدولية الكبرى التي ترى ان مصلحتها تقتضي الابقاء على النظام الدولي الراهن ، واوضاعه السياسية والاقتصادية ، بحيث يتحقق لها اكثر قدر من المصالح والنفوذ والسيطرة على كثير من مناطق العالم وشئونه المتنوعة ، ومنها ما هو متعلق ببلاد اسلامية . لا نتجاوز الحقيقة إن قلنا ، إن الخبرة التاريخية للعلاقات السياسية والحضارية بين الاسلام وبين اوروبا والغرب عموما ، تمثل هاجسا نفسيا ما زال يجد له صدى في وقتنا الحاضر . ولطالما عبر عنه المؤرخون والمفكرون الغربيون ومما كتبه جوستاف لوبون في هذا الصدد ، قوله :

« لا جرم ان اتباع محمد كانوا خلال قرون طويلة من أخوف الاعداء الذين عرفتهم اوروبا ، فكانوا بتهديدهم الغرب بسلاحهم في عهد شارل مارتيل وفي الحروب الصليبية وبعد استيلائهم على الاستانة (القسطنطينية) يذلونا بمدنيتهم السامية الساحقة والى امس الدابر لم ننج من تأثيراتهم » .

ويعترف كارل ماركس نفسه ، ان الاسلام مصدر الثقة بالنفس والمساواة التامة بين أبنائه ، وهو الذي يجعلهم متفوقين على الاوروبيين فيقول :

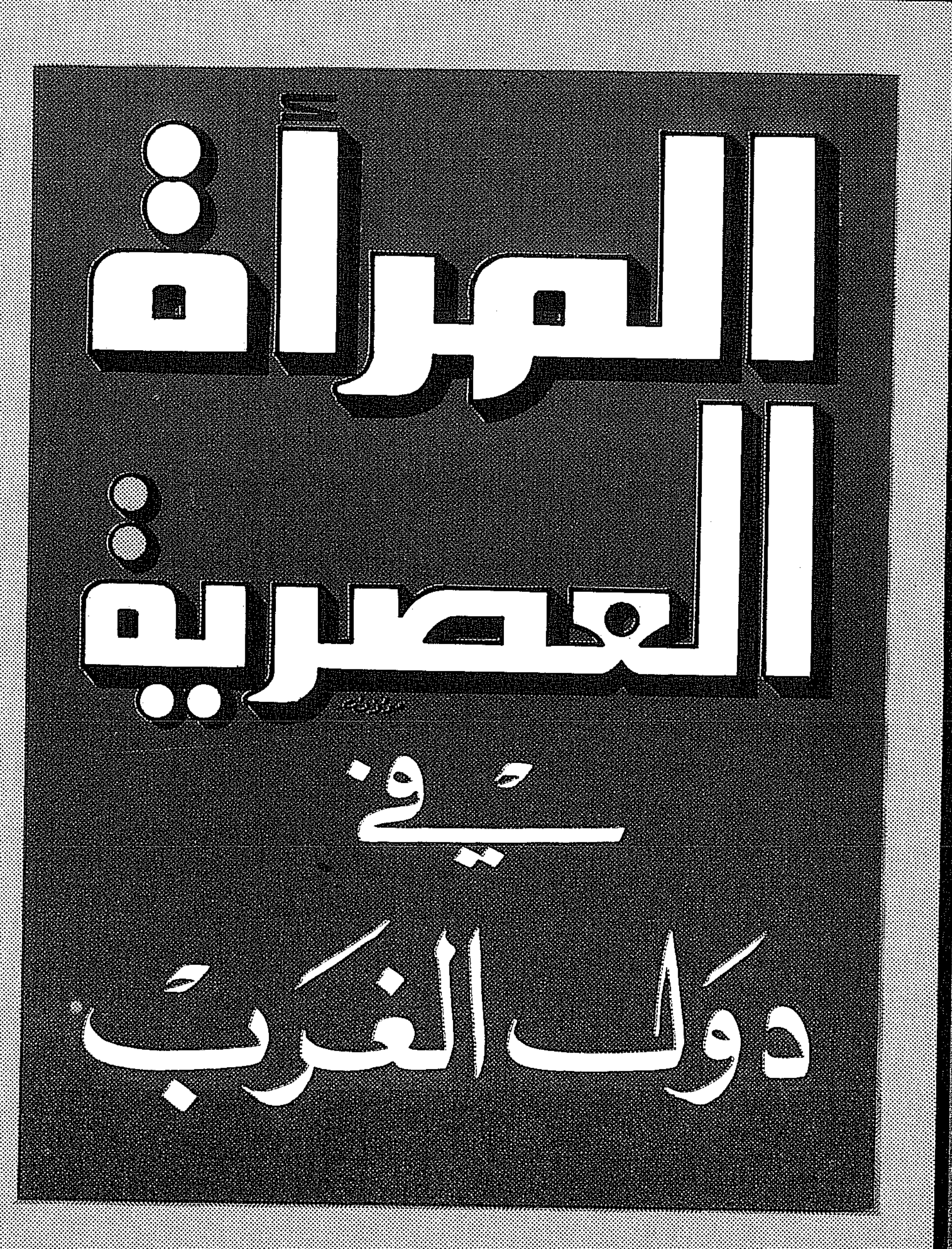
« غير أن المسلم الحقيقي لا يرى في مثل هذه الاشياء وفي النجاحات او الاخفاقات في الحياة سببا ليميز بين ابناء محمد ، فعندهم مساواة مطلقة في المعاملة الاجتماعية تبدو طبيعية تماما » .

أساس ذلك وجوهره ، كما يقول الامام محمد عبده في كتابه « الاسلام والنصرانية » « إن الاسلام عقيدة دينية ، ومنهج عقلي للتفكير في النفس البشرية والظواهر الكونية ، ونظام شامل للروح والجسد معا » . وقد وصفه الامام محمود شلتوت في كتابه « الاسلام عقيدة وشريعة » ،بقوله :

« واذا دلت طبيعة الاسلام على شيء ، فانما تدل على انه دين يتسع للحرية الفكرية العاقلة ، وانه لا يقف فيما وراء عقائده الأصولية وأصول تشريعه على لون واحد من التفكير ، أو منهج واحد من التشريع ، وقد كان بتلك الحرية دينا يساير جميع انواع الثقافات الصحيحة ، والحضارات النافعة التي يتفتق عنها العقل البشري في صلاح البشرية وتقدمها ، مهما ارتقى العقل ونمت الحياة » .

هذا هو الاسلام الذي نهض بالمسلمين من تخلفهم الحضاري ، ففي قرنين من الزمان حققت شعوبه الاستقلال ، وعادت مدنه تغص بدور العلم والمعرفة ، وأصبحت المدنية الحديثة كلها تعتمد على ما تملكه أقطاره من مصادر الطاقة والصناعة ، وغدا التضامن هو الرباط الذي يجمع شعوبه من أقصى الارض في الشرق الى المغرب العربي في الغرب . ومع ذلك فان التقدم التكنولوجي الهائل ، والسريع ، الذي تحققه الحضارة الغربية ، يوجب على المسلمين الجد والاجتهاد ، كي يلحقوا بمن سبقهم في هذا المضمار ، وذلك لخيرهم وخير غيرهم من الشعوب ، وفي هذا ضمان لتقدم شعوب جميع الكرة الارضية عموما ، وليس ادل على ذلك من هذه المساعدات المختلفة التي تقدمها البلاد العربية الى الدول الافريقية والاسيوية ، والتاريخ خير شاهد على ذلك ، فنهضة الاسلام هي في مصلحة الانسان أيا كان لونه أو جنسه ، أو قوميته أو لغته ، وقد صدق احمد شوقي ، حيث اوجز هذه الحقيقة من جوهره ـ اي الاسلام ـ فقال :

والله فوق الخلق فيها وحده
والناس تحت لوائها أكفاء
والدين يسر والخلافة بيعة
والأمر شورى والحقوق قضاء


المرأة العصرية
في
دول الغرب
للاستاذ محمد ابراهيم عامر

ان شيئا من حقوق المرأة في غير المجال الاسلامي لم يطرح الا في اواخر القرن التاسع عشر الميلادي، بعد ان توسعت النهضة الصناعية في اوروبا ، فأوجدت ــ مع توسعها ــ أسلوبا حديثا للحياة اضطر المرأة إلى أن تخرج للعمل في المصانع والشركات والمعامل ، فكانت الحاجة إلى عملها ضاغطا على الرجل ، كما جعلتها تفتح فمها بالمطالب ، وتقاضيه : ما سمي « حقوق المرأة » .

ومع الدفعة الصناعية كان انفتاح على الثقافة العربية والاسلامية في صورة ما ، وفي هذه الثقافة لمحت المرأة الغربية صورة « المسلمة » .

« **لها مهر يدفعه الزوج في الوقت الذي تدفع فيه الغربية لزوجها الدوطة** » .

ورأت « المسلمة » تملك ، وترث ، وتتصرف في مالها ، وتبرز في معارك السياسة والحرب كيوم صفين ، وفي غزوات الرسول ، وفي معترك المعرفة تبدو محدثة وناقدة وشاعرة ، وهذا لا يتأتى الا في اطار كبير من الحرية . ولها في الاسلام حق الملكية ، وحق المطالعة والتثقف ، وحق الحركة ، وحق التفكير والرأي ، وحق المحافظة عليها وعلى حقوقها .

مع سُحب التشكيك في محمد عليه الصلاة والسلام لمحت المرأة الغربية أضواء من الاسلام للمرأة المسلمة كان لها انطباع دفع نساء الغرب إلى تلمس الحياة الكريمة ، فبدأت ثورة المرأة الأوروبية على الرجل .

ولما كان الغزو الاستعماري الغربي للدول العربية والاسلامية حين غاب عنها الاسلام أو غابت هي عن الاسلام ، رأينا إلى جانب الارهاب بسلاح المدفع عملية التحطيم للمجتمعات العربية الاسلامية ، بتمزيقها فكريا وغزوها تشريعيا باحلال قوانين وضعية محل التشريعات السماوية وخاصة في الحدود ، ومن بين عمليات التمزيق الفكري إظهار سمو النظم الغربية ، وسقوط النظم الاسلامية ، فنسب المستعمر وأبواقه إلى الغرب ــ كذبا ــ احترام المرأة ، وإلى الاسلام ــ زورا ــ « احتقار المرأة » وهكذا رمتني بدائها وانسلت . وظهر في مصر « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » لقاسم امين وجاراه بعض الكتاب ورد عليه بعضهم ومنهم المرحوم « طلعت حرب » في كتابه « تربية المرأة والحجاب » وخلق بذلك الاستعمار معركة .

وكانت قصة « الحقوق العامة للمرأة » كما يقرر بعض الباحثين وسيلة صهيونية لافساد اوروبا ، ومنها امتدت العدوى إلى العرب .

لقد بدأ التخطيط لها بعد الحروب الصليبية ، وبدأت إبان احتلال الغرب للبلاد العربية ممن سموا أنفسهم « أنصار المرأة » « **يجاهرون بانهم يريدون التحرر**

من القيم الدينية وأنهم يسعون لتقليد الغرب في كل شيء » .

واستخدمت المرأة كسلاح فعال لهدم القيم الدينية وصبغ الأمة بالصبغة اللادينية تمهيدا للسيطرة الصهيونية وغيرها من الاهداف الاستعمارية ، ووجد الغرب أدواته في تعميق الاتجاهات اليسارية والمادية .

وهكذا تتكشف أهداف النفوذ الغربي (الاستعماري والماركسي والصهيوني) من خلال المؤامرة على المرأة المسلمة .

وإذا كان دعاة التحرير المزعوم قد رفعوا شعار « تحرير المرأة » فانهم يعنون منه في الواقع أمرين خطيرين : ـ

أولهما : تحرير المرأة من بيتها . **ثانيهما :** تحريرها من زيها

إنهم يعرفون أن المرأة بلا شك نصف المجتمع وهي نصف خطير ، وبيتها هو تلك الجامعة التي تخرج كل أبنائها ، وتحريرها منها يعني ببساطة إغلاق تلك الجامعة المسلمة وهذا هدف خطير .

وتحريرها من زيها يعني كشف ما امر الله به ان يستر ، وهتك ما أمر الله به أن يصان ، وهذه وتلك بالضرورة تعني انحلال المجتمع وسقوطه بكل قيمه وأخلاقه ومثله .

إن فرنسا ـ غير المسلمة ـ صاحبة الامبراطورية الكبيرة قد سقطت تحت أقدام الالمان على مدى أسبوع واحد في الحرب العالمية الثانية ، وهي ـ كما صرح « ديتان » رئيس جمهورية فرنسا انذاك ـ قد هزمها الانحلال قبل أن يهزمها الاحتلال .

لقد رأينا ما وصل إليه أمر دعوة التحرير أو التحرر في السفور والاختلاط والعمل خارج المنزل والمساواة بالرجل في الوظيفة والعمل والأجر ، وفي الحقوق السياسية ، وفي الولاية العامة وغيرها من مساوىء يندى لها جبين الأنسانية والفضيلة خجلا ! .

لقد عملت المرأة الغربية لحاجة مجتمعها نفسه إلى يدها لنقص الرجال ، ومجتمعنا لا يشكو نقصا في الرجال والحمد لله واذا كنا نهدف في نهاية بحثنا إلى عقد مقارنة بين المرأة المسلمة كما حدد معالمها الاسلام ، وبين المرأة الغربية المتمدينة فجدير بنا وقد حددنا عطاء الأسلام للمرأة المسلمة ان نلقى مزيدا من الضوء على المرأة الغربية اولا وسوف نستشهد ما امكن بألسنة الغربيين أنفسهم بما يؤكد ويقطع بفساد المجتمع الغربي فسادا يفوق الجاهلية وذلك كله بسبب البعد عن الله والجري وراء المادة والهوى ، وفيما يلي بعض علامات المجتمع الغربي في سطور وأخص بالذكر ما يتصل بالمرأة : ـ

١ ـ تقع في العالم كل سنة ٣٠ مليون حالة اجهاض ، وقد سمحت انجلترا بهذه العملية مما جعل أكثر نساء الغرب يسافرن ألى بريطانيا ، ودعت مجلة « نوفيل اوبسر فاتور » الفرنسية إلى السماح بالاجهاض في فرنسا ونشرت بكل جرأة اعترافات سيدات شهيرات مارسن الأجهاض وتقول الصحف إن ٣٠ ٪ كل سنة

يتم إجهاضهن بما يعادل ربع المولودين .
٢ ــ أفردت الصحف الغربية بحوثا مستفيضة عن تجارة الجنس وعن أرباحها وتحدثت « نيوزويك » عن الأفلام السينمائية والخلاعية والكتب والمجلات المصورة وصالونات التمسيد والملاهي الليلية فضلا عن البغاء التقليدي ، وقالت : إن أرباح هذه التجارة تبلغ ملياري دولار في السنة ، وأن مدينة « نيويورك » أصبحت عاصمة هذه التجارة الرابحة ، ففي مدة سنتين قفز عدد صالونات التمسيد من أربعة إلى ستة واربعين وليست هذه التسمية سوى تورية عن الدعارة ومحايلة على القانون وأن اجور عناية ثلاث ممسدات تبلغ مائة دولار وبعض صالونات التمسيد تستقبل كل يوم مائة رجل ولا تعطل في نهاية الأسبوع .
٣ ــ نشرت جريدة الأهرام في (٢٤ مايو ١٩٧٣) ان عمليات الاجهاض المشروعة للفتيات اللاتي تقل اعمارهن عن خمسة عشر سنة قد ارتفعت في بريطانيا بنسبة الثلث في العام السابق ، وبلغ عدد حالات الاجهاض من بين هذه الاعمار ٢٢٩٦ بزيادة ٦٥٤ عنها عام ١٩٧٠ وكشف التقرير الذي أصدرته إدارة الأحصاء البريطانية أن بين هذه الحالات ٣ فتيات لا تزيد أعمارهن عن ١١ سنة .
٤ ــ صدرت مجلة جديدة في أمريكا اسمها (بلاي جيرل) وصاحبتها سيدة جميلة اسمها (توتي مولت) والمجلة مخصصة للنساء فقط فهي تنشر صور الشبان وهم عرايا تماما وتكتب المقالات والدراسات حول تصرفات الرجل وميوله واتجاهه وكيفية الايقاع ، والاحتفاظ به تحت قبضة المرأة ، وقد صدرت هذه المجلة لترد على مجلة (بلاي بوي) الشهيرة بنشر صور أجمل نساء العالم .
٥ ــ مسرح (اوبرا كوبنهاجن) عاصمة الدينمارك عرض باليه (أشعار الموت) المأخوذ من قصة « يوجين أونسكو » وتدور حول أطماع الانسان ونزعته إلى الدمار حيث يقف ٢٢٠ راقصا وراقصة عريا تماما لا تستر اجسادهم حتى ورقة التوت .
٦ ــ سرطان الصدر خطر يهدد المرأة : هذا ما أعلنته صحف الغرب فقالت : إن ٢٥٠ ألف امرأة تموت سنويا بسبب سرطان الصدر وأن العدد يرتفع في اوربا الغربية وأمريكا .
نعم لقد وصل تحرر المرأة الغربية الى حد انها تبدو اليوم عارية في صالات العرض وصناعة « الموديل » وفي العلاقات الجنسية تعرض في المجلات المتخصصة أو في دور السينما أو في صناعة التدليك يقوم بها الرجال للنساء وبالعكس ، وأدى كل هذا إلى رفض الزواج كنظام في بناء الاسرة ، وإيثار العلاقة المؤقتة بين الرجل والمرأة عليه قضاء للوطر بعيدا عن قيود الطلاق المعقدة هناك .

كما وصل الأمر بحرية المرأة الشخصية إلى الغاء اعتبار الزنا من جانب المرأة المتزوجة سببا من اسباب الطلاق وصدرت قوانين الأسرة في مجتمع اسكندنافيا منذ عام ١٩٧٢ ، مؤكدة هذا الالغاء ! .

وتخطت حرية المرأة الشخصية حدود هذا النطاق إلى اختيار الرجل الذي تنجب

منه طفلا إذا انبعثت فيها عاطفة الأمومة في غير زواج شرعي عن طريق المعاشرة الجنسية بعض الوقت أو عن طريق التلقيح الصناعي .

وقد أفقدت المساواة في العمل المرأة الغربية كثيراً من أنوثتها وكل عفتها وكرامتها وأكسبتها خشونة الرجل وقسوته وغلظته بسبب ممارستها للاعمال الشاقة كالتنقيب عن المعادن واستغلال المناجم وقيادة السيارات والقطارات كما فقدت احترام الرجل وعواطفه وميوله نحوها .

ونستطيع أن نوجز ما برز في حياة المرأة الغربية نتيجة لكل ما تقدم فيما يلي : ـ

١ ـ يباح للمرأة ان تجهض نفسها إذا لم تكن راغبة في الولد أو خشية النزول عن مستواها الاقتصادي .

٢ ـ تبيح المرأة الغربية لنفسها كما يبيح لها العرف القائم هناك « التجربة قبل الزواج » باسم الصداقة وقد يستمر لسنوات لا يتم بعدها زواج .

٣ ـ يباح للمرأة كزوجة أو كصديقة أن تدخل مع زوجها أو صديقها فيما يسمى « تبادل الزوجات أو الصديقات » ويعرف هذا باسم « المعاشرة الجنسية بين المجموعة » فيتنازل كل عن زوجته أو صديقته لغيره ويأخذ معه اخرى وقد تتم هذه المعاشرة الجنسية الجماعية في حجرة واحدة او في حفلات خاصة أو نواد دون تدخل من الدولة .

٤ ـ يباح لها أن تنجب ولدا عن طريق التلقيح الصناعي أو المباشرة لرجل اجنبي .

٥ ـ يباح لها أن تمارس البغاء في صور شتى فقد شاع البغاء كصناعة رأسمالية كما ذكرنا قبلا .

إنها صور الجاهلية الأولى إن لم تكن أبشع وأفظع ، فأين ترى المرأة الغربية نفسها وسط هذه الاسواق الحيوانية المتسغلة ؟ وكيف تراها الان وبعد كل هذا الهوان المرأة المسلمة ، نعم وأي هوان بعد هذا ؟

لقد ضبط احد الازواج ـ في منزل الزوجية ـ زوجته عارية كيوم ولدتها أمها بصحبة رجل اجنبي عريانا ايضا كيوم ولدته أمه ، فرفع أمره للقضاء طالبا الطلاق من زوجته البغي التي استهانت بكرامته وكرامة منزل الزوجية المقدس ، غير أن القضاء الانجليزي في إحدى محاكم لندن لم يرقه تصرف ذلك الزوج الرجعي الذي لا يتمشى مع التقدم الغربي ، والرقي الاجتماعي ، فقضى برفض دعواه مبررا هذه الفعلة بأن الزوج يجب عليه ان يقدر الظروف والتقاليد .

وقد ضبط أحد الشبان الهنود ـ وقت إقامته بباريس ـ رجلا يجلس مع امرأة في حالة مريبة واضحة الفجور في الطريق العام ، فلم يجد بدا من الاستعانة بجندي البوليس الذي قبض على الشاب الهندي المبلغ بتهمة الأخلال بالحرية الشخصية . أية حرية تلك التي يجب احترامها يا قوم ؟

على أن المرأة الغربية كذلك تفقد اسم والدها وأسرتها نهائيا بمجرد عقد الزواج وتنتسب إلى الزوج وهذا رق حديث مشئوم لا يقره الأسلام للمرأة المسلمة .

والمرأة الغربية لم تعرف لها القوانين هناك صفة الاهلية في كثير من الشئون المدنية ، ففي فرنسا تنص المادة ٢١٧ من القانون المدني الفرنسي على « **أن المرأة المتزوجة حتى لو كان زواجها قائما على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها لا يجوز لها أن تهب ، ولا أن تنقل ملكيتها ، ولا أن ترهن ، ولا أن تملك بعوض او بغير عوض بدون اشتراك زوجها في العقد أو موافقته موافقة كتابية** »

بينما المرأة المسلمة لها شخصيتها المدنية المستقلة كاملة

لقد اكتملت الصورة البشعة المخيفة للمرأة الغربية بل وأحست هي واقعها الاليم فبدأت وبدأ كتابها يطالبون بانقاذ عاجل بل وطالب البعض بالعودة إلى الله وتقليد المرأة المسلمة فيما أعطاها الخالق عز وجل .

ولقد بدت المقارنة الان بين المرأة الغربية والمرأة المسلمة سهلة وتميز الحق من الباطل وبدا النور من الظلام ، فالأسلام حفاظا على المرأة والفضيلة والمجتمع ينكر ويستنكر : إجهاض الجنين ومباشرة التجربة قبل عقد النكاح ، وتبادل الزوجات والرجال ، والتلقيح الصناعي ، والبغاء ، وتبرج النساء فضلا عن العري في النوادي والشواطىء وغيرها .

ان الاسلام يسلك بالمرأة المستوى الانساني السليم ويعمل على توفير الاعتبار البشري وهذا المستوى الانساني الكريم يتبلور في :

ـ الزام الرجل أبا أو أخا بالانفاق على البنت والزوجة والام والاخت ، ويعفى المرأة من السعي للكسب والعمل خارج المنزل ويحفظ بذلك عليها :

أ) أنوثتها التي هي العامل الاول في لقاء الرجل بها والسعي اليها .

ب) قيامها بالمشاركة البناءة في حياة زوجية لتلك السكنى والاستقرار والمودة والرحمة .

جـ) حرصها على دور الامومة وعنايتها بالطفل في مرحلة طفولته المبكرة .

فاذا قامت أصوات نشاز بعد هذا كله تنادي مثلا بتقييد حق الرجل في الطلاق أو سحبه منه وجعله في يد القاضي أو بمساواة المرأة بالرجل في هذا الحق على الاقل .

- أو برفع قوامة الرجل على المرأة .
- أو بمساواة المرأة بالرجل في ولاية الزواج .
- أو بمنع تعدد الزوجات .
- أو بمساواة المرأة بالرجل في الشهادة .
- أو بمساواتها له في الميراث .
- أو بمساواتها له في الولاية العامة .

فاننا نرد هؤلاء ونرد على هؤلاء بالاسلام والمنطق والعقل والطبيعة والواقع في ايجاز سريع

١ ــ تقييد حق الرجل في الطلاق .. الخ أمر يتنافى مع أنه ــ كما قرر القرآن ــ الذي بيده عقدة النكاح فالمنطق أن يكون بيده فك هذه العقدة ثم انه بحكم الاسلام يحمل كل أعباء الزوجية بدءا من المهر فتأثيث منزل الزوجية فالنفقة ثم النفقة والمتعة والحضانة ان طلق ثم مهر جديد وأعباء أخرى ان تزوج ولذا فانه يحتكم الى عقله ويفكر الف مرة في الطلاق ، قبل أن يوقعه عكس المرأة في كل ذلك ، وهو ربان السفينة ورب البيت بحقه ، وسحب حق الطلاق منه وجعله بيد القاضي فضلا عن أنه تحريم لما أحل الله ، وسلب لحق أعطاه الله اياه ، وتناقض مع مسئوليته العامة عن الاسرة ، فهو مدعاة لكشف أسرار الزوجية ونشرها خارج حمى الزوجية وهو البيت .

على أن الاسلام الذي جعل الطلاق في ولاية الزوج قد جعل للمرأة الحق في أن تخلع نفسها بعرض أمرها على القاضي في حالة التضرر ، وأن تختلع من زوجها بتقديم مقابل له كما أن لها حق الطلاق اذا كانت العصمة بيدها .

ومن أسف أن بعض المسلمات اذ يتبجحن بطلب قصر حق الطلاق على القاضي ــ لا يدرين ما يدور في عالم الغرب الذي يحرصن على تقليده من اكتوائه بنتائج قصر الطلاق على القاضي بالمطالبة بانزال هذا الحق الى صاحبي الحق الاصليين ــ الزوجين ــ وتم بالفعل تعديل قانون الاسرة في « السويد » على هذا النحو واعتبر قفزة تحررية على طريق تحرير المرأة الاوربية .

أما عن « **رفع قوامة الرجل على المرأة** » فان طبيعة خلقته بالفطرة تلك التي تميز بها عن المرأة أصلا وبما كانت له من اليد العليا في الانفاق وبأنه رب البيت وأبو الاولاد واليه ينتسبون فانه القوام عليها واقعا وعملا ، وقلب هذا قلب للفطرة .

أما عن مساواة المرأة بالرجل في « ولاية الزواج » فلعله قد غاب عن ادراك المطالبين بذلك ان الاسلام أعطى المرأة هذا الحق وأكد عليه بما لا يوجد في غيره من الانظمة والاديان فللزوجة حق اختيار الزوج ومباشرة عقد الزواج بنفسها وحرية تزوجها ممن تشاء ، ولو رفض ولي أمرها بشرط أن يكون الزوج كفءا لها .

أما عن « **منع تعدد الزوجات** » ففضلا عن أن الاسلام جاء مقيدا له وقد كان مطلقا ، وأنه أباحه لضرورات انسانية أو شخصية ، وبشرط ضمان العدل ، فان نسبة التعدد اليوم لا تتجاوز ٢٪ وهي نسبة ضئيلة على أن الاسلام قد حل به مشاكل لم يستطع الغرب أن يتغلب عليها الا باباحة البغاء أو احلال الخليلات مكان الحليلات ، والاسلام لا يعرف الا علاقة النقاء والطهر والنظافة ويمكن الرجوع الى ما كتبنا قبلا في هذا الموضوع .

وأما عن **مساواة المرأة بالرجل في « الشهادة »** فان الاسلام في الحيلولة بينها وبين بعض الامور مراع لطبيعتها ولصونها عن مواطن لا تحسن شهادتها

فيها .

وأما عن « **الميراث** » فكما قلنا انها ان أخذت نصف الرجل فلتدخره لأنها أعفيت من كل شيء أما الرجل فان ما يأخذه يعود فينفقه كله عليها وعلى أولادها .

وأما عن « **المساواة في الولاية العامة** » فلأنها لم تخلق لها اذ الوالي له سلطاته الدينية والسياسية والمرأة لم تتهيأ بحكم فطرتها لذلك .

واذا كانت المرأة قد تولت في العشر سنوات الاخيرة في بعض دول آسيا وأمريكا اللاتينية الرياسة الكبرى (الهند ـ سيري لانكا ـ الارجنتين) فقد خرجت كل واحدة منهن من ولايتها العامة بضياع كل النفقة تماما ، وبرصيد من الانحرافات في الحكم تعطي الدليل الواضح على تقلب المرأة وسرعتها في الاستجابة العاطفية للمؤثرات وعدم الاطمئنان الى فصلها في الامور .

« أما بعد »

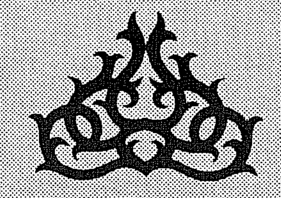
فهذا عطاء الله وذاك عطاء الناس ، نعم هذا عطاء رب الناس ، وذلك عطاء الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ، وهذه هي المرأة المسلمة عفيفة شريفة ، كريمة عظيمة ، مصونة مكنونة سيدة متسيدة ، قائدة رائدة ، معلمة تخلق الاجيال ، مديرة تصنع الرجال ، أستاذة تخلق الكمال قوية تجتاز بايمانها المحال ، تعرف ربها ، وتملك قلبها ، وتهب بيتها ومن فيه ودها وحبها ، سكن لبعلها ، حانية على طفلها ، تنشر في مجتمعها أريج الفضيلة ، وتنأى بنشئها عن كل رذيلة ، لها في قلب زوجها أغلى مكان ، وهي مصدر الحب والالهام والحنان ، ثم هي محل التقديس من البنين والبنات ، فالجنة تحت أقدام الامهات .

أما هذه المرأة الغربية اللاهية ، فانها في مجتمعها داهية ، تغدو وتروح كاسية عارية ، وقد باعت نفسها للشيطان ، ولم يعد لله في قلبها مكان ، ونظر اليها الانسان نظرة الحيوان بل ان من الحيوان ما يحنو على مولوده ويحرص على بقائه ووجوده ، لكن هذه تكفر به جنينا فتجهضه .. أو وليدا فتلقي به أو تطرده ، قد شغلها المال والجمال ، عن العيال ولم تفكر في مآب ولا في مآل ، سارت في طريق الاثم حتى كبت ، ونفرت عن طريق الحق فتنكبت ، هانت حتى على نفسها ، وباعت للشيطان كل عواطفها وأحاسيسها .... بل غدت سلعة تباع .... وغرقت في الهوان والضياع .

فأين الثريا اذن من الثرى ... وأين من تسر اذ ترى ممن لا تود أن ترى ؟ أين العفاف من الاسفاف ؟ أين الشرف من التلف ؟ أين التجلي من التخلي ؟ وأخيرا أين الانسان من الحيوان ؟

فليعض المسلمون بالنواجذ على ما أعطى الاسلام لهم ، وليحمدوا الله أن جعلهم من بين الناس (**خير أمة أخرجت للناس**) **آل عمران / ١١٠** .

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) آل عمران / ٨ .



في ظلال التفسير النبوي للقرآن الكريم

الوحي ينظم حركة التجديد المتواصلة في حياة البشر

النبيّ الأميّ يعلمنا القراءة والتفسير لآيات الله القرآنية وآياته الكونية

للاستاذ : محمد العفيفي

١ ــ إن حقيقة نزول القرآن منجما وحقيقة الناسخ والمنسوخ في القرآن ، وحقيقة أسباب النزول هذه الحقائق جميعا ، تعمل على تحريك الحياة الإنسانية ، تحريكا متواصلا ، في تقدم ثابت ، وحركة متجددة ، لا مصدر لها إلا الوحي الالهي في القرآن والسنة معا ، وأنهما بذلك يشتد ارتباطهما ولا ينفصلان من حيث مصدرهما الواحد وهي وحي الله ، ومقاصدهما الواحدة ، وهي بيان أوامر الله ونواهيه . ثم إن تحديد أنواع النسخ بأنها ثلاثة أنواع ، هي ما نسخ حكما وتلاوة ، وما نسخ تلاوة لا حكما ، وما نسخ حكما لا تلاوة ، هذا كله تنظيم لحاجات البشر إلى أحكام الوحي بما فيها من عموم وخصوص ، وقد جاء في كتب العلماء القدامى أمثال السيوطي .

وقد بين السيوطي في كتابه « معترك الأقران » أن الذين كتبوا في الناسخ والمنسوخ خلائق لا تحصى .

٢ ــ ولكن الربط بين أسباب النزول وبين النسخ ، يجعلنا ننظر إلى هيمنة الوحي من قرآن وسنة على حركة التجديد المتواصلة في حياة البشر ، وجعلها حركات أصيلة دائما ، لا تنقطع أبدا ، عن الحقيقة بكل وجوهها التي يسر الله معرفتها للبشر بكل زمان ومكان . ولعلنا نذكر هنا ما سبق من أن القرآن والسنة يتجددان تجددا ذاتيا لا يحتاج إلى أي مدد خارج على وحي الله تعالى ، كما بينه لنا في كتابه وسنة رسوله . ندرك ذلك حيث ننظر في أسباب النزول فنجد كل سبب منها يحمل معه الفارق بينه وبين غيره من الأسباب ، كما يحمل معه أسس اتصاله بالوحي في جملته وتفصيله ، سواء ما يتصل بذلك من آيات القرآن وأجزائها ، ومواضع كلماتها وحروفها في القرآن كله ، أو يتصل بالوحدة والنوع في مقاصد السنة القولية والعملية ، أو كل ما يخضع لذلك من الوقائع المتجددة في حياة البشر ، على اتصال الحياة الانسانية من الدنيا إلى الآخرة .

وقد اقتضى ذلك أن يكون ما سميناه معا من قبل ــ التراسل بين القرآن والسنة ــ قائما على التنسيق المعجز بين ما اختص به القرآن من المقاصد والأحكام ، وما اختصت به السنة من ذلك ، في حركة متتابعة بينهما ، وحاجات متتابعة من الحياة الإنسانية إليهما .

كل ذلك من إعجاز الوحي الالهي ، الذي جعل في السنة ناسخا

ومنسوخا ، كما وجدنا في القرآن ناسخا ومنسوخا .

وكل ذلك في إطار أسباب النزول لا يحصيها إلا الله تعالى .

٣ ـ فلئن كانت أسباب النزول أسبابا ظاهرة في الحقيقة الخاصة بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ـ مثلا ، فإن هناك من أسباب النزول التي يعجز البشر عن إحصائها ، والإحاطة بما فيها من الثبات والحركة ، والأصالة والتجدد ، هو بعدد مواضع كل حرف وكلمة وجملة ، نجد كلا منها ، بكل آية قرآنية ، كلما نظرنا إلى ما تتعدد مواضعه من هذه الأجزاء ، في آيات كثيرة .

وكذلك الأمر إذا نظرنا بعمق عظيم إلى تجدد أحوال الضبط والترتيب ، بالحروف جميعا ، في الكلمات جميعا كلما اقتضت حكمة الله تنويع صيغ الكلمات ، فضلا عن تنويع ما خص الله به كل صيغة لكل كلمة من عدد مواضعها في القرآن كله ، حتى أمر الله عبده ورسوله ، بترتيب الآيات في السور وترتيب السور في المصحف كما هو محفوظ بحفظ الله فلا ينبغي أن يحرف أو يبدل بحال من الأحوال .

هذه كلها أسباب للنزول لا نحيط بما هو ظاهر منها إذا نظرنا في الأسباب الواقعة في أحوال البشر كتحويل القبلة ، أو ما نزل في التي تجادل الرسول صلى الله عليه وسلم في زوجها ، كما لا نحيط بما هو دقيق وخفي منها كلما نظرنا في ثبات القرآن على الناحية الشكلية في حروفه وكلماته وجمله وآياته ، مع مقاصده الكثيرة ، الدائبة التجدد ، والمرتبطة بهذه الأجزاء في جملتها وتفصيلها وحركتها في مواضعها ، ثم حين ننظر إلى السنة في تنوع المقاصد التي يجمع لنا ألوانها الكثيرة كل باب من أبواب الحديث الشريف .

٤ ـ وأقرب مثل لذلك أن السنة قد استقلت بالتشريع في شأن القبلة الأولى التي كانت إلى بيت المقدس فلم ينزل في ذلك قرآن ، وإنما صدر بذلك أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء في القرآن وجوب طاعة الرسول في كل ما أمر به أو نهى عنه ، في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر/٧

ولقد ظلت السنة هي المصدر في جعل القبلة إلى بيت المقدس حتى شاء الله أن يتم القرآن ، هذه الحركة التي بدأتها السنة فتوفر السبب المرتبط بنزول الآية الخاصة بذلك .

ولو ذهبنا نرصد كل ما في القرآن من تركيب أيسر أجزائه ، إلى ما في الحياة الإنسانية بكل أزمنتها وأمكنتها من أسباب الخضوع لذلك ، مع ما يتعلق بمقاصد القرآن من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لوجدنا حركة قرآنية معجزة ذات تقدم يمضي دائما على يقين لا ريب فيه ، كما تشرق الشمس في كل يوم جديد ، بضوء جديد ، وموضع من جريان الشمس جديد ، والضوء واحد ، في

جملة حقائقه ، وحاجات الكـــون والحياة الإنسانية إلى هذا الضوء تتجدد حتى يرث الله هذا العالم وما فيه .

ويلخص لنا مصطفى صادق الرافعي ، هذا التجدد الدائب في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « إنه كلام كلما زدته فكرا زادك معنى » .

غير أن الذي نريده بذلك هو التجدد في ذات القرآن وذات السنة ، من حيث الوحدة والتنوع في النصوص والمقاصد ، والاحاطة بحركة الحياة الانسانية في تجدد دائب ، يبين لنا ما هو حق من كل أقوالنا وأعمالنا وما هو باطل .

فإذا نظرنا إلى سبب النزول الخاص بتحويل القبلة ، ثم سبب النزول الخاص بالتي تجادل في زوجها ، وجدنا لقطتين متفردتين في موكب الحياة كله ، بلا تكرار من جهة ، وبلا انفصال بينهما وبين بناء الحياة كله من جهة أخرى ، لأن إحاطة الله بكل المقاصد إحاطة قادرة على هذا التجديد المستمر ، الذي لا سبيل إلى مثله في حدود القدرة البشرية .

فلننظر إلى هذين السببين من أسباب النزول :

والسبب الأول :

هو تحويل الكعبة كما جاء في الحديث المتصل السند إلى البراء بن عازب رضي الله عنه قال : لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله يحب أن يتوجه نحو الكعبة فأنزل الله : (**قد نرى تقلب وجهك في السماء**) البقرة/١٤٤ ، الى آخر الآية ، فقال السفهاء من الناس وهم اليهود ما قالوا في ذلك فأنزل الله تعالى : (**قل لله المشرق والمغرب**) البقرة/١٤٢ .

والسبب الثاني :

هو الذي خص الله تعالى به أوائل الآيات في سورة المجادلة وأنها نزلت في شأن خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت حين ظاهر منها ، فكانت هذه الآيات ، وما بينها وطبقها من السنة ، مصدرا في أحكام الظهار وما يترتب عليها من أمور .

إن هدفنا من النظر إلى ما تقدم هو بيان هذا التجدد الذي يخص كل أمر بذاته ، فيفرد له موضع ارتباطه بالحياة في جملتها وتفصيلها ، وأن هذا لا يكون في أي كلام إلا في الوحي الالهي من قرآن وسنة .

والفرق بين القرآن والسنة هنا ، هو أن القرآن دائب الحركة المعجزة ، في مبناه ومعناه وترتيب أجزائه في جملتها وتفصيلها ، بينما السنة دائبة الحركة المعجزة في ما يخص أحاديث الرسول في جملتها وتفصيلها ، من الوحدة والتنوع في مقاصد كل حديث ، بين الأحاديث كلها ، تماما ، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحرك بعد صلاة

الفريضة ، ليصلي ركعتي السنة بعد صلاة الظهر أو صلاة المغرب ـ مثلا ـ في موضع جديد ، من المسجد .

وما ذلك إلا وحي إلهي يوجه السنة العملية نحو التقدم الدائب ، والحركة المتجددة بغير انقطاع .

ـ النسخ في السنة يرتبط بكل ما تقدم :

٥ ـ لذلك كانت السنة أيضا تتخذ من النسخ خطوات دائبة يتحقق بها لكل داء دواؤه ، فيما يناسبه من المكان والزمان ، فلا يستقر حكم ليشمل كل فترات التاريخ إلا إذا كان من الأمور العامة التي تتسع للحياة الإنسانية بغير حدود ، أما إذا كان هناك هدف محدود ، فله من الأحاديث المنسوخة ما يحققه ، إلى أن ينتهي زمنه ، ونتعلم منه كيف لا نخلط بين العام والخاص في أحكام الله تعالى :

(أ) ومن النسخ في السنة ما يعرف بتصريح النبي صلى الله عليه وسلم كحديث بريدة الذي أخرجه مسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » رواه النسائي والترمذي .

وواضح أن السنة هنا تنسخ حكما بحكم وفعلا بفعل ، لحكم كثيرة علمها الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، وجعلها سبيلا إلى ممارسة الأمة للتفكر ، والمقارنة بين الأشباه والنظائر .

وزيارة القبور مع حداثة عهد الناس بالشرك ، غيرها بعد استقرار الاسلام ، وظهور حقيقته .

(ب) ومن النسخ بالسنة ما نجده في جزم الصحابي ، بأن الناسخ هو الحكم الذي كان أخيرا ، بعد حكم آخر كان قد سبقه ، فكان هو المنسوخ .

وذلك مثل حديث جابر رضي الله عنه :

« كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترك الوضوء مما مست النار » رواه أبو داود والنسائي .

(جـ) ومن النسخ بالسنة ما نجده في النظر إلى التاريخ وتعاقب فتراته . فبمعرفة تاريخ كل من الحديثين ، يحكم على المتأخر بأنه ناسخ للمتقدم .

وذلك كحديث شداد بن أوس وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(أفطر الحاجم والمحجوم) رواه البخاري

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم .

فقد بين الشافعي أن الثاني ناسخ للأول من حيث أنه روى في حديث شداد أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم زمان الفتح فرأى رجلا يحتجم في شهر رمضان فقال : أفطر الحاجم والمحجوم .

وروى في حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم صائم فبان بذلك أن الأول كان في زمن الفتح في سنة ثمان والثاني في حجة الوداع في سنة عشر .

(د) ومن النسخ في الحديث ما يعرف بالإجماع كحديث :

« قتل شارب الخمر في المرة الرابعة » رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي .

فلقد عرف المسلمون أن هذا الحديث منسوخ بانعقاد الإجماع على ترك العمل به ، والإجماع لا ينسخ ولكن يدل على وجود ناسخ غيره .

والحقيقة أن السنة العملية للرسول صلى الله عليه وسلم ، هي التي بينت لنا هذا النسخ .

ذلك أنه جاء في حديث قبيص بن ذؤيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(من شرب الخمر فاجلدوه ، فان عاد فاجلدوه ، فإن عاد فاجلدوه ، فان عاد فاقتلوه – في الثالثة أو الرابعة – فأتى برجل قد شرب فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ورفع القتل ، وكانت رخصة) رواه احمد .

فلعلنا ننعم النظر في هذا التراسل العملي بين القرآن والسنة ، حيث خص الله كلا منهما بأنواع من المقاصد ، في تقديم وتأخير ، وناسخ ومنسوخ ، حتى نعلم دائما أن السنة في تفسيرها للقرآن ، لا تنفصل عنه من حيث الوحدة والتنوع في مضمون الوحي ومقاصده ، ولا من حيث التطبيق المستمر للقرآن ، في السنة القولية والعملية ، على نحو لا يختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة .

– دور الأمة في هذه الحركة المتجددة :

٦ – ومما يتصل بأهداف هذا التراسل بين مقاصد القرآن والسنة ، أن الله جعل للأمة نصيبا من الوحي ، ممثلا في نزول أجزاء يسيرة من الآيات على ألسنة نفر من الصحابة ، ثم في رؤية من رأى صيغة الأذان في نومه وموافقة ذلك لصيغة الأذان كما طبقتها السنة في الواقع العملي .

فأما أجزاء الآيات التي ألهمها الله بعض الصحابة فكان في ذلك توثيق بين ما نزل به جبريل على الرسول وبين ما خص الله به الأمة من ذلك ، فمنها ما صح عن أنس ، قال : قال عمر : وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو إتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت **(واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى)** البقرة/١٢٥

وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب .

واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة ، فقلت لهن : **(عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن)** التحريم/٥ . فنزلت كذلك : (الحديث أخرجه البخاري وغيره)

والأحاديث في ذلك قليلة ولكنها صحيحة ودالة على أن الله جعل للأمة نصيبا في تلقي الوحي ، حتى يكون عملنا به قريبا من حياتنا العملية ، ويزيد الله به المسلمين فضلا على فضل .

أما الأذان فقد روى الترمذي عن عبدالله بن زيد بن عبدربه أنه رأى الأذان بصفة وصيغة في رؤيا فقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تبين أن عمر رضي الله عنه رأى رؤيا مثلها فأقرهما الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان هذا هو الأذان الذي يفسر لنا بالواقع العملي قوله تعالى :

(وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) المائدة/٥٨

وقوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) .

وبذلك يكون الأذان بيانا للآيتين السابقتين ، وتطبيقا عمليا لهما في كل مكان وزمان .

فلننظر كيف جعل الله تعالى الأذان وحيا للأمة ذاتها ، تسانده السنة العملية في تفسيرها للقرآن ، وتطبيقها لمقاصده ، لأن هذا مما يوافق الدعوة المتجددة في كل مكان وزمان ، لإقامة الصلاة ..

ـ من تعليم الله لخاتم رسله :

أ ـ يسر الله لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، أن ينظر في بناء الكون حيث ركب الله كل شيء ابتداء من أدق الأشياء ، وانتهاء بالكون كله في جملته الواحدة ، وجعل في هذا بيانا لآياته الكونية ، فكان أول ما نزل عليه من الوحي قوله تعالى :

(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) العلق/١ ـ ٥ .

فهذه الآيات الخمس ، فيها انواع التراكيب التي جعلها الله متفقة مع مكانات المعرفة الانسانية والوجود الانساني بين آيات الله الكونية ، وآياته القرآنية ، لتتم نعمة الله على عباده تماما ، لا ينبغي أن ينال منه نقص ، او ترد عليه زيادة ، كما يقول الله تعالى : **(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)** (٨٩) النحل .

ألا نرى قوله تعالى : **(اقرأ باسم ربك الذي خلق)** فالقراءة هنا هي قراءة آيات الله الكونية ، التي هي مركبة في أنواع كثيرة ممتزج بعضها ببعض ، متحرك بعضها في بعض ، ومع ذلك فكل نوع ثابت على ما يدل عليه ابتداء من شكله ونفاذا إلى مضمونه ، وفي الكثير والقليل منه على سواء ، لينتفع به الناس جميعا وفرادى ، بكل مكان وزمان ، في صدق وعدل دائمين .

ثم تأتي الآية الثانية لتنتقل بنا من هذا التعميم في القراءة ، الى التخصيص كما يقول سبحانه : **(خلق الانسان)** ، والانسان كالكلمة في هذه الآيات ، السابقة ، آيات الخلق .

والانسان هنا اسم جنس ، يدل

على الخاص والعام من نوعه ، حتى يأتي قوله تعالى : **(خلق الانسان)** على ذكر البشر في جملتهم وتفصيلهم ، كماهو الشأن في الكلام في جملته وتفصيله ، وهو يتركب من الجمل التي تشبه المجتمعات ، ثم يتركب من الكلمات التي تشبه الأفراد .

ونواصل قراءة هذه الآية فنجد قوله تعالى : **(خلق الانسان من علق)** والعلق كائنات دقيقة لم يرها الانسان الا في العصر الحديث مع اكتشاف المجهر الكهربائي .

ولكن الذي يهمنا هنا أنها تشبه في اللغة ، الحروف بكل ثباتها على خواصها وحركتها في الكلمات ، ثم حركة الكلمات في الجمل ثم حركة ذلك كله في الكلام كله ، كلما كانت هناك حاجة حقيقية الى الحركة الجديدة الهادفة النافعة ، في كلام الله او خلق الله .

أما صناعات البشر أو كلامهم فهم عاجزون أبدا في كل ذلك ، عن تحقيق مثل هذا الثبات وهذه الحركة ، او مثل هذه الاصالة وهذا التجديد .

ب ـ فلننظر كيف بدأ الله في تكليف عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم بقراءة الخلق ، مع ذكر تركيبه العام الشامل بكل أنواعه ثم خص الانسان بالذكر ، وهو نوع قائم بذاته بين كتاب الخلق بكل فصوله ، ثم العلق ، وهو كالحرف في تكوين كلمة الانسان ، أو إن شئت فقل إنه الجزء البسيط الذي يتركب منه الوجود الانساني ، بكل ما فيه من ثبات وحركة ، جعلها الله أساس معرفتنا ووجودنا ، نحن البشر .

ثم تتصل الآيات ، فيقول الله تعالى : **(اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)** فهاهنا ؛ يأتي ذكر القراءة اللغوية قراءة الحروف والكلمات والجمل ، التي تكتب بالقلم ، لتربط الأفهام ، بكل ما أمرنا الله به ، من عقيدة وقول وعمل ، وتبين لنا نواهيه في كل ذلك .

ـ السنة تكشف لنا أسرار الحروف :

لقد جعل الله تعالى تركيب آياته القرآنية قائما على هذا النظام ابتداء من النظر في الحروف المجردة كما نرى في فواتح السور ، ثم ننظر في تركيب الكلمات من الحروف ، ثم ننظر في تركيب الجمل والآيات والسور ، ثم نقيس الأشباه والنظائر بين مواضع كل هذه الأنواع كلما اقتضت كلمة الله أن تكثر مقاصدها ، فتكثر مواضعها بمقدار متفق تماما مع المقاصد والغايات .

والسنة المطهرة لا تضعنا في صميم هذا التركيب القرآني على نحو ما رأينا فيما سبق ، الا ليزداد ارتباطنا بالقرآن ، وعيا وثباتا وتجددا .

روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول (الم) حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف » .

وهذا التفسير للرسول صلى الله

عليه وسلم يبين لنا أنه لا سبيل للقدرة الانسانيــة على معرفـــة معانـــي الحروف ، لأنها أصوات مجردة لا يعلم معانيها الا الله وحده .

أمـــا اذا اتصلـــت الحــــروف بالكلمات ، والكلمات بالجمل والجمل بالآيات ، والآيات بالسور ، فهكذا يكون فهمنا للمعاني ميسرا كما يسره الله وجعله موافقا لأساليب معرفتنا ونحن نحيا في صميم هذا الوجود الكوني الذي نعيش في رحابه .

فلما كان البشر لا يستطيعون ان يفهموا معاني الحروف فقد اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالربط بين قراءتها وبين الثواب الذي أعده الله لذلك ، ولم يأت في كلامه ما يشير الى معانيها .

ولقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا التفسير بين الحروف المجردة وبين التراكيب التي ترتبط بها مع تنوع صيغ الكلام ، فقال صلى الله عليه وسلم :

« من قرأ حرفا من كتاب الله » وهذا يشمل التراكيب في الكلمات والجمل والآيات والسور .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : « لا أقول : (ألم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » .

وهكذا ربط الرســـول بذلك بـــين استقـــلال الحــــروف بأصواتهـــا المجردة ، وبين ارتباط كل نوع بما يرتبط به من انواع التراكيــب في الكلام ، وأنواع التراكيب المماثلة لها في آيات الله الكونية ، مع ما خص الله به القرآن ، من السمو على آيات الله الكونية ، بأنه لا مجال معه للهدم والبناء كما هو الشأن ، في الموت والحياة والبعث في حياة البشر ، كما قضى الله ذلك عليهم ، بكل ما يتصل بهذه الناحية من أحوال الكون المادي الذي يعيشون فيه ، وانما القرآن نور من نور الله ، يسره الله للذكر ، كما هو في ترتيب أجزائه وتركيبها ، فالقرآن وان كان في جملته نورا واحدا ، لا تبديل له ، ولا تحريف لمواضعه ، فهو في تفصيله يتضمن أنواعا كثيرة من وجوه العلم ، لا يحصيها أحد الا الله تعالى وحده لا شريك له .

وحتى يزداد الأمر وضوحا فان من الدليل العملي على التركيب المعجـز لفواتح الســور ، وهـــي الحـــروف القرآنية المجردة ، التـــي تأتـــي في القرآن غير مركبة في كلمات ، أنها تكثر في آيات السور التي نجدها في أولها ، كثرة لا مثيل لها في غير ذلك من السور . فلما كانت كلمات الآيات متنوعة في صيغها ، فقد دل ذلك على كثرة التنويع في حركة هذه الحروف بصيغ الكلمات ، من حيث ضبـط الحروف ثم من حيث مواضعها في كل كلمة .

فلننظر ــ مثلا ــ الى قوله تعالى : **(الر تلك آيات الكتاب الحكيم . أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربـهـم قال الكافـــرون إن هذا لساحر مبين)** يونس / ١، ٢ .

ونحن نجد هذه الحروف الثلاثة التي تتكون منها (الر) تكثر وتتنوع

من حيث الضبط والموضع في كلمات هاتين الآيتين من سورة يونس .

وليتأمل ذلك من شاء فهو ظاهر لا ريب فيه فهكذا تعمل الحروف على تنويع صيغ الكلمات وتجديد حركتها بين آيات القرآن .

ثم تعمل الحروف في فواتح السور ، وهي مجتمعة في صيغها على تجديد أنواع الارتباط من حيث المقاصد التي نحصل عليها كلما نظرنا في حركة (الر) ـ مثلا في مواضعها الخمسة في القرآن كله .

ففي الموضع السابق اتصلت (الر) بالكلام عن آيات الكتاب الحكيم ، أي الآيات التي نزلها الله بمواضعها من سورها ، ثم بمواضع أجزاء هذه الآيات من حرف أو كلمة أو جملة فحيثما وجدناها في آيات وسور أخرى ، فلا بد أن يصلنا كل جزء بجديد من المقاصد ، مع ما يرتبط به من سياقه في كل آية جديدة .

ثم ننظر في الموضع الثاني لفاتحة السورة (الر) فنجدها ثابتة على نصها مما يدلنا على أنها تركيب واحد لا يتغير ، كما نجدها قد تحركت حركة جديدة هادفة بدليل تجديدها لما نحصل عليه من مقاصد القرآن حيث قوله تعالى :

(الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) هود / ١ .

ومن الجديد بيان التفصيل للآيات أي كثرة مقاصدها بكثرة ما ترتبط به أجزاؤها بسياقها في كل موضع جديد أو ترتبط به هذه الآيات بجملتها اذا تعددت مواضعها مثل : **(ولقد يسرنا القرآن للذكر)** القمر / ٣٢ ، أو **(فبأي آلاء ربكما تكذبان)** في سورة الرحمن .

ومن الجديد هنا كذلك ذكر مصدر هذا الاعجاز في تركيب القرآن **(من لدن حكيم خبير)** ثم ننظر في الموضع الثالث لفاتحة السورة (الر) فنجد تنويعا في تجديد المقاصد **(الر تلك آيات الكتاب المبين)** يوسف / ١ .

ومن الجديد هنا ان وصف الآيات جاء دالا على أنها آيات الكتاب المبين . فالبيان أمر آخر غير الاحكام وغير التفصيل ، ولكنه متصل به ونتيجة من نتائجه .

وهكذا نلمح اتصال المقاصد التي تجتمع في أفهامنا ونحن ننظر في هذا التركيب القرآني المعجز ، اتصالا لا ينقطع مع التجديد والتنويع اللذين لا مثيل لهما في كلام البشر .

حتى إذا نظرنا في الموضع الرابع لفاتحة السور **(الر)** وجدنا قوله تعالى :

(الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) ابراهيم / ١ ومن الجدير هنا بيان مهمة الرسول في تلقيه للقرآن كما يقول تعالى : **(أنزلناه اليك)** وترتيبه لآياته وسوره كما أمره الله وعلمه ، وهذا مستفاد من قوله تعالى : **(أنزلناه)** لأن الانزال يعني في بعض دلائله التركيب بما فيه من ثبات النصوص ، وحركتها كلما تعددت مواضعها ، ثم تطبيقه في الحياة العملية حتى يخرج المؤمنين

من الظلمات الى النور كما يقول تعالى : (**لتخرج الناس من الظلمات إلى النور**) .

ولا شك أن القرآن قد أخرج الناس جميعا من الظلمات الى النور لأنه هو الكتاب الذي قضى على كل ظلمات الجهل ، وفتح للناس جميعا آفاق الحضارة والتقدم ، فضلا عن الذين آمنوا بالقرآن وعملوا به ، فهم قمة عالية في الوجود الانساني .

وأخيرا نصل الى الموضع الخامس والأخير لفاتحة السورة (**الر**) حيث قوله تعالى : (**الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين**) الحجر /١ .

ومن الجديد هنا أن هذه الحروف المجردة في أساس البناء في تركيب الكلمات القرآنية بكل ما في صيغها من حركة وتنويع وتجديد ، ثم تركيب الجمل من الكلمات ، وتتركب الآيات من كل ذلك ، فذلك من بعض العلم في قوله تعالى : (**تلك آيات الكتاب**) ثم يتصل المعنى حتى نجد قوله تعالى : (**وقرآن مبين**) أي أن تركيب الآيات كما سبق بيان ذلك ، منه تتركب السور ، ثم ترتب كما رتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن من ربه ، فيكون في ذلك أساس البيان في القرآن ذاته ، وفي ما يقوم على أساسه من السنة العملية والقولية للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قال الله تعالى : (**وقرآن مبين**) وهذا نفسه هو المنهج القويم للبحث العلمي في الكون كله .

ذلك أن المعرفة الانسانية لا تحصل على المضامين والمقاصد من آيات الله الكونية ، الا في تراكيب وأشكال متنوعة تبدأ من أبسط الأشياء كالذرات والخلايا ، ثم يتسع التشكيل ويتنوع ويتجدد ، فنبدأ نحن البشر بمعرفة الأشكال ، ثم نتعمق في مضامينها ومقاصدها .

وهذا هو النظام المستفاد من تركيب القرآن ودلالة السنة عليه .

ـ ثلاثة أنواع من القراءة :

وهكذا تعلمنا هذه الآيات التي كانت أول ما نزل من القرآن ثلاثة أنواع من القراءة وأساليب المعرفة التي يسرها الله لنا نحن البشر .

فأما النوع الأول : فهو قراءة آيات الله الكونية ، وآياته القرآنية في سعة وشمول واتصال وهذا النوع هو أساس كل قراءة فلا يستعاض بغيره عنه .

والمقصود بذكر آيات الله الكونية ، مع آيات الله القرآنية ، أن الله نزل القرآن ، لنقرأه ونحن على وعي بكل ما يخبرنا به من حقائق الكون والحياة ، مع وجوب التفرقة دائما بين المخلوقات المادية ، وبين القرآن وهو من علم الله .

وأما النوع الثاني : فهو قراءة الآيات الكونية ، والآيات القرآنية ، لنعرف أنواع الأجزاء المركبة كالجمل التي تتركب من الكلمات ، والكلمات التي تتركب من الحروف ، وبكل ما يتجدد من المقاصد ، كلما تعددت

مواضع أي نوع من ذلك .

والمقصود بذلك أن نكون على وعي بأن نظام التركيب واحد ، في كلام الله ، وفي خلق الله ، وان كانت المخلوقات ، خاضعة لما كتب الله عليها من الموت والحياة ، بينما القرآن باق على تركيبه الذي لا يزول .

وأما النوع الثالث : فهو قراءة الحروف التي تتكون منها هذه التراكيب .

والأجزاء الدقيقة في مخلوقات الله تتنوع مع كثرة الخلايا أو الذرات ، وتشبه حروف اللغة في تكوينها وكثرة حركتها فيما خص الله به كل نوع من أنواع خلقه ، فهو يتكاثر مع ثبات خصائصه التي تقوم على هذه الحروف الدقيقة ، فتركيب الأشياء منها هو الذي يجعلنا نرى كل نوع من انواع الخلق .

ولننظر مثلا الى كتلة من الذهب او الحديد او الرصاص ، فنحن نراها طالما ظلت متماسكة في تركيبها القائم على ذراتها .

ولنترك — بعد ذلك — العقل يتصور أن ذرات هذه الكتلة المركبة المتماسكة قد تناثرت ذراتها ، وتباعد ما بينها من الروابط الوثيقة .

فهل يمكننا أن نراها بعد ذلك ؟

الحقيقة أننا لا نستطيع ان نرى الناس يتحركون في أرجاء الحياة أو نرى الجبال والأنهار والأقمار والشموس ، والغابات الفسيحة ، إلا إذا كانت مركبة من حروف الذرات والخلايا ، كما وصل الله أجزاءها ، وجعل حواسنا ، همزة وصل بين وجودنا بينها ، ووعينا بها .

فاذا تفرقت الذرات والخلايا ، وهي دقيقة لا نراها إلا بالمجهر الكهربائي ، استحال هذا العالم الذي نعيش فيه غيبا لا يراه إلا الله وحده لا شريك له .

لذلك جعل الله الربط على القلوب ، همزة وصل بينها وبين الحقيقة مهما تتباعد دلائلها ، ويحجب الغيب أسرارها ، وتدق آياتها عن الأفهام .

يقول الله تعالى عن أهل الكهف :

(وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض) الكهف/ ١٤

ويقول عن أم موسى عليه السلام :

(إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) القصص/ ١٠

ويقول عن المؤمنين يوم بدر :

(وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام) الأنفال/ ١١

إننا أمام الاعجاز في الوحي الالهي ، الذي يتجلى في أن الله تعالى ، علم عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو النبي الأمي ، أنواعا من القراءة ، والعلم ، والتفسير ، ليست لأحد غيره ، وانما سبيلنا الى معرفتها هو اتباعه ، والأخذ عنه ، ولا سبيل الى هذا النور المبين ، الا بذلك .

وحسبنا في هذا البحث ان حاولنا — معا — ان نتبين معالم منهج كامل للتفكير الشمولي السديد ، بالقرآن والسنة معا .

التلازم بين التشريع السماوي ووجود الإنسان

الله سبحانه وتعالى حينما خلق الكون جعل له نظاما وقانونا بحيث لا يخرج عنه ، ونلاحظ أن الكون يسير على أسس وقواعد ، تحفظ له بقاءه واستقراره على أحسن وجه . فالشمس تشرق وتغرب ، ويتعاقب الليل والنهار ، والقمر له منازل لنعلم أول الشهر وآخره ، وعدد السنين والحساب ، قال الله تعالى : (**هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون . إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون**) يونس/ ٥ ، ٦

كما نجد أن الله خلق السماوات والأرض وما فيهما ، ونظم شئونها ، ودبر أمورها وسير حياتها بما فيه المصلحة ، ودوام المنفعة ، قال الله

الحلقة الخامسة

للدكتور محمد طموم

تعالى : (**إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون**) يونس / ٣ .

فاذا كان هذا شأن الله في الكون ، ومع جميع مخلوقاته ، فكيف يتصور تخلف ذلك مع أفضل مخلوقاته ، وهو الانسان ، الذي كرمه ، وسخر له الكون لخدمته ، فهو أولى بالرعاية ، وذلك بالتقنين له لتنظيم حياته واستقراره ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل كل مخلوقات الله في السماوات والأرض من جماد ونبات وحيوان وغير ذلك تعبد الله وتسبح بحمده ، قال الله تعالى : (**تسبح له السموات والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**) الاسراء / ٤٤ .

فاذا كان هذا شأن الله في الكون ، ومع جميع مخلوقاته ، فكيف يتصور تخلف التقنين والتنظيم والارشاد من أفضل مخلوقات الله ، وهو الانسان ، الذي كرمه وفضله ، وسخر الكون لخدمته ؟ فهو الأولى بالرعاية ، وذلك بالتشريع له ، والتقنين من عند خالقه ، حتى تنتظم حياته وتستقر .

قال الله تعالى : (**وإن الدين لواقع**) الذاريات / ٦ .

واعتقد أنه لا ينكر ذلك عاقل ، فضلا عن كونه مؤمنا بوجود الله .

وسأؤكد وجود التشريع السماوي من عند الله من بدء الخليقة ، وحتمية التلازم بين وجود التشريع الالهي ووجود الانسان الأول على الكرة الأرضية ، وأن الانسان الأول والأسرة الأولى رافقها التشريع السماوي ، وأن الله تعالى لم يتخل عنها لحظة من وقت أن وطئت الأرض ، ووجدت عليها ، وذلك بما يأتي :

١ ـ الخلافة :

قال الله تعالى : (**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**) البقرة / ٣٠ .

وقال تعالى : (**هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا**) فاطر / ٣٩ .

فالله سبحانه وتعالى جعل الانسان خليفته في الأرض ، وتعيينه خليفة يقتضي صدور الأمر له بما يجب أن يفعل ، ونهيه عما يشينه ويبعده عما كلف به ، وتوضيح الواجبات عليه ليؤديها ، والمعاصي ليتجنبها ، وهذا هو التكليف والتشريع السماوي .

٢ ـ التكريم :

قال تعالى : (**واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**) البقرة/ ٣٤ ، وآيات الاسراء/ ٦١ ، طه/ ١١٦ .

قال الله تعالى ـ على لسان إبليس عندما امتنع عن السجود لآدم : (**هذا الذي كرمت علي**) الاسراء / ٦٢ .

وقال تعالى : (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات**) الاسراء / ٧٠ .

فالله سبحانه وتعالى كرم الانسان ، وأمر بتكريمه ، وسخر له مخلوقات الله من جماد ونبات وحيوان ، والبر والبحر والجو ، وغير ذلك ، ومن التكريم أن ينظم الله حياته ، وذلك بالتقنين والتشريع له ، وإرشاده الى ما يحفظ كرامته ، حتى يحافظ على مكانته بين سائر خلق الله .

٣ ـ التفضيل

قال تعالى : (**وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء / ٧٠

فالله تعالى قد فضل الانسان بالعقل والعلم وغير ذلك ، واذا كان الله قد نظم الكون وما فيه من مخلوقات ، ووضع لكل منها قانونا تسير عليه ولا تتعداه ، فمن باب أولى أن يضع قانونا للانسان يسير عليه ، ويسترشد به في حياته ، لتستقيم شئونه ، ويسعد في حياته الدنيوية ، فتحسن آخرته ، فلا أقل من أن يتساوى مع غيره من مخلوقات الله في التقنين والتنظيم من عند الله ، ولا يتصور أن يكون أقل من بقية المخلوقات من جهة التقنين والتنظيم ، بل يستحيل ذلك عقلا وشرعا ، قال الله تعالى : (**أيحسب الانسان أن يترك سدى**) القيامة/ ٣٦

٤ ـ العبادة :

قال الله تعالى : (**وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ٠ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**) الذاريات/٥٦ ـ ٥٨ .

وقال تعالى : (**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله الا أنا فأعبدون**) الانبياء / ٢٥ .

الانسان خلق ليعبد الله وحده ، ولا يشرك به شيئا ، والعبادة هي طاعة الله فيما أمر ، والبعد عما نهى الله عنه ، ولن يتمكن الانسان من عبادة الله الا بمعرفة أوامره ونواهيه ، ولتحقيق ذلك لا بد من بيان هذه الأوامر والنواهي للانسان ، وتبليغها له ، وطريق ذلك إرسال الرسل بالشرائع السماوية ، قال الله تعالى : (**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**) فاطر/ ٢٤ .

٥ ـ عداوة إبليس للانسان وتحديه :

قال الله تعالى : (**فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك**) طه/ ١١٧

وقال تعالى : (**وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض**

مستقر ومتاع إلى حين) البقرة/ ٣٦ .

وقال تعالى : **(قال أرأيتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا . قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان)** الاسراء/ ٦٢ ــ ٦٥ .

وقال تعالى : **(قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين)** الحجر/ ٣٩ ، ٤٠ .

وقال تعالى : **(إن الشيطان كان للانسان عدوا مبينا)** الاسراء / ٥٣ .

في هذه الآيات الكريمة يبين الله عداوة ابليس للانسان ، واستمراره في هذه العداوة ، وإصراره عليها ، وحقده على الانسان ، وتحديه للانسان ، محاولا اثبات عدم أفضلية الانسان عليه ، وعدم طاعته لله ، وقد قبل الله تحديه للانسان ، وأعطاه قوة ، وسلطة الاغراء والتزيين لضعاف النفوس ، ثم أنزله مع الانسان ليعيش معه في الأرض ، فلا يمكن شرعا وعقلا ان يترك الله الانسان بدون إرشاد ، وبدون تبيين الطريق المستقيم ، ولذلك كان التشريع السماوي للانسان من أول وجوده على الأرض أمرا حتميا ، اقتضته عدالة الله تعالى .

٦ ــ حادثة ابني آدم قابيل وهابيل :

قال الله تعالى : **(واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء باثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)** المائدة/ ٢٧ ــ ٣٠ .

يبين الله لنا في هذه الآيات ما حدث لأول ذرية للأسرة الأولى ، الذي تكون منهم أول مجتمع إنساني على الأرض ، وبمتابعة الحوار الذي دار في هذه القصة ، بين قابيل وهابيل ــ ابني آدم ــ يتبين لنا أمور كثيرة ، يثبتها هذا الحوار ويؤكدها ، ونستخلص منها أن المجتمع الانساني الأول عرف أفراده ما يأتي :

أ ــ القربى والتقرب ، ووسيلة التقرب ، وعلامة القبول وعدم القبول ، ومن الذي يتقبل منه .

ب ــ التقوى وخوف الله ، والمعصية والاثم ، والظلم والاعتداء ، وجزاء ارتكاب المعاصي .

جـ ــ الله سبحانه وتعالى وشرعه ، وأوامره ونواهيه ، وهو الذي يتقرب اليه ، وهو الذي يقبل عمل المتقين ،

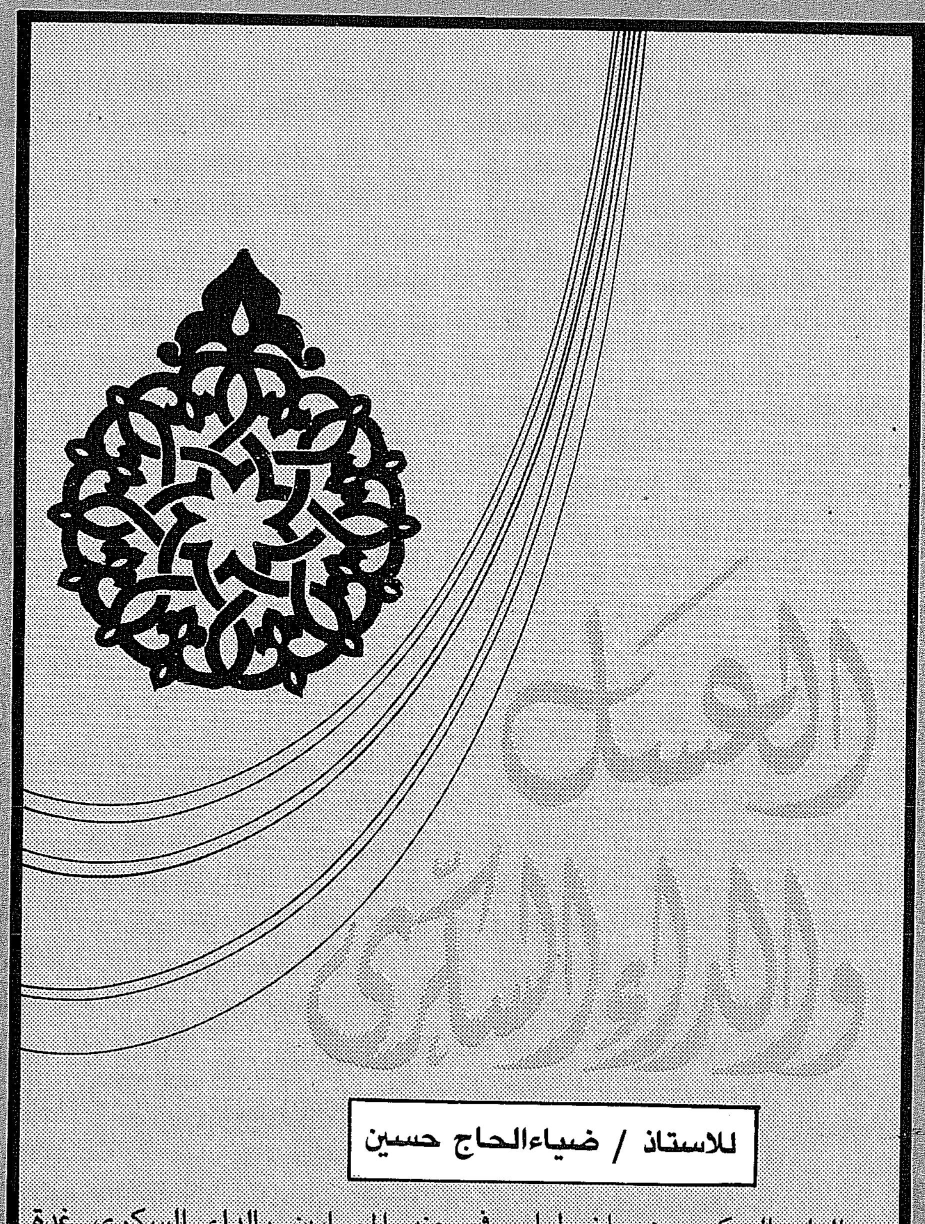
ومعصيته إثم وظلم ، وأنه الذي يحاسب .
د ـ اليوم الآخر ، والحساب ، والجنة والنار .
ومن كل هذا يتضح أن الله شرع للمجتمع الأول ، وبين لهم أحكامه ، ولم يتركه بدون تشريع ينظم حياة أفراده ، لأن هذه الأمور لا تدرك بالعقل .

٧ ـ تتابع الرسالات :

قال الله تعالى : (**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**) فاطر / ٢٤ .
وقال تعالى : (**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**) المائدة/ ٤٨ .
وقال تعالى : (**ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك**) غافر/ ٧٨ .
ثابت أن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل الى الناس في عصور وأزمنة مختلفة ، وأمكنة متعددة ، وقد تتابعت الرسالات واستمرت ، حتى ختمت برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد بعثه الله الى الناس كافة ، والى يوم القيامة ، فاذا كان هذا إرادة الله مع الناس ، وعنايته بتنظيم حياتهم وشئونهم حتى نهاية الدنيا ، فذلك دليل على عناية الله واهتمامه بأول مجتمع إنساني على الأرض ، لأن حاجته إلى التقنين والتشريع أشد ، بل هو أولى . فكان إرسال الرسل واستمرار الرسالات حتى يوم القيامة ، دليلا على بدء حياة الانسان على الأرض بالرسالة والتشريع الالهي .

٨ ـ حساب الانسان :

قال الله تعالى : (**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**) الاسراء / ١٥ .
وقال تعالى : (**يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد . ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم**) المجادلة / ٦ ، ٧ .
وقال تعالى : (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**) الزلزلة / ٧ ، ٨ .
في هذه الآيات الكريمة ، وغيرها من الآيات ، يبين الله سبحانه وتعالى أنه سيحاسب كل فرد على عمله ، خيرا أو شرا ، وعدالة الله تقتضي أن يبين للناس أوامره ونواهيه قبل حسابهم ، وذلك بالتشريع لهم وإرسال الرسل ، فدل ذلك على أن التشريع الالهي يبدأ مع بدء حياة الانسان على الأرض ، وينتهي بانتهاء حياة الانسان على الأرض .
ومن كل ما سبق يتبين لنا حتمية التلازم بين التشريع السماوي ووجود الانسان على الأرض .



للاستاذ / ضياءالحاج حسين

الداء السكري هو اضطراب في عملية الاستقلاب الغذائي ، وخاصة استقلاب ماءات الفحم ، ويحدث نتيجة قصور في غدة خاصة تقع تحت المعدة مرتبطة بالقناة الهضمية ، تدعى المعثكلة (البانكرياس) فهي عند المصابين بالداء السكري غدة متعبة لا تنتج كفاية البدن من الانسولين مما يؤدي ببدن المصاب لعدم استفادته الكاملة من (السكاكر) ، ويطرح الفائض منها مع البول خارج الجسم ، ويرى

العالمان Beck و Smedly في كتابهما :

« Honey & your Healt » والذي صدر في Bantam في نيويورك عام ١٩٧١م .
بأن داء السكري ينجم عن تصلب المعثكلة والتهابها نتيجة الافراط في تناول السكر الصناعي وكذلك ملح الطعام ، ويورد العالمان المذكوران تجربة (أريما) Arema الياباني التي اجراها على نفسه في طوكيو ، ولم يكن يشكو طيلة حياته من الداء السكري ، وفي عام ١٩٤٣ أخذ يفرط عن عمد في تناول ملح الطعام ، فبدأ يعاني من كثرة التبول أعقبه إصابة بالداء السكري .

وقد كرر التجربة مرة ثانية فتكررت نفس النتيجة ، والعالم Areman وصف الانسان المتمدن بأنه « مخلل أو كبيس بالملح » وهو يعتقد أن الاصابات المبكرة في الشرايين والشيخوخة يسببها « الملح » . وكثير من علماء التغذية ضد استعمال

الملح ، وينسبون له حين كثرته في الطعام التصلب والخمول لأن المخ والاوعية والعضلات والعيون والأجهزة التناسلية وغيرها ، تفقد مرونتها وتصبح قاسية ثم تتكلس وبالمثل نجد أن السكاكر المصنعة كالسكر العادي له نفس التأثير الضار .

ويعتبر نقص الغلوكوجين من أهم مظاهر الاضطراب في الداء السكري ، ويختزن الغليكوجين عادة في العضلات والدم ، وعلى الاخص في الكبد التي تعتبر بنك الادخار الرئيسي لتخزين هذه المادة ، ثم يستعمله البدن كأهم مصدر للطاقة على شكل سكر عنب .

والبدن المصاب بالسكري والعاجز عن حرق سكر العنب ، يضطرب عنده ايضا استقلاب الدهن لان المواد الدسمة ــ كما يقال تحترق بلهب السكريات . وعدم الاحتراق الكامل للدسم في الجسم يكون الحموضة الامينية غير المؤكسدة التي تدعى بالحلول Aceton وهذا يؤدي الى اضطراب في التوازن الحمضي ــ القلوي في العضوية وتستنزف في النهاية كل مدخراتها القلوية . ثم إن لاستقلاب السكاكر أهمية كبيرة للمراكز الدماغية ولتمثلها عملا هاما في الفعالية الكيمائية للخلايا الدماغية ، ويبدو ذلك واضحا من استعمال الانسولين لمعالجة مختلف الاضطرابات العقلية . وأن نقص السكر عند المصابين بالداء السكري والانقباض النفسي وحالة السبات Coma التي قد تنتهي بالموت ، تدل على ما لتمثيل السكر من اهمية في نشاط الخلايا الدماغية واستعمال الانسولين « هرمون المعثكلة » يصلح الوضع المرضي عند السكريين ويحول ماءات الفحم الى غلوكوجين ، فالانسولين ملحق في معالجة الداء

السكري ، ولكن ليس وسيطا للشفاء ، واستعماله عملية شاقة . اذ يتحتم على المصاب ان يحقنه في اوقات خاصة كما أن جرعته أو كميته يجب ان تتناسب مع نوعية الطعام ودرجة تحمل المصاب ... الخ ، وكلها اجراءات تتطلب المزيد من الوقت والمصروف والجزع عند استعماله ، وتشترك فيها الكيمياء مع الحساب كما نرى .

ولهذا فكل مادة تستعمل في الحالات المتوسطة عن طريق الفم لتحويل السكاكر الى غلوكوجين لا تقدر بثمن . وان الاستغناء عن استعمال الحقن المزعجة تحت الجلد يكون بحد ذاته خدمة للمريض واراحة له لا يقدر ثمنها .

وعلاوة على هذا فلوسئل المصابون بالسكري فيما إذا كانوا راضين عن نوعية الطعام الذي يمكنهم تناوله لأجابوا بصعوبة تحمل هذه الحمية لحرمانهم من تناول السكريات طيلة العمر .إن العسل والسكر المكرر مختلفان كثيرا ليس في تركيبهما الكيماوي فقط بل وفي تأثيرهما الغريزي (الفيزيولوجي) أيضا .

وان احتواء العسل على سكر محول (Innerted Sugar) يوفر على العضوية القيام بعمل لتحويل السكر التجاري . وهذا عامل هام وله منفعة تستحق الاهتمام . وبالنسبة لداء السكري فهناك اختلاف كبير بين العسل والسكر كما أن هناك اختلافا بين سكر الفواكه وسكر العنب .

وسكر الفواكه يشكل جزءا هاما اذ تبلغ نسبته حوالي ٤٥٪ من تركيب العسل وهنا يجدر بنا أن نسرد نتائج ابحاث كوخ Koch وبوم غارتين Boumgarten اللذين وجدا أن إعطاء السكر المقلوب أوالمحول (Innerted Sugar) ومنه سكر الفواكه بالوريد لا يرفع سكر الدم الا بمقدار ضئيل اقل بكثير من ارتفاعه بعد اعطاء سكر العنب . كما وجد هذا العالمان أنه بعد إعطاء محاليل العسل وريديا فان مستوى سكر الدم يهبط أيضا !! وقد ربطا هذه الظاهرة بفعل نوعي للعسل . ولقد قام العالمان كيليان وتوبياس من جامعة فرانكفورت بالمانيا الغربية بسلسلة من التجارب هدفها اثبات إمكانية استعمال العسل كمادة للتحلية لدى المصابين بالسكري ، وإعطا كمية متعادلة من عسل النحل وسكر العنب (نفس المعادل الكيمائي) لاشخاص أصحاء وآخرين مصابين بالداء السكري .

فعند المجموعة الاولى (الاصحاء) عوير سكر الدم مرتين الاولى بعد اعطاء ٥٠ غ من سكر العنب ، والثانية بعد مضي يومين وبعد اعطاء ٦٢ غ من العسل (وهي المعادل الكيمائي لـ ٥٠ غ من سكر العنب حسب جداول شال) فتبين أن

سكر الدم يرتفع بعد اعطاء العسل بشكل أسرع قليلا عنه بعد اعطاء سكر العنب وهبوط سكر الدم بعد فترة يكون اسرع قليلا في حالة اعطاء العسل منه عن حالة سكر العنب .

وعند المجموعة الثانية (المصابين بالداء السكري) وجدا اختلافا بين ارتفاع مستوى السكر الوسطى عند من تناولوا سكر العنب وبالعكس لوحظ هبوط مستوى سكر الدم الوسطى عند بعض من تناولوا العسل اذ في ٥٠٪ من المصابين هبط سكر الدم بعد ١٨٠ دقيقة من تناول العسل الى ما تحت المستوى الاصلي وقدبين هذان العالمان بأن إعطاء السكريين مقدار ٢٠ غ عسلا صباحا و ٢٠ غ بعد الظهر (دون تغيير في كمية الانسولين أو نوعية الحمية): لا تؤثر بصورة ملحوظة على مستوى سكر الدم اليومي عندهم وكذلك أكدا بأن أنواع العسل المختلفة لها تأثير مختلف أيضا . فالعسل الصيفي حيث لا تطعم النحلة غير رحيق الازهار هو عسل ممتاز للسكريين ونتائجه جيدة بينما العسل الشتوي (حيث يطعم النحل السكر العادي) لا يناسب السكريين لاحتوائه على نسبة مرتفعة من السكر العادي أو سكر القصب .

ولقد تابع الدكتور ستويمير ملادينوف S Mladenov من صوفيا عام ١٩٧١ تغير مستوى السكر في الدم والبول عند ٥٠٠ مريض بالطرق التنفسية مع مستوى سكر دموي بالحدود الطبيعية كانوا خاضعين للمعالجة بالعسل ، وقد تناول الواحد منهم من ١٠٠ ــ ٥٠٠ غ من العسل يوميا وطيلة عشرين يوما . ففي خلال هذه الفترة لم يرتفع مستوى السكر الدموي بل بالعكس انخفض من ١٢٧,٧ غ / ل إلى ١٢٢,٧ غ / ل أما في البول فلم يلحظ له أي أثر وقد نشر الدكتور (دافيدوف) الروسي في مقاله (العسل والداء السكري) . مجلة الطبيب الروسي عدد ٢٦ لعام ١٩١٥ م خلاصة في استعمال العسل لمرضى السكر ، فبين ما خلاصته أن استعمال العسل لمرضى السكر مفيد جدا في الحالات التالية : ــ

(١) كنوع من الحلوى ليس لها ضرر (٢) كمادة غذائية تضاف الى نظام المريض الغذائي ، لأن المريض إذا تناول العسل لا يشعر بعده بأي رغبة في تناول أي نوع من الحلوى المحرمة عليه ، وهذا عامل مهم في الوقاية (٣) كمادة مانعة لتحلوية الدم (وهو مادة الاسيتون الخطرة في الدم) اذ ان ظهور الاسيتون في الدم يحتم استعمال السكريات ، واتباع نظام أكثر حرية في الغذاء على الرغم من مضارها للمريض ، وذلك للحيلولة دون استمرار وجوده .كمادة سكرية .. لاتزيد ، بل على العكس تنقص مدة إفراغ سكر العنب وأطراحه في بول المصابين بالسكري .. وقد تم اكتشاف تغير ذلك علميا بعد أن تم اكتشاف (هرمون) مشابه (للانسولين) في

تركيب العسل الكيمائي وان سكره هو سكر الفواكه .

والدكتور امريك من بلدة ايتون بأوهايو – الاخصائي بمعالجة السكري ، استعمل العسل بنجاح مع الراتب الغذائي لأكثر من ٢٥٠ مريضا – وشهرة الدكتور غوس من بلدة Middle Perry انه كان يعالج السكريين بالعسل . والمعروف ان المرضى يأتون اليه للمعالجة وهم ضعاف منهكون . وبعد برهة يستعيدون وزنهم ونضارتهم ويستطيعون السير لأميال وفي الكتاب الذي نشره كل من بيك وسمدلي في كتاب (Honey your Health) وصف لكثير من الحالات المرضية يبين ان العسل قد تحمله المصابون بالداء السكري واعطاهم القوة اللازمة منها :

(١) حالة السيد غ . ج من بلدة كاوكونا بولاية وسكنسون الامريكية .

(٢) وكذلك حالة السيد ف . د . وزوجته كانا مصابين بالسكري وبعد المعالجة عند العديد من الاطباء وعدم الاستفادة ، لجأ هذان الشخصان الى العسل والى الفواكه بكثرة فأصبحا معافين .

وفي عام ١٩٣٩ درس البروفسور فاتيف Vatev من كلية طب صوفيا التأثير الدوائي للعسل على الاطفال المصابين بالداء السكري وتوصل بالنتيجة الى القول : لقد تبين لي بشكل لا يقبل الجدل حسن تأثير العسل على سير الداء السكري ، فقد عالجت ٣٦ طفلا مصابا بالسكري وحصلت على نتائج جيدة ، ولقد كنت أعطي الطفل المصاب ملعقة شاي واحدة من العسل قبل كل وجبة طعام « أي ٣ ملاعق شاي يوميا مع تطبيق الحمية الخاصة المعروفة » .

وينصح البروفسور ايوديش ١٩٦٦ السكريين بتناول العسل ، وخصوصا ما يسميه « العسل الفيتامين » والذي حضر خصيصا للسكريين من قبل « معهد الفيتامينات للابحاث العلمية التابع لاكاديمية العلوم الطبية السوفياتية » . والعسل الفيتامين هو عسل نحل طبيعي ويفضل عسل التفاح والحمضيات . مضافا اليه بطريقة خاصة مجموعة الفيتامينات ب وخصوصا ب أ و ب ب وفيتامين C والتي تبدي تأثيرا حسنا على استقلاب ماءات الفحم في عضوية المصاب بالسكري . والعسل الفيتاميني يعطي بدون شك – كما يرى أيوديش – فائدة كبيرة للسكريين ، حتى إن بعضهم أمكنه الاستغناء مطلقا عن حقن الانسولين .

ونحن نرى أن المصابين بالداء السكري يمكنهم أن يجربوا ما ورد في هذه الصفحات على لسان عدد كبير من الاطباء والباحثين ، إلا أنه بدون شك يجب أن يتحروا العسل الصافي الخالي من الغش ، وأن يتأكدوا من أن النحل لم يطعم السكر العادي . وأن تجرى المعالجة تحت إشراف طبيب اختصاصي .

هَذا هوَ

للشيخ/ معوض عوض ابراهيم

أخذ انقضاء القرن الرابع عشر للهجرة النبوية وابتداء القرن الجديد شيئا من اهتمام المسلمين ، تمثل في بعض المحاضرات والخطب والأحاديث المسموعة والمقروءة ، وأحفال أقيمت في عدد من المدارس والمؤسسات العامة ، ثم أسدل الستار ، ومضى الى طيتهم الذين أسهموا في كل هذه الأعمال والأحفال قبل أن يتواصوا بابراز عبر حادث الهجرة ودروسه بعامة ، منائر هادية راشدة للناس ودون أن يردوا الأبصار والبصائر الى ما في مرور أربعة عشر قرنا على الدين العظيم من عظات لابد أن تؤخذ ، في ظروف كان الاسلام فيها يحكم دنيا الناس ، فكانوا به خير أمة أخرجت للناس ، وأحقاب كان أهل الاسلام فيها أبعد ما يكونون عن دينهم ، حين فتحت عليهم الدنيا ، وتنافسوا في احراز حطامها أو السقوط في شهواتها سقوط الذباب في الشراب ، فتداعت عليهم الأمم ، وكان أمرهم فرطا كما يعرف ذلك في بعض مراحل الماضي ، ويراه في بعض جوانب الواقع من يرى ويسمع ويقرأ التاريخ .

ولقد استقبلت بعض دول الاسلام مطلع القرن الخامس عشر للهجرة بنشاط اعلامي مكثف ، ومؤتمرات ومقررات ينجزها القوم على المدى القريب في العام الأول ، وعلى المدى البعيد في خمسة أعوام !! ولو أن هذه المقررات خرجت الى حيز التنفيذ لكانت شيئا ذا بال ، في رد الناس الى دينهم ، وشد الأواصر فيما بينهم ، والانطلاق بذلك الى ما يشبه اليقين — إن لم يكنه — بأن عزة المسلمين في الاعتصام بحبل الاسلام ، والتزام هدايات هذا الدين ، واستلهام سيرة أوائلهم ، ومواصلة المسيرة التي بدأوها في نور القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فكانوا أهل سنة الله تعالى في قوله :

(واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) الأنفال/ ٢٦

وما زال في الامكان أن توفي الدول والهيئات بما وعدت ، وأن يتراءى ذلك

الطريق

واقعا ينير المسالك ، ويهدي الحيارى ، وينبه الذين كأنهم في بعض الحال الذي يقول له من قال سكران : سكر هدى وسكر مدامة .. ومتى إفاقة من به سكران !
حتى لا يكون القوم ممن قال فيهم رب العالمين :
(يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) الصف/٢و٣
ان الاسلام الذي هاجر به النبي صلى الله عليه وسلم هو الاسلام الباقي كتابا وسنة وسيرة رجال ، سلكهم الله مع مصطفاه في مجال الاشادة به وبهم فقال سبحانه :
(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطاه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) الفتح/٢٩

ولقد وصل هذا الصف الكريم في اعصار وأمصار رجال ونساء تتعطر بسيرتهم الحياة ، ويبقون عدة النبي صلى الله عليه وسلم ومبعث فخره في قوله : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » والحديث أخرجه مسلم حتى ذكر أقواما يأتون من بعدهم « يظهر فيهم السمن » وهؤلاء الخلوف تقع عليهم الأعين بدون عسر في مواقع نوات عدد من المجتمع : عبيد دنيا مؤثرة ، وشهوات مدمرة ، وأنانيات لا تصل أصحابها واصلة بالأنصار الذين هاجر اليهم المسلمون ، فأنزلوهم االصدور والدور على سواء ومجدهم الله في الذكر الحكيم فقال :
(والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) الحشر/٩
وليس عسيرا أن يثوب الناكبون عن طريق الاسلام الى رشد ، وأن يفيئوا الى أمر الله ، ولا عذر لهم ان لم يسرعوا التوبة ، ويتعجلوا الى دينهم

الأوبة ، فهم خلف لسلف راشد ، ان كان قد خالط حياتهم من الغفلات ، وعراهـــم ما عراهـــم من كدر الشهــوات ، فانهـــم بعنصرهـــم الأصيل ، واصلهم الماجد ، يشيعان الأمل في غد قريب يكونون فيه خير خلف لخير سلف ؛ بالعمل لا بالانشاد والتمني والأمل ورحم الله اسماعيل صبري فهو يقول لواردى النيل ..

لا تقربوا النيل ، ان لم تعملوا عملا
فماؤه العذب لم يخلق لكسلان

وأين هؤلاء من واردي الاسلام أكرم مورد ؟ ! ان عطاء الاسلام يتجدد ، ولا ينفد ، وان المسلمين قد عرفوا اقبال الحياة وإدبارها ، وذاقوهــا أذاويق صافية ، أو كدرة بقدر ما عاشوا بالاسلام ، أو عاشوا بالأهواء والأوهام !!

وما ينبغى أن يمضي قرن هجري ، ويقبل آخر ، ونحن في مفترق الطريق في أماكننا لم نتقدم بالاسلام خطوة تؤهلنا لخطوات على صراط الكمال الممكن ، أو ــ في أقل القليل ــ ونحن لا نذكر دواعي التخلف والنكوص على الأعقاب ، لننطلق بعلم وايمان الى مراد الله عز وجل من الأمة التي قال الله فيها :

(كنتم خير أمة أخرجت للنـــاس تأمرون بالمعــروف وتنهــون عن المنــكر وتؤمنـــون باللــــه) آل عمران/ ١١٠

ولا ريب في أن الاسلام قد منـــي بقواصم الظهــور ، وكاد له عبــر الدهور أقوام بما كان بعضه يكفي في استئصاله كلا أو بعضا ــ كما قال الدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز ــ رحمه الله ، وذهب أولئك الأعــداء وبقى الاسلام مصــداق عدة اللـــه تعالى :

(ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون . ليميز الله الخبيــث من الطيــب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنــم أولئـــك هـــم الخـــاسرون) الأنفال/ ٣٦و٣٧

أجل بقى الاسلام ــ وسيبقى عدة الله التي تجدد للمتشبثين به عهد الله ووعده بأن يذكر من يذكره ، وينصر من ينصره ، ويضاعــف خــيره لمن يشكره ــ وذهب كأمس الــداء من كادوا للاسلام ومــكروا ، وعــرف الناس أفراخا لهؤلاء الذين مضوا ولا كرامة ، تتسلط عليهم الأضواء في شتى الأنحاء ، وهم أحقر وأدحر من أن يزعجوا الخواطــر أو يزعزعــوا البصائر ان نحن أخذنا الاسلام مأخذ الجــد ، وأنزلنــاه منــزل الهيمنــة والتوجيه لمسيرة المجتمع ، ثقة بأنه شرع الله ودينه العاصم من كل كيد وشر وضر ..

ومن الجديد الذي أشعــه قيــد الأنظار بمناسبة حفل النادي الثقافي الهندي في الكويت باطلالة القــرن الخامس عشر الهجري ، أن جيمس الأول ملك الانجليــز أرســـل الى الامبراطور المسلم في الهند رسولا بعد

أن قامت الشركة الشرقية الهندية الانجليزية ، وسيلة لتغلغل الانجليز في القارة الهندية ، فأهمل « جها نكير » رحمه الله ، رسول جيمس مدة عامين ، ولم يأذن بلقائه ، وتوسل الرسول الى رئيس الوزراء أن يعينه على أن يعود بكتاب من الامبراطور الى مليكه ، وكان رد الرئيس على مستوى اهمال الامبراطور للرسول الانجليزي اذ قال له « ان مما لا يناسب قدر ملك مغولي مسلم ، أن يكتب كتابا الى سيد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون » !! .. وهو اعتزاز بالاسلام ، نتساءل أين مثاله في دنيا الذين يقول كتابهم (**أشداء على الكفار رحماء بينهم**) كان ذلك في أوائل القرن الحادي عشر للهجرة ، وكان الاسلام يهيمن على القارة الهندية عبر ثمانية قرون ، واشعاع الاسلام يصل ما بين بلاد العرب وبلاد الهند وقوافل التجارة متصلة والتجار بايمانهم وسلوكهم الاسلامي ، وجهودهم الشخصية تعمق إيمان الاخوة في الديار النائية التي تلامس رءوس أهلها السماء ، لو أرادوا بجدارة ، فآثارهم العلمية وعنايتهم بكتب السنة والسيرة والفقه وغيرها تشغل حيزا ضخما في المكتبة الاسلامية بلسان القرآن ولغة العرب التي تكاد تحس وحشتها وغربتها في مؤسسات علمية وفى نواد وجماعات ثقافية في بلادنا العربية .

وكم كنت سعيدا وأنا أصغي بكل ما أملك من اصغاء وانصات الى شاب هندي كان يقرأ سورة « ق » في حفل النادي الثقافي الهندي ، بمستوى من القراءة حفظا وتجويدا وأداء ، وودت أن يطول ويتصل ، وأن يسمعه أساتذة لهم في ميادين العلم اعتبار ، ليتعلموا من أحد أبناء الاسلام في الأفق البعيد . كيف يقرأ القرآن ؟ !!

.. وبعد فهل قضينا حق الاسلام بما قيل عنه وكتب في هذه الأيام ؟ لئن كان ذلك هو الوفاء للدين الذي يرجح بكل هبات الله تعالى لكان الوفاء شيئا هينا يسيرا ، لكن الأمر ليس كذلك ونحن بعد كل ما قيل وكتب نرى دنيانا كما قيل

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

ان الوفاء في أيسر صوره وأشكاله للرسالة الخاتمة ، وللدين الذي أكمله الله وامتن به على المسلمين فقال (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة/٣

هذا الوفاء يبقى زعما ودعوى حتى نراجع هذا الدين ، ونرجعه ليحكم مسيرة هذه الأمة بدون استثناء حكم من أحكامه أو قضية من قضاياه في السياسة والاقتصاد والادارة ونحن نطلب النصر بأسبابه من كتاب الله تعالى :

(**ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**) الحج/٤٠و٤١ هذا هو الوفاء لأنفسنا ، وهذا هو الطريق !!



ردّ على مقال

الصرف وبيع

أحمد الله تعالى وأستغفره وأعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأصلي وأسلم على خير الانام محمد وعلى اله وصحبه والتابعين لهم باحسان ، وبعد : فقد جاء في العدد ١٩٢ من الوعي الاسلامي الصادر في اول ذي الحجة ١٤٠٠ هـ الموافق اكتوبر ١٩٨٠ م مقال عنوانه « الصرف وبيع العملات » للدكتور الفاضل علي أحمد السالوس ، وذكر الدكتور في مقاله انه استمع الى شريط مسجل فيه فتوى بجواز بيع الاوراق النقدية باوراق نقدية اخرى باجل مع جواز الزيادة في مقابلة الاجل على طريقة ما يسمى « بيع السلم » المباح شرعا بنص الحديث وذكر الدكتور ادلة على تحريم هذا النوع من التعامل في العملات وعلى انه الربا الذي حرمه الله تعالى تحريما قطعيا وتوعد فاعله بالحرب والمحق لما اصابه من مال نتيجة ذلك . وقبل البدء في الرد على المقال المذكور وايضاح وجهة نظري ابادر فاقول :

١ ـ أشكر للدكتور على غيرته وجهده في محاولة تبصير المسلمين بالحرام والحلال في معاملاتهم المالية التى أصابها من غبار الحرام شيء كثير جدا سوى ما ذكر .

٢ ـ أرجو كل عالم غيور أن يتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » فيحاول التيسير ما وجد الى ذلك سبيلا تدعمه الأدلة .



العملات

للشيخ/ حسن محمد أيوب

٣ - لا يليق بعالم أن يحكم بخطأ غيره إلا إذا لم يجد له في فتواه مستندا من الأدلة ولا قائلا برأيه من أئمة الأمة الاسلامية ، فان كان له مستند ومعه غير الامام الواحد أئمة يقولون بقوله فان تخطئته حينئذ هي الخطأ بعينه :يمكن أن يقال : هذا رأيه ولا نوافقه عليه . ولا يجوز أن يتهم بأنه أحل الربا وأنه معلن من الله ورسوله بالحرب .... الخ .

٤ - إن الرجوع الى الكتاب والسنة وإلى تصرف الفقهاء في الأدلة واستنباط الأحكام فيها مع التعمق والصبر في البحث لو حدث مع النظرة العملية إلى واقع المسلمين والتطورات التي حدثت في عصرنا هذا لغير كثير من العلماء من آرائهم وتركوا المغالاة المعوقة والوقوف على صخرة الجمود التي أوقفت حركة المد الاسلامي قرونا عديدة .

وقد كان فقهاؤنا يغيرون من اجتهاداتهم حسب ما يظهر لهم من ضروريات ومقتضيات . والشافعي في مذهبه القديم والجديد ، واحمد في آرائه المتعددة حول المسألة الواحدة ، وأبويوسف ومحمد وغيرهم أمثلة على ما ذكرته .

٥ - هناك أمور كثيرة أخذ بها المشرعون في الوصية والزواج والطلاق وغيرها لم يقل

بها أحد من الأئمة الأربعة ولا جمهور الفقهاء ، بل كانت شاذة في نظرهم أو محاربة ، ومع ذلك حين وجد المشرع أن الأمر يستدعي الأخذ بها لم يتوان في ذلك .

والأمثلة على ذلك كثيرة : منها الوصية الواجبة ، وعدم إيقاع الطلاق المعلق ، وإيقاع الطلاق الثلاث في لفظة واحدة طلقة واحدة كما هي الفتوى في محاكم مصر وفي السعودية وغيرهما .

٦ ـ وإذا كنت أنا صاحب الفتوى والشريط فاني أذكر لاخواني من العلماء الفضلاء ومن القراء الأعزاء ، وجهة نظري والأدلة التي اعتمدت عليها ، وردي على الدكتور الفاضل الجليل /على أحمد السالوس ليقولوا رأيهم والحق أحق أن يتبع « وهو بحث يحتاج إليه الجميع » .

الأصل الذي يدور من حوله النقاش

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث أنه نهى عن بيع الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، إلا اذا كان البيع يدا بيد مثلا بمثل على معنى أن تسلم الفضة وتأخذ وزنها فضة بدون أي زيادة أو نقص وبشرط أن يحصل التسليم والتسلم عند العقد وفي مجلسه ، فان سلم أحد زيادة أو نقص شيئا ولو يسيرا جدا فان هذا يعتبر ربا حراما والتبادل يكون باطلا ، وكذلك لو سلم أحدهما الفضة التي معه ولم يأخذ مقابلها في المجلس ، على معنى أنه انصرف قبل قبض هذا المقابل ، فان هذا يجعل المعاملة ربوية وتصير باطلة شرعا ولو كان الانصراف من أجل إحضار المبلغ من مكان قريب بحيث لا تتجاوز مدة التفرق خمس دقائق أو أقل منها .

فان كان التعامل عبارة عن فضة بذهب سقط شرط المماثلة في الوزن وبقي شرط التقابض في المجلس ، فان لم يحدث تقابض بطل التعامل وصار ربويا ، وهذا الكلام ينصب على باقي الأصناف المذكورة في الحديث : وهي القمح ، والشعير ، والتمر ، والملح .

فمن باع قمحا بقمح ، أو شعيرا بشعير ، أو تمرا بتمر ، أو ملحا بملح وجب على البائع والمشتري أن يكون القمح الذي أخذه مساويا للقمح الذي دفعه تماما في الكيل ، وأن يحصل التبادل في المجلس ، فأن اختل شرط فقد حصل الربا وبطل البيع الذي حدث بينهما ولو كان أحدهما جيدا والآخر رديئا ، أو أحدهما سليما والآخر به آفة ، أو أحدهما قديما والآخر حديثا . كل ذلك وغيره لا قيمة له ولا يؤثر في هذين الشرطين ، ولذلك عليه أن يتخلص من التورط في الربا بأن يبيع البر الردىء ويشتري بالثمن البر الجيد ، ويبتعد عن بيع بر ببر ، أو شعير بشعير الى

آخر ما ذكر .

أما إن باع قمحا بشعير أو بتمر أو بملح فانه تجوز زيادة أحدهما عن الآخر بشرط التقابض في المجلس وإلا حدث الربا .

تصنيف الفقهاء

والفقهاء أخذا من النصوص الواردة جعلوا هذه الستة قسمين كل قسم له أحكامه الخاصة به : فالذهب والفضة قسم ، والأربعة الباقية قسم . لأن الذهب والفضة من الموزونات وهي مخلوقة لتكون أثمانا للأشياء .

أما البر والشعير والتمر والملح فهي من المكيلات ومن الأطعمة وسمى الفقهاء الباب الذي يجمع أحكامه التعامل بالذهب والفضة بعضهما ببعض باب « الصرف » وذكروا أحكامه كما سبق .

وجميع الفقهاء اتفقوا على أن هذه الأصناف الست المذكورة في القسمين السابقين هي أصناف ربوية ، بمعنى أن فقد شرط مما سبق ذكره يجعل المعاملة ربوية محرمة : وهذا غير الربا الذي عرفه الناس وربما لم يعرفوا غيره ، وهو أن تعطي إنسانا مبلغا قرضا على أن يرده إليك زائدا نسبة معينة ، أو تقول له عند حلول الأجل : أزيدك في المدة وتزيد في المبلغ الذي عليك . وهو الربا الذي كان في الجاهلية والمذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى « وأحل الله البيع وحرم الربا » ولذا قال : « فان تبتم فلكم رءوس أموالكم » .

على أي شيء اختلف الفقهاء ؟

رأى بعض الفقهاء أن النبي صلى الله عليه وسلم شدد في تحريم الربا وجعله من الكبائر ، وأمر هذا شأنه لا بد وأن يبينه النبي صلى الله عليه وسلم تبيينا كاملا ، وهو لم يبين إلا هذه الستة فيجب الوقوف عندها ، خصوصا وأنه كانت توجد في زمنه أطعمة كثيرة غيرها فلم يذكر شيئا منها مع هذه الأصناف التي كرر ذكرها في عدة أحاديث تزيد على عشرة ، كما أن الاقتصار عليها فيه رحمة بالناس وتخفيف عليهم ، ورفع الحرج عنهم في أمور تفاصيلها يعجز عن فهمها المتعلمون فما بالكم بالآخرين ؟

ورأي أكثر الفقهاء أن التحريم في هذه الأصناف لعلة ثم أخذوا يبحثون عن العلة ، وعن نوع العلة ، وعن مصدر العلة ، فاختلفوا اختلافا كثيرا زاد على عشرة آراء كما ذكر ابن حزم في المحلى .

القضية التي أخالف فيها الدكتور السالوس

بعد ما سبق تستطيع أيها القارىء أن تسايرنا في المناقشة لنصل الى الحق في معاملة كلنا نتعامل بها ، وهي تبادل الأوراق المالية البنكية من فئة الدينار والدرهم والجنيه والريال وأمثالها ، وأنا أقول : إن الأوراق المالية لا تأخذ حكم الذهب والفضة في التعامل بها - أعني لا تنطبق عليها أحكام الصرف التي سبق ذكرها بل تأخذ حكم الفلوس الرائجة كما جاء في كتاب الحوالة الذي أخرجته موسوعة الكويت الاسلامية في عهد الاستاذ الكبير مصطفى الزرقا .

ويجوز أن تعامل معاملة عروض التجارة ، بلا فرق عندي لأني لا أقول بالعلة في موضوع الصرف .

فيجوز على هذا أن تبيع ورقة مالية بأخرى سواء زاد سعر الأخرى أو نقص ، وسواء حصل التقابض بين الطرفين في المجلس ، أو تأخر أحدهما فلم يقبض حقه إلا بعد مدة طويلة أو قصيرة . الممنوع ألا يحصل تقابض من أحدهما ، لأن ذلك يعتبر بيع دين بدين وهو ممنوع في جميع أنواع النقود ، وجميع أنواع السلع .

وأقول : إن هذه الأوراق تسري عليها جميع أحكام البيع والقرض والسلم وغيرها . أما الدكتور والقائلون برأيه فانهم يرون أن تعامل الأوراق المالية البنكية المتداولة بين الناس معاملة الذهب فتخضع لأحكام الصرف مثلا بمثل - يدا بيد . وإلا بطل التعامل لأنه ربا ، وأظن القارىء الآن يستطيع أن يتتبع المناقشة بوضوح .

وليكن مفهوما أن الدكتور اعتبر الأوراق كالذهب ، وأن الموسوعة الكويتية اعتبرتها مثل الفلوس الرائجة التي تصنعها الحكومات من النحاس وغيره وتخرجها للناس ليتعاملوا بها ، فأجازت الموسوعة التبادل بالأوراق المالية بزيادة ونقص بشرط التقابض بين الطرفين في المجلس ، وسيأتيك من نصوص الفقهاء الرد الصريح على هذا الشرط ، وأنه لا مبرر له .

وإليك الحوار لتحكم فيما اختلفنا فيه والله يهدينا سواء السبيل :

أولا : قال الدكتور في تعريف الصرف : إنه بيع الأثمان بعضها ببعض . يريد أن يبرر رأيه بهذا التعريف فيقول : إن الأوراق المالية أثمان فتدخل في أحكام الصرف .

وهذا التعريف مخالف للحقيقة فان الامام النووي قال في شرح مسلم جـ ١١ ص ٩ قال العلماء : « إذا بيع الذهب بذهب أو الفضة بفضة سميت مراطلة ، وإذا بيعت الفضة بذهب سمي صرفا » لصرفه عن مقتضى البياعات من جواز التفاضل

والتفرق قبل القبض والتأجيل ، وقيل : من صريفهما وهو تصويتهما في الميزان » انتهى كلامه وهو نص ما قاله ابن حجر في فتح الباري جـ ٤ ص ٣٤٩ حين تعرض لتعريف « الصرف » .

فلا يطلق الصرف إلا على بيع الذهب بالفضة أو العكس . هذا هو الأصل . وإذا عرف الفقهاء الصرف شرعا بأنه « بيع الثمن بالثمن » فانهم يبينون أن المراد بالثمن : هو ما خلقه الله ليكون ثمنا وهو الذهب والفضة ، ويقولون عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة إنه صرف من باب التوسع على عادة الفقهاء ، راجع « الدرر الحكام في شرح غرر الأحكام » لمنلا خسرو جـ ٢ص ٢٠٣ ، ولا يصح أن يقال : إن الصرف هو بيع الأثمان بعضها ببعض بهذا الاطلاق ، لأن كل شيء صالح للبيع يصلح أن يسمى ثمنا : فيقال : اشتريت دارا بعشر بقرات ، أو بمائة شاة ، أو بعشرين مترا مربعا من الأرض ، أو بألف كيلو من السكر أو الزبيب ، وعلى هذا إجماع العلماء كما قال ابن حزم في المحلى جـ ٨ ص ٤٧٧ ، فظهر بطلان الاطلاق في التعريف .

ثانيا :استدل الدكتور على أن تبادل العملات الورقية الموجودة في أيدي الناس في عصرنا يخضع لأحكام الصرف بقرار مجمع البحوث الاسلامية المنعقد سنة ١٣٨٤ هـ ونصه :

« يكون تقويم نصاب الزكاة في نقود التعامل المعدنية وأوراق النقد والأوراق النقدية وعروض التجارة على أساس قيمتها ذهبا . »

وهذا ما قلته بالنسبة للزكاة وما زلت أقول به ، وقال به جميع العلماء ولكنه لا يصلح دليلا على أن الاوراق المالية تخضع لأحكام الصرف ، لأنه ذكر أنها تقوم بالذهب مثل جميع السلع التي فيها التجارة ، فما صلة هذا بما نحن فيه ؟

ثالثا :ذكر الدكتور بعد ما سبق أن مجمع البحوث الاسلامية قرر أن بيع وشراء العملات هو من قبيل الصرف ، وتطبق عليه أحكام الصرف المحددة في الشريعة الاسلامية ، وذكر أن البنوك الاسلامية ، وبيت التمويل الكويتي : الكل يطبق هذا النص ، وأنا أناقش الجميع في هذا ، وأرجو أن يفسحوا صدورهم لنصل الى الحقيقة رحمة بأنفسنا وبالناس .

أقول : إن البنوك الاسلامية وبيت التمويل الكويتي لا تستطيع أن تطبق أحكام الصرف في جميع معاملاتها الحاصلة بتبادل العملات الورقية ، لأننا إن اعتبرنا الأوراق قائمة مقام الذهب وتعامل معاملته فأخبروني : كيف يكون التماثل بين ورقة مالية من فئة الدينار الكويتي وأخرى من فئة الجنيه المصري ؟

هذا مستحيل : فاطلاق كلمة « تطبق أحكام الصرف عليها » إطلاق غير معقول وغير مطبق في هذه البنوك بالنسبة للمثلية ، وهذا وحده كاف في ابطال الالحاق المذكور .

وإذا نظرنا إلى الأوراق على أنها أثمان وأن علة الربا في الذهب والفضة هي الثمنية فيجري عليها أحكام الصرف المطلوبة في بيع ذهب بفضة بمعنى أن الدينار

الكويتي يعامل معاملة الذهب والدولار الأمريكي يعامل معاملة الفضة قلنا هذا تحكم لا أصل له ولا مثيل له في الواقع ولا في الشرع ، ولا دليل عليه من نقل صحيح أو ضعيف ولم يقل به مجمع البحوث الاسلامية .

وإن قلنا إنها مطلق أثمان وإنها أوراق اصطلح المجتمع على اعتبارها كذلك وعلة الربا هي الثمنية ، وهي أثمان مختلفة يجوز بيع ورقة منها هي الدينار مثلا بثلاث ورقات من فئة الجنيه المصري مثلا فلا يشترط فيها إلا التقابض وقت العقد قلنا إذا فجميع البنوك الاسلامية وبيت التمويل الكويتي تتعامل بالربا حين تأخذ أوراقا مالية كويتية في الكويت مثلا لتسلم بدلا منها أوراقا مصرية في مصر بعد مدة قد تصل إلى سنة أو أكثر أو أقل والكل حرام باطل ، لأنه ربا .

قالوا في الجواب : إن الشيك سند معتمد وموثوق به كما ذكر الدكتور ، وكما ذكر الأستاذ الكبير مصطفى الزرقا في كتاب الحوالة الصادر عن الموسوعة الاسلامية بالكويت ، وكما ذكر كثير من العلماء في عصرنا فأقول لهم : هذا ما لم يقل به أحد من السابقين مطلقا وهو مخالف لنص الحديث « يدا بيد » يعني تسلم الورقة النقدية وتأخذ ما يقابلها في حين التسليم فان حصل افتراق قبل تسليم أحد الثمنين بطل العقد ، ولم يقل أحد : يجوز أن يسلم النقد ويأخذ بدلا منه مكتوبا موثوقا به ، أو مسجلا في إحدى المحاكم . ومعلوم ان المكتوب يقوم مقام الشيك في كل شيء بالنسبة لضمان الحقوق خصوصا إذا كتب بصفة أمانة ، وهذا الخطأ أفحش بكثير من الخطأ الذي نسبه إلى الدكتور صاحب المقال لأنه مخالفة صريحة للنص ووقوع صريح في الربا لا محالة ، والحديث الآتي أكبر دليل ، روى مسلم في صحيحه عن مالك بن أوس ، قال : أقبلت أقول : من يصطرف الدراهم ؟ (أي يأخذ ذهبا ويعطيني دراهم) فقال طلحة بن عبيد الله : « وهو عند عمر بن الخطاب » أرنا ذهبك ثم ائتنا اذا جاء خادمنا نعطك ورقك (فضتك) فقال عمر بن الخطاب : كلا ،والله لتعطينه ورقه أو لتردن إليه ذهبه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الورق بالذهب ربا الا هاء وهاء .. الخ » جـ ١١ ص ١٢ والمراد أن الواجب في مبادلة الذهب بالفضة هو أن تعطي وتأخذ عند العقد وفي وقته .. ويجب أن ندرك أن الثقة في طلحة بن عبيد الله وعمر بن الخطاب المشهود لهما بالجنة أكثر من الثقة في الشيك الذي يقدمه البنك ولو كان الافتراق بدون قبض لأحد البدلين جائزا عند الاستيثاق لكان عمر بشهادته على طلحة وطلحة بوعده بالوفاء كافيين في ذلك وأضمن من الشيك المأخوذ على البنك .

ولو كان أي نوع من كتابة الدين كافيا لذكره الشارع كما ذكر الله ذلك في آية المداينة ، أو كان قد ارتضى من المتأخر في دفع الثمن دفع رهن يماثله حتى يفي به ، ولكن كل ذلك لم يحدث منه شيء ولم يجز أحد من علماء المسلمين شيئا منه فكيف جاز الآن عند البنوك الاسلامية وهل هناك أي دليل عليه ؟

والذي جرنا إلى ذلك كله هو اعتبار الأوراق البنكية عملة يجري فيها ما يجري في الصرف ، وهذا الحكم منقوض بالآتي :

رابعا : جاء في فقه الأحناف في كتاب « رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين » ما يأتي : « باع فلوسا بمثلها أو بدراهم أو بدنانير فإن نقد أحدهما جاز ، وإن تفرقا بلا قبض أحدهما لم يجز » لأنه بيع دين بدين وهو محرم بالاجماع . والفلوس هي العملة المصنوعة من النحاس كما في المختار والمنجد ، والدراهم هي ما صنع من الفضة والدنانير ما صنع من الذهب .

وقد قرر المؤلف أن بيع الفلوس بالذهب أو الفضة لا يشترط فيه قبض كل من البدلين بل يكفي قبض واحد منهما وكذلك لو كان بيع فلوس بفلوس ، فلم يعتبر الفلوس مما يعامل معاملة الصرف ، والفلوس تضمنها الدولة وهي التي تضربها وتخرجها للتعامل بها ، ووضعها أقوى من الورقة المالية من ناحية الثمنية ، لأن الورقة مكتوب عليها أنها سند أما العملة فمكتوب عليها أنها نقد ، وقد علق ابن عابدين في حاشيته على ما سبق بقوله : سئل الحانوتي عن بيع الذهب بالفلوس نسيئة (أي بأجل) فأجاب بقوله : يجوز اذا قبض أحد البدلين لما في البزازية (اسم كتاب) لو اشترى مائة فلس بدرهم يكفي التقابض من أحد الجانبين ، ومثله ما لو باع فضة أو ذهبا بفلوس - كما في البحر المحيط (اسم كتاب) انتهى ج ٤ ص ١٨٤ .

وجاء في الدر المختار أيضا أن عملة الذهب والفضة اذا كان أكثر ما فيها ليس ذهبا ولا فضة فانها في حكم عروض التجارة ، فيصح بيعها بجنسها متفاضلة مع القبض في المجلس مراعاة لما فيها من ذهب أو فضة ، ومفهومه أنها اذا لم يكن فيها ذهب ولا فضة فانها عروض يجوز فيها التفاضل وتأجيل أحد الثمنين ، وهذا صريح وواضح كل الوضوح في أن العملة الرائجة اذا خلت من الذهب والفضة صارت عروض تجارة .

وجاء في المغني لابن قدامة الحنبلي ج٤ص١٠٩ أن الراجح جواز بيع الفلس بالفلسين وأنه قول الثوري وأبي حنيفة وأكثر أهل العلم لأنه ليس بموزون ولا مكيل (يعني ليس فيه علة ربا عند القائلين بالعلة) وهذا هو الصحيح ، اذ لا معنى لثبوت الحكم (يقصد حكم الصرف) مع انتفاء العلة وعدم النص والاجماع . انتهى .

ومراد صاحب المغني أن الفلوس الرائجة لا تخضع لأحكام الصرف لأنه لا علة ولا نص ولا اجماع يلحقها بالذهب والفضة ، فما رأي علمائنا في هذه النصوص الفقهية والتي عليها أكثر العلماء كما قال صاحب المغني ؟

وهذه النصوص التي نقلتها من كتب الفقهاء كافية في الرد على كل من أخضع الأوراق المالية والنقود المعدنية بالذهب في أحكام الصرف .. وهذه هي آراء القائلين بالعلة وقد ذكرت كلامهم مجاراة فقط ، والا فأنا لا أقول بها وأرى أن الربويات محصورة في الستة المذكورة .

خامسا : قال الدكتور : انني قلت في الشريط الذي فيه الفتوى والذي يرد عليه

الدكتور : ان تحريم الربا في الأصناف الستة المذكورة في الحديث غير معلل بعلة ، وان الربويات قاصرة عليها . كما تقول الظاهرية وأقام الدكتور الدنيا ولم يقعدها في مقاله بناء على أن الظاهرية وحدهم لا يصلحون حجة في نظره ثم انضم الى القائلين بالعلة ، وقد عرفت فيما سبق أنهم لا يقولون بقوله وأن أكثرهم معي ، وسنرى هنا أن الظاهرية ليسوا وحدهم القائلين بعدم العلة ، بل معهم أئمة غيرهم في القديم والحديث . فقد قال بهذا الرأي من القدماء طاوس وقتادة وعثمان البتي وأبو سليمان كما ذكر ابن حزم في المحلى ج ٨ ص ٤٦٨ ووافقه صاحب المغني على طاوس وقتادة ، واختاره ابن عقيل في آخر مصنفاته مع قوله بالقياس كما ذكر ابن القيم في : « اغاثة اللهفان » ج ٢ ص ١٥٦ حيث قال : ان ابن عقيل قال : ان علل القياسيين في الربا علل ضعيفة ، واذا لم تظهر فيه علة امتنع القياس .

ومعهم أبو بكر الباقلاني كما قال ابن رشد في بداية المجتهد ج ٢ ص ١٢٣ حيث قال : وأما القاضي أبو بكر الباقلاني فلما كان قياس الشبه عنده ضعيفا (وهو الذي أخذ به الجمهور كما قال ابن رشد) وكان قياس المعنى عنده أقوى منه اعتبر في هذا الموضع قياس المعنى ، اذ لم يتأت له قياس علة ، فألحق الزبيب فقط بهذه الأصناف الأربعة (ولم يلحق شيئا بالذهب والفضة) . انتهى . ونتيجة رأيه تساوى نتيجة رأي الظاهرية فيما عدا الزبيب الذي ألحقه بالربويات .

وقال به من المحدثين الصنعاني في كتابه« سبل السلام » حيث قال ج ٣ ص ٣٦ : والى تحريم الربا فيها (أي الستة المذكورة في الحديث) ذهبت الأمة كافة ، واختلفوا فيما عداها ، فذهب الجمهور الى ثبوته فيما عداها مما شاركها في العلة ولكن لما لم يجدوا علة منصوصة اختلفوا فيها اختلافا كثيرا يقوي للناظر العارف أن الحق ما ذهبت اليه الظاهرية من أنه لا يجري الربا الا في الستة المنصوص عليها وقد أفردنا الكلام على ذلك في رسالة مستقلة سميتها « القول المجتبي » ، وقال به أيضا من المحدثين أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي البخاري « في كتابه : « الروضة الندية » حيث قال ج ٢ ص ١١٠ : « أما اختلاف مثبتي القياس في علة الربا فليس على شيء من هذه الأقوال حجة نيرة ، انما هي مجرد تظننات وتخمينات انضمت اليها دعاوي طويلة بلا طائل ، فما أحسن الاقتصار على نصوص الشريعة وعدم التكليف بمجاوزتها والتوسع في تكليفات العباد بما هو تكليف محض ، ولسنا نقول بنفي القياس لكنا نقول بمنع التعبد به فيما عدا العلة المنصوصة .. الى أن قال : والحاصل أنه لم يرد دليل تقوم به الحجة على الحاق ما عدا الأجناس المنصوص عليها بها :

أقول : ثبت أن القائلين بأن الربا لا يتعدى الأصناف الستة أكثر عددا مما ذكر الدكتور ، وأنهم أولى بالاتباع في هذه المسألة رحمة بالناس ، وخروجا من المآزق العديدة التي أوقعهم فيها القائلون بغير ذلك ، فان آراء كثير منهم تجعل أكثر ما في الدنيا من معاملات يدخله الربا ، وحسب أقوالهم فان البنوك الاسلامية والمتعاملين معها والمتعاملين في المطعومات والمشروبات والمكيلات والموزونات واقعون في الربا لا

محالة لأنهم لن يفقهوا آراء الفقهاء بسهولة ولن يستطيعوا تطبيقها بيسر لو فقهوها .

ومع ذلك فقد قال ابن رشد عن المالكية في بداية المجتهد ج ٢ ص ١٢٢ ان علة الربا في الذهب والفضة كونهما رؤوسا للأثمان ، وقيما للمتلفات ، وهذه العلة هي التي تعرف عندهم بالقاصرة لأنها ليست موجودة عندهم في غير الذهب والفضة ومعلوم أن الفلوس الرائجة كانت موجودة في وقته كما هو معروف لمن يرجع الى تاريخ العملات . فقد توفى ابن رشد سنة ٥٩٥ هـ ، والفلوس رائجة رواج العملة الورقية اليوم أو قريبا من ذلك ، وقد قال بالعلة القاصرة الشافعية أيضا وهي رواية عن أحمد ، كما ذكر ابن حزم ، وقد ذكر ذلك الدكتور في مقاله المذكور حيث ذكر أقوالا هي حجة لنا عليه ، وأنا أنقل هنا نص كلامه ، قال : قال الأحناف للشافعية : علتكم قاصرة فانها لا تتعدى الذهب والفضة ، وهما الأصل الذي استنبطتم منه العلة فلا فائدة فيها فان حكم الأصل قد عرفناه وانما مقصود العلة أن يلحق بالأصل غيره .

وأجاب الشافعية : ان مذهبنا جواز التعليل بالعلة القاصرة ، فان العلل أعلام نصبها الله للأحكام منها متعدية ومنها غير متعدية ، انما يراد منها بيان حكمة النص لا الاستنباط والحاق فرع بالأصل ، كما أن المتعدية عامة التعدي وخاصته ، ثم لغير المتعدية فائدتان : احداهما : أن تعرف أن الحكم مقصور عليها فلا تطمع في القياس ، والثانية : أنه ربما حدث ما يشارك الأصل في العلة فيلحق به .

ويلاحظ أن آخر الكلام مناقض لأوله فان العلة القاصرة لا يقاس عليها شيء . وفي آخر الكلام جعلها الدكتور صالحة للقياس ليصل الى أغراضه في الأوراق المالية ، وهذا مسلك في العلم لا يجوز ولا يقبل ، وجعل العبارتين متقابلتين هكذا تشعر بهذا التناقض الذي جاء من الدكتور لا من غيره : الحكم مقصور على العلة القاصرة فلا تطمع في القياس عليها .

ربما حدث ما يشارك الأصل في العلة فيقاس عليه ويلحق به هذا : ومعلوم أن العلة الربوية عند الأحناف ورواية عن أحمد هي الوزن : والأوراق البنكية والفلوس الرائجة اليوم لا توزن في المعاملة ، ولا يتداولها الناس على أساس الوزن فلا تخضع لأحكام الصرف ، ومن ذلك نجد أن القائلين بالعلة القاصرة في الذهب والفضة ، هم (المالكية والشافعية) كالقائلين بعدم العلة المانعين للقياس حيث أن العلة القاصرة لا يقاس عليها فكأنها لا علة ، وهذا ما فهمه ابن حزم في المحلى ج ٨ ص ٤٧٧ حيث قال ردا على القائلين بالعلة القاصرة : قالوا انما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ستة أصناف : أربعة مأكولة واثنتين هما ثمن الأشياء فقسنا على المأكولة كل مأكول ، ولم نقس على الأثمان شيئا فقلنا : هذا أول الخطأ . ان كان القياس باطلا فما يحل لكم أن تقيسوا على الأربعة المأكولة المذكورة غيرها ، وان كان القياس حقا فما يحل لكم أن تدعوا الذهب والفضة دون أن تقيسوا عليهما كما

فعلتم في الأربعة المأكولة ولا فرق ، فقيسوا على الذهب والفضة كل موزون كما فعل أبو حنيفة أو كل معدني فان أبيتم وعللتم الذهب والفضة بالتثمين (وهو العلة القاصرة عندكم) قلنا : هذا عليكم وليس لكم لأن كل شيء يجوز بيعه فهو ثمن صحيح لكل شيء يجوز بيعه باجماعكم مع الناس على ذلك ، ولا ندري من أين وقع لكم الاقتصار على التثمين على الذهب والفضة ، ولا نص في ذلك ولا قول أحد من أهل الاسلام ؟

وهذا خطأ فاحش ولازم للشافعيين والمالكين لزوما لا انفكاك منه . انتهى ، من المحلى لابن حزم ج ٨ ص ٤٧٧ ، وابن حزم لا يبارى في فهم أصول الفقه كما يعلم الدارسون .

والنتيجة هي أن علة الربا في الصرف هي الوزن عند الأحناف ولا ينطبق ذلك على الأوراق المالية لأنها لا توزن .

وهي الثمنية عند المالكية والشافعية : ولكن قاصرة على الذهب والفضة ، فلا تتعداهما الى أي ثمن آخر كما سبق ، وقد مرت صور تطبيقية للفلوس وأنها لم تعامل عند الفقهاء معاملة الذهب والفضة فبالله أخبروني ما هي الحجة بعد هذا كله في الحاق الأوراق المالية أو الفلوس بالذهب والفضة ؟

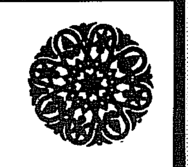
وقد وقع في هذا الأستاذ المربي والفقيه الكبير مصطفى الزرقا في كتاب الحوالة السابق ذكره حيث اعتبر الأوراق البنكية كالفلوس الرائجة وهذا معقول ، ولكنه أوجب التقابض في المجلس وعدم تأخير احد الثمنين ، وعلل ذلك بأن الأوراق أثمان فيجب فيها حكم الصرف ، وتورط فيما تورط فيه الآخرون بالنسبة للمعاملات البنكية في تحويل العملات الورقية ، فلعله يزيدنا ايضاحا بعد الذي ذكرناه عن الأئمة ، ولعله يرجع عن اعتبار الشيك كافيا عن القبض في المجلس أو يأتينا بمثل واحد عن أحد الفقهاء المسلمين يشهد لما يقول ، وكذلك أقول لمجمع البحوث الاسلامية المحترم والذي هو أمل المسلمين في عصرنا الحاضر وقد آن الأوان لنترك التعصب لمذهب معين ولنخرج من ضغط كلمة « الجمهور » فان كثيرا مما قيل فيه « انه رأي الجمهور » ثبت بعده عن الحق حين يعرض على الكتاب والسنة وآراء السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان ، ثم يجب أن نعلم أن للظاهرية وزنهم في الفكر الاسلامي ، وأن قارىء كتاب المحلى لابن حزم يشعر بأن الحق معهم في قضايا كثيرة جدا وليس مع القائلين بالقياس .

سادسا : ومع ذلك فلست وحدي القائل ـ في عصرنا هذا ـ بأن الأوراق المالية تعامل معاملة السلع وعروض التجارة ، فقد قال به غيري من العلماء المعاصرين : فقد ذكر فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر في كتابه « مجموعة رسائل » أن للعلماء أقوالا مختلفة في الحكم في الأوراق المتعامل بها ، فبعض الفقهاء ألحقها بالعروض ، وبعضهم ألحقها بالسند على البنوك ... الخ » ج ١ ص ٣١٧ .

سابعا : إن قضية الانكار على الغير لها في الشرع أصول وأن من هذه الأصول ألا يكون لمن تنكر عليه سند صحيح أو دليل واضح أو مسلك من مسالك الأدلة معتمد ، فان كان له شيء من ذلك فلا ينكر عليه ، ولا يقال انه مخطىء مطلقا ، انما يقال : هو يرى ذلك ودليله كذا ، وأنا أرى غير ذلك ودليلي كذا ، ثم يترك الأمر للناس ليختاروا ما يقتنعون به من كلا الرأيين أو من غيرهما بدون غمز بقهر فكري معين .

ثامنا : والخلاصة أنني أرى أن الأوراق النقدية بعيدة كل البعد عن اعتبارها أثمانا ربوية مثل الذهب والفضة ، وأنه يجوز التعامل بها يدا وبيد وبأجل وبزيادة ونقص مثل عروض التجارة والفلوس ، وأنه يجوز السلم فيها بأن تعطي فلانا عشرة دنانير اليوم على أن يسلمك بدلا منها ثلاثين جنيها مصريا بعد شهر مثلا ، ومعلوم أن السلم يجوز فيه باتفاق الفقهاء أن يكون سعر الشراء بثمن أقل من السوق كمن يدفع عشرين دينارا اليوم ثمنا لثمانين كيلو من السكر يأخذها بعد سنة مثلا مع أن سعرها الحقيقي هو عشرون دينارا لسبعين كيلو ، ما لم تكن الزيادة أو النقص مما لا يقبله العرف ، ويعتبر غبنا في نظر الناس فهذا هو الحرام أو المكروه عند العلماء ، فمن أعطى عشرين دينارا لفلان أو للبنك ليأخذ بدلا منها ثلاثين جنيها بعد شهرين مثلا فذلك جائز بشرط ألا يتكرر ذلك في نفس الصفقة بمعنى أنه لو جاء وقت السداد فقال المعطي أو الآخذ نزيد في المدة شهرين مثلا ويصير المبلغ أربعين جنيها فان هذا هو ربا الجاهلية المنصوص عليه في القرآن والسنة وفاعله مأذون بحرب من الله ورسوله ومثله ما لو قال المعطي : خذ عشرين دينارا اليوم لتعطيني بدلا منها ثلاثين جنيها بعد شهرين وكلما زادت المدة تزيدني كذا ، لأن الأمر هنا تحول الى قرض جر نفعا ، والى الربا بأضعاف مضاعفة ، وقد وقع فيه البعض ، وقد نبهت على ذلك مرارا وقلت اني بريء ممن يفعله ، لأنه مرتكب كبيرة من شر الكبائر وماله سحت ممحوق ، وفاعله يجب الانكار عليه ويطلب هجره ، وهذا له مثيل صدرت فتوى به من فضيلة الشيخ ابن باز وغيره ، وهو جواز بيع السيارات وغيرها بالأجل مع زيادة في السعر عن البيع المدفوع ثمنه في حين الشراء وبه قال بعض أئمة الفقه بشرط ألا تتكرر الزيادة بتكرار التأجيل .

تاسعا : هذا ما رأيت أن أتقدم به الى مجلة الوعي ، شاكرا لها اهتمامها بأمور المسلمين ، والموضوع كله صالح للمناقشة العلمية المتأنية ، والكل يريد الحق إن شاء الله ، وأما قرار مجمع البحوث الاسلامية فهو قرار جماعة وليس اجماعا ، وتوجد جماعة أخرى تقول غير ما يقول كما ذكر صاحب كتاب « مجموعة الرسائل » وليس قول جماعة حجة على جماعة أخرى والكتاب والسنة هما مرجع الجميع ، ونحن لم نخالف نصا من النصوص ولا إجماعا من إجماع المسلمين ولله الحمد .. بل معي في رأيي أكثر الأئمة بما يشبه الاجماع ، فمعي الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية وليس مع المجمع نص ولا اجماع ولا قياس معتبر .



أخوة الإسلام

للاستاذ/محمد محمد حلاوة

عن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » .

قال أبو سعيد : فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصنافا من المال حتى رأينا أنه لا حق لأحدنا في فضل . رواه مسلم وغيره .

الفضل ما زاد على حاجة الانسان من أي شيء ، والمقصود بالظهر ما يركب من الدواب ، والزاد طعام المسافر .

مشكلة الفقر والفقراء ورفع المعاناة عنهم أقدم مشكلة للبشرية على الأرض منذ أن خلقها الله ، وسخرها للانسان ، وعمرها به ، فقد خلق الله الناس مختلفين في الاجسام وفي العقول ، متباينين في المواهب وفي القدرات ، واقتضت حكمته ــ سبحانه وتعالى ــ ألا يسوي بينهم في الرزق : **(إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا)** الاسراء الآية ٣٠ ، ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن ليبلوهم فيما آتاهم . خاف الناس الفقر ولعنوه ، واستعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن دعائه « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ، وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق » رواه البخاري ، وإلى الفقر يرجع السبب في كل ما يقوم بين الناس من منازعات وحروب ، وما يقع من جرائم .

وقد شغلت مشكلته الناس في كل مكان ، وأرقت العلماء ، والباحثين ، والفلاسفة ، والحكماء ، والساسة من قديم الزمان ، ولاتزال ، لأنها تتصل بلقمة العيش ، بما به قوام الحياة ، من مأكل ، ومشرب ، وملبس ، ومسكن ، ودواء ..

وتصورنا لهذه المشكلة في أول عهد الانسان بالحياة أنها كانت هينة ومحدودة ، وأنها لم تعدم من العقلاء من فكروا في حلول لها ربما أخفقت أحيانا ونجحت حينا ، أو لعلها قد نجحت أحيانا وأخفقت حينا ،

ولم تتعقد هذه المشكلة إلا مع تقدم الزمن ، ووجود التجمعات البشرية الكبيرة حيث تعددت المصالح ، وتشابكت المطالب ، وقد بلغت غايتها من التعقيد في هذا العصر بعد ان سار الانسان شوطا كبيرا في المدنية والتقدم .

وقد اهتمت الأديان كلها بمشكلة الفقر اهتماما كبيرا فقررت التوراة أن الفقر والغنى بيد الله وحده ، وأنه مالك السموات والأرض ، ورغبت في الانفاق ووعدت القائمين به الجنة ، وحذرت من الشح وتوعدت الممسكين بالعقاب الأليم « من يعطي الفقير لا يحتاج ، ولمن يحجب عنه عينيه لعنات كبيرة » أمثال « لا تقبض يدك عن أخيك الفقير ، بل افتح يدك له » التنبيه ، وجاء المسيح عليه السلام وقد انحرف الناس عن تعاليم التوراة ، واستبدت بهم المادة ، ولجوا في الضلال والفجور فعالج الموضوع بما يتفق وهذه الأوضاع علاجا تربويا خلقيا « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » « طوبى للرحماء لأنهم يرحمون » إنجيل متى .

ثم جاء الاسلام فعالج المشكلة بما لم يعالجها تشريع قط ، لأنه جاء عاما وشاملا ومتمما لمكارم الاخلاق ، وبذلك حقق حلم الفلاسفة والحكماء في « المدينة الفاضلة » و « العالم المثالي » .

فها هوذا رسولنا الكريم يحل مشكلة الفقراء وذوى الحاجات حلا هينا رفيقا عمليا في كلمات معدودات قبل ساسة العالم ومفكريه بثلاثة عشر قرنا أو تزيد دون جلسات تعقد ، ومناقشات تطرح ، ونصوص تعد ، وقرارات تصاغ ، ودون مؤتمرات تجتمع لتنفض ، وذلك حيث يقول صلوات الله وسلامه عليه : من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لازاد له » فمعنى الحديث في بساطة اي فرد في المجتمع عنده شيء أي شيء زائد عن حاجته ، وغيره في حاجة إليه فليعطه له . يالله ! وما أروع الصورة ! المجتمع كله في حركة دائمة يتنفس برئة واحدة ، وينبض بقلب واحد ، ويحيا بروح واحدة ، يقوم معا ، ويقعد معا ، يتألم جميعا ، ويفرح جميعا ، يعطي بعضه بعضا ، ويأخذ بعضه من بعض في توازن دقيق عجيب لا يختل ولا يهتز ، فدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث إلى التكافل الاجتماعي ليست خاصة بحالة السفر ، ولا قصرا على الظهر والزاد وحدهما ، بل تتناول جميع الحالات ، وتشمل كل ألوان التكافل معاشيا وإقتصاديا وخلقيا وسياسيا وعاطفيا ودفاعيا مثل عطف القوى على الضعيف ، ورحمة الصحيح بالمريض ، ورعاية المقيم للغريب ، وبناء مستشفى ، وانشاء مسجد ، واقامة مدرسة ، وأمر بمعروف ، ودفع خطر .. وهكذا ..

وتلك بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في ألوان مختلفة من التضامن : « لا يؤمن أحدكم حتى

يحب لأخيه ما يحب لنفسه » « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » « إذا كان الوباء بأرض ولست بها فلا تدخلها ، وإن كان بأرض وأنت بها فلا تخرج منها » « من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة »

على ان الاسلام اوجب زكاة المال على الأغنياء ، وبين مصارفها وحدودها (**وفي أموالهم حق للسائل والمحروم**) الذاريات/١٩ . (**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**) التوبة/٦٠ ، كما رغب في الانفاق وأكد عليه ، ودعا إلى الاتحاد والتعاون والاخاء ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وإنه لمن المخزي حقا بعد ذلك أن يتطلع المتشدقون من أدعياء العلم والمعرفة والسياسة إلى الغرب أو إلى الشرق يقتبسون منه ، أو يتشبهون به ، أو يقلدونه ، فهاهم أولاء أساتذة الغرب ومستشرقوه يشهدون بعظمة الاسلام في كل النواحي ، ويعترفون بأن النظام الذي وضعه لرعاية الفقراء والمحتاجين لا يدانيه نظام ، ونكتفي هنا أن نسجل شهادة أحدهم .

يقول دروسن : (ولقد وجدت في الاسلام حل المشكلتين اللتين تشغلان العالم طرا : الأولى في قول القرآن الكريم : (**إنما المؤمنون إخوة**)الحجرات/١٠ . فهذا أجمل مبادئ الاشتراكية ، والثانية في فرض الزكاة على كل ذى مال) .

ولقد تمخضت النظريات الحديثة التي تصدت لعلاج هذه المشكلة عن مذاهب شتى أهمها الشيوعية والاشتراكية ، فهل حلت كل منهما المشكلة حقا ؟! الواقع يقول : لا فهي حلول قاصرة وكليلة ، والأساس الذي قامت عليه واه وضعيف ، لأنه إما أساس مادي ، أو لا ديني ، أو أناني ، وأي واحد من هؤلاء لا يصلح أساسا لحل مشكلة ، فضلا عن مشكلة حساسة كهذه .

والحق يقال : إن علاج هذه المشكلة عن طريق القوانين والقرارات والنصوص والهيئات كثيرا ما يكون سطحيا وشكليا ، بخلاف التكافل الذي دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو تكافل حق، لأنه نابع من القلب والضمير والوجدان ، مبني على الشعور بالانتماء ، على الاحساس الصادق بالرابطة التي تربط الانسان بالانسان ، على أصالة العاطفة التي تشد كل فرد إلى الآخر ، وهذا هو سر نجاحه وتفوقه وخلوده فقد صنع به المسلمون الأوائل أقوى وأعظم دولة عرفها التاريخ .

ولقد كانت مجتمعاتنا الاسلامية بالأمس القريب تحظى بقدر غير ضئيل من التضامن الاجتماعي . كان الجار يسأل نفسه عن جاره كل يوم ماذا طعم ؟ وماذا شرب ؟ وكيف نام ؟ وكيف صحا ؟ وما الذي

يشغله ؟ فان وجده في حاجة أي حاجة أقبل إليه مسرعا ، وكانت ربات البيوت إذا أعدت إحداهن طعاما طيبا لا يقر لها قرار إلا إذا أهدت منه جارتها على اليمين وعلى الشمال ، وربما تجاوزتهما إلى جارات أخرى ، ومثل هذه الروح كانت في العامل والزارع والتاجر والطبيب والمعلم ، في الحقل ، وفي المصنع ، وفي كل مرافق الحياة .

وقد كان لأجدادنا العرب قدم ثابتة في هذا المضمار ، فقد كانوا يتنافسون في الكرم والنخوة والشهامة والنجدة والايثار والوفاء ، وكانت هذه الصفات موضع فخرهم واعتزازهم . كانوا يكرمون الضيف ويقدمون له أطيب ما يملكون ، ويجيرون الملهوف وإن كلفهم ذلك حياتهم ، ويحمون الجار مهما كان الثمن ، ويوفون بعهودهم ، ويساعدون المضطر والبائس والمحروم ، وهم بذلك كله جد فرحين ، ويخرجون في الليلة الباردة يوقدون النار يهتدي بها المدلج والساري ليطعم ويقر ويأمن .. كل ذلك بدافع قلبي لم تنظمه قوانين ، ولم تضبطه قرارات ، ولم يحتج إلى تصديق من رؤساء .

أما اليوم – وبعد اختراع الآلة – فقد فتر التضامن إلى حد كبير ، فقد يكون عرس في مسكن بينما يكون مأتم في المسكن المقابل له في الوقت نفسه دون أن يحس أحد الجارين بالآخر ، وقد ينفق أهل بيت في ليلة واحدة آلاف الجنيهات على ما لذ وطاب ، وعلى مقربة منهم من يتضور جوعا وألما ، وقد يكون الانسان في ضائقة شديدة وصديقه ، بل أقرب الناس إليه يكتنز الآلاف فلا يمد يده إليه ، ولو تقدم يطلب مساعدته لنكره وأعرض عنه .

وبعد فمع روائع الكلم ، مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم نتأمل لحظات :

في استخدام كلمة – من – الدالة على العموم دعوة إلى جميع الناس دون استثناء ، ودون تخصيص ، وفي جميع الحالات أن يتكافلوا وأن يتعاونوا .

وفي تنكير كلمة – فضل – تعظيم يدل على أهمية هذا الفضل مهما كان ضئيلا .

وفي « كلمة ظهر » خفة ورقة وجمال لا تخفي على أحد .

وفي « فذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أصنافا من المال حتى رأينا أنه لا حق لأحدنا في فضل » دلالة على ان ميدان الفضل واسع يبدأ من الابرة والماعون إلى ما شاء الله ، كما أن فيه تذكيرا للانسان بأن ما معه ليس له ، بل هو مستخلف فيه ، وفيه كذلك إشعار بأننا جميعا – ما عدا الفقراء والمحتاجين – قادرون على بذل الفضل ، فمن منا لا يملك فضلا في أي لون من ألوان المال ، أو أي جانب من جوانب الحياة .

نسأل الله أن يلهمنا الصواب والرشاد ، وأن ينفعنا بهدى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام . والله اعلم .

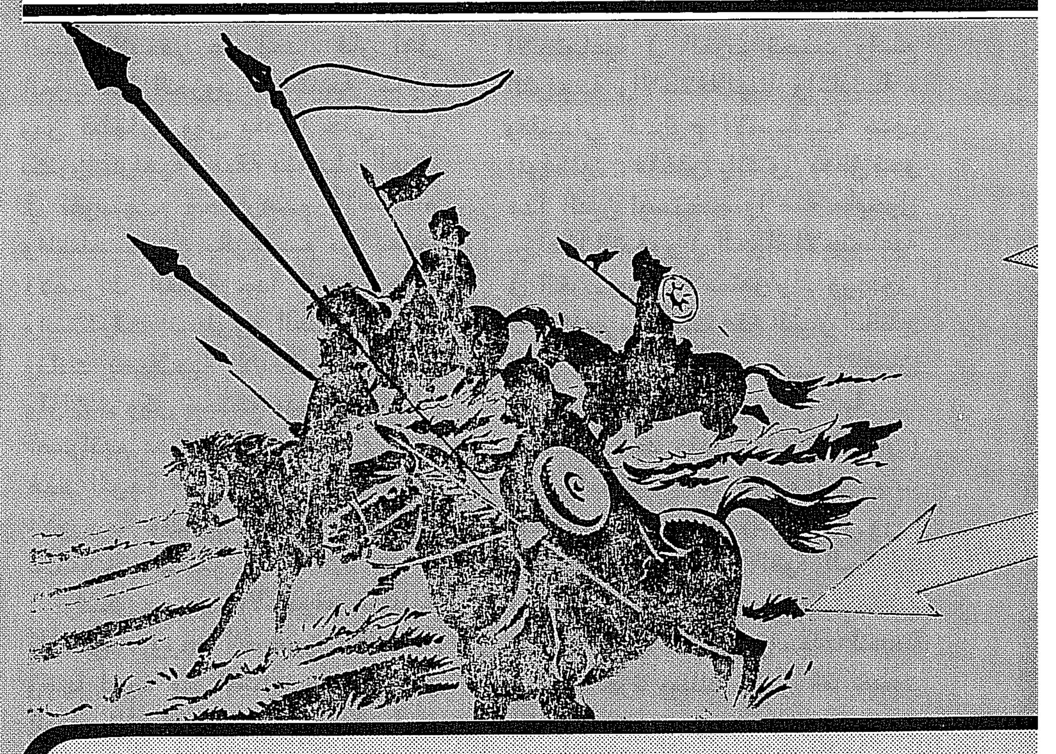


للأستاذ/ عبد المقصود محمد حبيب

ان الرسالة التي حملها الى الدنيا كافة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، ماتزال – على عهد البشرية بها – مدعوة لكي تقود العالم كرة أخرى نحو مصير سعيد ، اذ ان الأهداف التي حمل النبي صلى الله عليه وسلم رسالته من أجلها الى الناس كافة لم تستنفد ، والطاقة الخارقة التي تتوفر عليها لايمكن أن تنفد :(**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا**) الكهف / ١٠٩

ذلك لأن الرسالة السماوية الخالدة قائمة على قواعد فطرية تتمشى وصالح الكائن الانساني في كل عصوره ومختلف أطواره ومراحل تطوره .

والذين يقولون عن عمد أو جهالة أو سوء نية بأن الدين لم يعد له مكان في عالم اليوم ويعنون بذلك الدين الاسلامي . فهم حادون عن طريق الصواب الطبيعي والفطري . لأن الدين الاسلامي هو الدين عند الله ، وهو الذي يقوى على مسايرة الحياة وقيادة التطور الانساني في كل عصر . وعليهم أن يعودوا الى أناة وتحرر من عقد وأمراض في النفس . ويدرسوا العالم عندما نزل الاسلام في أول أمره ثم التطورات التي حدثت في العالم من بعد ثم يمضوا مع التاريخ في سيره الى عصرنا الحاضر ، حيث تضطرب البشرية في شتى المجالات باحثة عن



مخلص ينقذها مما تعاني من مشاكل معقدة عرف أولها ولم يعرف لها آخر . وقد جربت كل الحلول فلم تأت لها بالنجاعة المنشودة . الا الحل الاسلامي الذي يجب ان يعرض على الدنيا من جديد .

ونرى في هذه الأيام ظاهرة مفاجئة . لكن لها أسباب . فالمواضيع المتعلقة بالاسلام والمسلمين تحتل الآن في أوروبا عامة الصفحات الأولى من الصحف اليومية والمجلات ، سواء كانت أسبوعية أو شهرية أو دورية وذلك نتيجة للتطورات البالغة الأثر في تحويل السياسة العالمية .. مثل تلك التطورات التي تحدث على رقعة العالم الاسلامي فلا توجد الآن صحيفة كبيرة أو صغيرة .. الا وفي غالبية أعدادها دراسة عن الاسلام والمسلمين .. بالاضافة الى برامج التلفزيون والاذاعة في جميع بلدان العالم الغربي ، والندوات التي تعقد والدراسات التي تقام هنا وهناك .. وكلها عن الاسلام والمسلمين .

اهتمام كبير بحياة المسلمين الذين يعيشون في الدول الاسلامية أو الدول غير الاسلامية ، وكان من الأولى ان يكون هذا الاهتمام البالغ والمفاجيء ، أسبق في عصر بروزه عن هذا الوقت الذي نحن فيه . لكن

السبب لايخفى على أحد . فان أهل الغرب منذ الحروب الصليبية ـ بل ومن قبلها ـ ومن بعدها حتى الآن يكنون كراهية عميقة متأصلة العمق في نفوسهم وجذورهم للاسلام والمسلمين . بالرغم من بعض الأصوات القليلة جدا التي درست واستشرقت ـ لوجه العلم فقط ـ ونادت بصلاحية الاسلام لكل عصر وأوان . وكل مجتمع ودولة . الا أن أصواتهم ذهبت أدراج الرياح وسط هذه الموجة العارمة من الكراهية الأوروبية والغربية على حد سواء للاسلام والمسلمين .

ولكن جاءت الأعوام القليلة الماضية . ووجد الغربيون أنفسهم وجها لوجه مع المسلمين سواء في الدول الاسلامية أم في الدول غير الاسلامية ، وجدوا أنفسهم معهم وجها لوجه . فعصب الاقتصاد العالمي وهو النفط . أغلبه في يد البلاد الاسلامية . وهو بلا مبالغة . أساس حياة الغربيين . وتطورهم الاقتصادي والاجتماعي مربوط ومرهون به . لو توقف ضخه اليهم . لماتوا برودة وتعطلا وتضخما وإفلاسا .

من هنا جاءت هذه الاهتمامات المفاجئة بالاسلام والمسلمين . عندما بدأت في الجو العالمي صيحة الانبعاث للاسلام والاستنفار بين أهله في كل أنحاء الأرض .

ومن ناحية أخرى بدأ علماء الاجتماع ينظرون بجدية نحو الاسلام في خضم تدهور الحياة الاجتماعية في الغرب تحت وقع الفردية والاستغلالية والمادية ، وفقدان الروح الانسانية بين المواطنين . فأخذوا يلتفتون بعمق نحو هذا الدين ليستخلصوا منه مايحول بين هذا التدهور في الحياة الاجتماعية في الغرب وبين الاستمرار . ويجدون مايمكنهم من وقف هذا التيار الخطير الذي لن ينتهي الا بأن يكون الانسان محطما نفسيا ومعنويا وجسديا .

ولذلك نجد مثلا مجلة (تايم) الأمريكية تبدأ احدى هذه الدراسات بما قاله الشيخ أحمد زكي يماني وزير النفط السعودي : « القوة الحقيقية للاسلام هي الشعور بأنك عضو في أسرة . أخوة تمارس واجبات لخدمة هذه الأخوة وبذلك تكون قد خدمت الله » .

لقد بدأ العالم الغربي الآن يشعر بالقوة الفعلية للاسلام والمسلمين . بل نجد كل هذه الدول تقريبا تنادي بتحرير أفغانستان المسلمة من التدخل السوفييتي والاجنبي على السواء .

وثمة دول أوروبية تعيش فيها جاليات اسلامية ضخمة ، وهي اما تاريخية عريقة مما لايمكن معه أن توصف بجاليات لأنها من صميم الشعوب التي تعيش في دولها مثل الاتحاد السوفييتي ويوغسلافيا وألبانيا . واما مستجدة على هذه الشعوب مثل ما في بريطانيا وألمانيا الغربية وفرنسا وهولندا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول في أوروبا وأمريكا .

ومن الاحصاءات الأخيرة يتضح أن المسلمين في الدول غير الاسلامية يشكلون نسبا يعتد بها . ففي الصين (١٨ مليون) وفي بورما مانسبته ٤٪ من السكان ، وفي الهند (٨٠ مليونا بنسبة ١٣٪ من السكان) ويوجسلافيا (٤,٥ مليون ٤٪) وفي المانيا الغربية تجاوزوا المليونين ، وبريطانيا كذلك ، وفي الولايات المتحدة الامريكية ٣,٥ مليون مسلم وفي الاتحاد السوفييتي ٥١ مليون مسلم .

ولقد أكدت مجلة تايم أن أصوات المؤذنين في أرجاء العالم زادت قوة عما كانت عليه . وعادت في قوتها الى العصور الاسلامية الأولى التي امتدت فيها دولة الاسلام حتى أوروبا وحدود شرق آسيا وأفريقيا . وأن اختلاف لغات المسلمين لايغير من حقيقة وحدتهم الدينية اذ أن المسلمين يتحدثون بالروسية والفارسية والصينية والفرنسية والانجليزية والألمانية والماليزية والتركية . وغير ذلك من اللغات الكثيرة . بالاضافة الى االلغة العربية التي نزل بها كتاب الله « القرآن الكريم » وبها يؤدون جميعا صلواتهم وفروض عباداتهم . وتقول ان الدين الاسلامي هو أحدث الأديان السماوية بل هو آخرها ، وان كلمة أمة المسلمين تثير الآن شغفا متزايدا لدى المسلمين في كافة أرجاء العالم ، وأن وحدة الأمة الاسلامية أمر ليس خيالا ولامبالغة فيه . فقد أصبحت اليوم هذه الوحدة أمرا مفروغا منه تماما .

وتذكر المجلة صورا لذلك الاهتمام المتنامي لبعث الدعوة الاسلامية من جديد عند المسلمين ، وتستدل على ذلك بزيادة عدد الدول التي أخذت تطبق الشريعة الاسلامية بوضوح تام ، وما أخذت الشعوب تنادي به في الدول الاسلامية الأخرى من تطبيقها . وتزايد عدد الحجاج الى بيت الله الحرام في مكة المكرمة عاما بعد عام . وتزايد اهتمام الأجيال الجديدة من الشباب في أرجاء العالم الاسلامي بالدين الحنيف . وتزايد عمق الايمان عندهم بأنه لايصلح مجتمع صلاحا كاملا الا بالاسلام .

وكان بعض الغربيين قد ظنوا ان الزمن عامل من عوامل انهيار الاسلام وانتهاء مده .. ولكن كما قالت صحيفة الفيجارو الفرنسية « **ان الاسلام يخطو في هذا العام خطواته الأخيرة نحو القرن الخامس عشر الهجري » وهذا لايعني أنه بلغ من العمر عتيا فهو أكثر الأديان العالمية قوة وشبابا وانتشارا ، فهو من ناحية يعد أحدث دين عالمي جاء بعد المسيحية واليهودية وهو من ناحية أخرى يعد أكثر الأديان حيوية وانتشارا حتى الآن ، وفي أعداد تصل أحيانا الى مئات الألوف سنويا يدخلون الاسلام طوعا واختيارا وايمانا ، وخاصة في قارتي آسيا وأفريقيا التي يتنبأ علماء الاجتماع والأديان المعاصرون بأنها قارة المستقبل بالنسبة لانتشار الدين الحنيف** .

ويخطــيء من يظـن أن العصر الحديث لم تعد تحركه المعتقــدات الدينية ، ولايمكن لأي مؤرخ الآن يتابع الأحداث اليومية الراهنة ، أن يعتقد أن أوروبا قد نسيت تماما ان الاسلام كان على وشك الاستيــلاء عليها كلها في يوم من الأيام .

ان العودة الى الدين أصبحت هي الدعوة الرئيسية التي بدأ الكثيرون من العلماء والفلاسفـــة في الغــرب ينادون بها لانقاذ الحياة من التفكك المريع والانهيار القاتل تحت ماسيطر على العالم الغربي منذ مائتي سنة تقريبا باسم التقدم أو التطور .

وفي مقال لهاينريش بانيكة في عدد أخير لمجلة اشتــرن وهــي كبــرى المجلات في ألمانيــا الغربيــة كتــب يقول ــ ماذا صنع التقدم التقنــي بالانسان ؟ الحب ضاع من الحياة مثل كل العواطف الخيرة الأخرى . بل وحتى العلاقــة بــين الزوجــين أصبحــت واجبــا من الواجبـــات الوطنية . مثل الخدمــة العسكريــة الالزامية .

وكما قال من قبله كارليل صاحب كتاب « العالم ذلك المجهول » قوله الذي أكد فيه أن الحضارة المادية تحمل معها علة سقوطها ، فمن غير الدين يفقد الانسان أسمى عواطفه . فلابد من العودة الى الدين .

وكما قال أحد المستشرقين حول آصرة المجتمع بين أفراد الأمة الاسلامية « المسلم في المجتمع الاسلامي . كل مسلم آخر مهما كانت لغته وأصله وسلالته وبلده فهو أقرب له من مواطنه الذي قد يتكلم لغته وينحدر من نفس سلالته ولكنه لايدين بنفس عقيدته وهي الاسلام » .

انه بعد أقل من قرن من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان الدين الاسلامي الحنيــف قد ضم فارس ومصر وسوريا وتونس والمغرب وأسبانيا وجنوب فرنســا وجنــوب ايطاليا وصقلية ووصل حتى نهــر السند ووسط آسيا .

كيف استطاع الاسلام ان يخرج العرب من جاهليتهــم الغارقــة في الظلام ؟ الى ان يقفزوا قفزتهم الهائلة ــ وعلى غير مثال سابق ــ الى مركز القيادة العالمية والزعامة الانسانية ، وبدون أن يتوفر لهم ولو أقل مايمكن من امكانيات مادية أو بشرية أي عقل يمكن ان يهضم بروز خير أمة وأعظم دولة لم ير التاريخ لها شبيها من مجتمع قبلي جاهلي ، لم يكن يدري مامعنى النظام ولا مامعنى الدولة لا ليحرر أرضه ويصبح سيد أمره ومقرر مصيره فوق أرضه فحسب . بل وليدك عروش البغي والعــدوان في فارس والروم وفي كل بلد هضمت فيه كرامة الانسان وحيل بينه وبين ممارســة حقوق آدميته . ثم ان ذلك المجتمع الاسلامي الأول ، استطـــاع قواده اقامة نظام فريد من نوعه ، محق الظلم وسحق العدوان وأزال الطبقية وألغى الفروق ووحد الأشتات وجمع صنوف البشر تحت رايته . ورسم هدفا انسانيا أعلى ، الشيء الذي أقنع العديد من شعوب الأرض بالانضمام الى صفــوف الدعــوة الاسلاميـــة

والالتفاف حول رجالها في حب واعزاز واندفع الموج البشري في زحفه ينشر الضياء ويمزق أغشية الظلام ، حتى كانت الدعوة الاسلامية تعم الأرض في ظرف من الزمن جد قصير .

هل كان ذلك الانتشار للاسلام بحد السيف أو بقوة العقيدة وفهم الناس لما تقدمه لهم من حياة آمنة سعيدة كريمة ؟ كلهم فيهـا سواء لافرق بين أحدهم والآخر الا بتقوى الله ومايقدمه للناس من خير ونفع .

اذا تتبعنا سلسلة التاريخ الاسلامي نجـد ان الاســلام لم ينتشر الا بالدعوة . حيث انتشر الاســلام في أنحاء الأرض بعد ان قام الدعـاة يقدمون الاسلام بالفـكر والموعظـة الحسنة دون ضغط أو اكراه . وفي ذلك يقول توماس كارليل عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ان اتهامه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غـير مفهوم اذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر فرد سيفه ليقتل به النــاس ويستجيبوا لدعوته . فاذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا به طائعين مصدقين » .

ويقرر التاريخ ان الحرب لم تقم بين المسلمين وبين شعـوب الأرض المجاورة ، بل مع أعدائهم الأصليين الذين استرقوهم قرونا عديدة بدليل ان المصريين والسوريين والعراقيـين كانـوا يؤيـدون الزحـف العربـي الاسلامي ويؤازرونه ، لما وصل الى أسماعهم من عدالة الاسلام ولما كانوا يعانونه من ظلم الاستعمار الروماني والفارسي .

إن أي تفسير بالمنطق العـادي للانسان لتحليل ماحـدث بالنسبـة لاقامة النظام الاسلامي على الأرض على النحو الذي ظهر به والذي انتشر به . ذلك النظام الذي اختير لزعامته محمد النبي الأمي الذي برز في صميم أرض الجزيرة العربية التي انطلقت منها جيوش الفتح الاسلامي تفتح العقول والأفكار قبل افتتـاح المدن والأقاليم ، ثم اختيار الأمة العربية بالذات لكي تقوم بدور الرائد .. الأمة التي أحسنت القيادة الرائدة احسانا حير العقول .

ان أي تفسـير لذلك بالمنطـق الانساني العادي ، ظل وسوف يظل عاجزا كعجز القزم حين يمد قامته لكي يتعادل مع العملاق وان كل تأمل عقلي مجرد من أثقال المادة ونزعات الهوى . أكد وسيظل يؤكد لنا على مد الزمن بما لامجال للريب فيه ، بأن الاسلام قادر تماما على تحقيق آمال البشرية فيه بشرط واحد فقط وهو ان يرتفع الانسان الى الأفق الذي أراد الله للناس السمو اليه حين أنزل قوله الكريم : (**ولقد كرمنا بنـي آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء/ ٧٠

ان رسالة محمد عليه الصـلاة والسلام ستبقى مابقيت الحياة ـ كما نزلت من لدن حكيم بالنـاس عليم ـ تقدم الخير للانسان وترسم الطريق القويم للبشر في كل أنحاء الأرض ـ كما جاءت للبشر كافة ـ

الطريق القويم الذي يرفع الانسان الى أحسن درجة بين المخلوقات حيث يكرمه الله . ترسم لهم طريق الخير والسعادة . طريق الانسانية الكريمة المبنية على الحب والعدل والحق والخير . من الانسان لنفسه . ومنه لغيره .

سوف تبقي الرسالة المحمدية كذلك . مابقيت الحياة . ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ومن هذا المنطلق فان هذه الرسالة مدعوة الى تغيير وجه العالم . وانقاذه مما يئن تحته اليوم وادخاله في ظلال الرحمة الالهية بالبشر . عندما يعبدونه ويطيعون أوامره وينتهون عن نواهيه . ولدينا نحن أصحاب هذه الرسالة والدعاة اليها مانعرضه على البشرية اليوم . فمادامت عجلة الحياة سائرة ومادام هناك على الأرض باطل فان الاسلام مدعو لوضع طاقته في الميدان . مدعو برجاله الى ذلك . كي يرد الحق الى نصابه ويقيم شريعة الحق والعدل وينشر على الدنيا بساط الرحمة .

ان البشرية اليوم . تعيش أيام ظلام حالك . وظلم قاتل . وقد جاء الاسلام في أوله والدنيا كما هي اليوم . حق ضائع . مهضوم من القوي نحو الضعيف . الانسان مسخر للذات جسدية . أو مسخر تحت ضغط قوة لاترحم انسانيته ولاتعترف بحقوق بشريته . هذا ماتعيشه البشرية اليوم . وكما جاء الاسلام لينقذها بارادة من الله القوي العزيز قبل ١٥ قرنا . هاهو الدور اليوم أيضا ليتقدم المسلمون باسلامهم لينقذوا البشرية مما تعيش فيه وتعانيه اليوم .

وهذا دور ليس بجديد على الاسلام والمسلمين . فان الاسلام قوة دافعة منذ جاء الى الدنيا نحو التطور المطرد من أجل وصول الانسان الى كسب المنزلة العليا التي خلق لكي يرقاها . فسبق المسلمون في ميادين عدة في هذه الحياة ومنها مايرجع الى العلم التجريبي وبلغ كشوفا مذهلة وقف حيالها العالم مشدوها . وبنى عليها تقنيته وحضارته التي يتحدث ويتشدق بها .

هذا الدور الخالد .. الممتد في شعاب الزمن من قديم يواجه اليوم الضلال والعمى ، والطغيان والهوى ، والاضطهاد والبغي والتهديد والتشريد ، فهل يهب المسلمون ليمضوا في طريقهم بهذا الدور الخالد الكريم والذي بعث الله به رسالتهم . هل يهبون ليمضوا في هذا الطريق ثابتين في الخطو مطمئنين في الضمير ، واثقين من نصر الله متعلقين بالرجاء فيه متوقعين في كل لحظة وعد الله الصادق الأكيد : **(وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين . ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد)** ابراهيم/١٣و ١٤

لقد انبعثت الصيحة مدوية . بالعودة الى الاسلام ودوره القيادي . للبشرية كلها فهل نحن فاعلون . ؟

الأدلة الجنائية

في القرآن الكريم (١)

للدكتور/ محمد عبد الحكم مهدي

مما لا شك فيه أن القرآن العظيم يحوي من صنوف الحقائق وآيات الموعظة وأساليب الهدى للناس ما يشكل الأساس المتين لبنيان حياتهم الدينية والاجتماعية : (**هذا بيان للناس وهدي وموعظة للمتقين**) آل عمران/ ١٣٨ . أنه الكتاب الجامع ، والدستور الأعظم والدليل الذي لا يأتيه الباطل . ثابت على مر العصور والحقب : (**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**) الحجر/ ٩ .

لكنه قد يعارض البعض أن يحاول شخص ما أن يستخلص من القرآن الكريم أمثلة أو اشارات لعلم أياما كان لعلم من العلوم الحديثة خصوصا وأن الموضوع الذي نطرقه اليوم لم يرتده الكثيرون من قبل . وعلى أية حال فان هناك مدرستين متباينتين عن التعرض لما يسمى بالتفسير العلمي لآيات القرآن الكريم :

١ ـ الأولى ترى أن القرآن الكريم هو الكتاب الجامع لكل العلوم الدينية والدنيوية ، لم يترك شاردة ولا واردة الا أحصاها : (**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء**) النحل/ ٨٩ . وأن أية علوم دنيوية هي في الأساس في القرآن الكريم ومن القرآن ، وأن عدم اسستنباط أصولها من القرآن لا يعني عدم وجودها فيه بل يعني عدم قدرتنا على هذا الاستنباط (**يؤتي الحكمة من يشاء**) البقرة/ ٢٦٩ ، (**ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء**) البقرة/ ٢٥٥ ، (**وما أوتيتم من العلم الا قليلا**) الاسراء/ ٨٥ .

٢ ـ والمدرسة الأخرى ترى أن القرآن الكريم هو كتاب الأحكام الكلية والمبادىء العامة الثابتة . انه الكتاب الصالح لكل زمان ومكان أما العلوم الدنيوية فمتغيرة بمزيد من الاكتشافات والاضافات التي تضطرد كل يوم بارتياد مجالات جديدة للعلم . لذلك كله فلا يمكن أن نخضع تفسير آيات القرآن الكريم لعلوم العصر الحديث ونظرياته أو نحاول استنباط علوم الدنيا المتغيرة منه . ذلك تحميل لمعاني القرآن الكريم ليست في الأصل واردة .

على أن ما يأتي في القرآن الكريم من اتفاق مع نظريات أو أصول العلوم الدنيوية الحديثة ما هي الا أمثلة جاءت لترشد الناس ، ولتكون مصابيح هداية لهم ، وعليهم أنفسهم أن يجتهدوا ليلموا بأحكامها وقوانينها التفصيلية : (**وتلك**

الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) العنكبوت/٤٣ ، (ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) النور/٣٥ .

ونحن نرى بصحة نظرة المدرسة الثانية ذلك أنها أقرب الى المنطق ، ولأنها تضع القرآن الكريم في مكانته المقدسة التي يجب أن تكون عليها لأنه دستور كل الدساتير ، وجامع كل الأحكام لا أن يكون عرضة للفروض الجدلية المتغيرة لنظريات العلم الحديث .

على أننا يجب أن ننوه أن كلا من المدرستين ترى بوجوب الاجتهاد ـ لأهل العلم والتخصص ـ وتحث عليه ؛ وعلى ذلك فلا مانع هناك من مناقشة الأمثلة الواردة في القرآن العظيم لعلم من العلوم العصرية (**وقل رب زدني علما**) طه/١١٤ .

ان ما سوف نحاوله هنا ليس تفسيرا جديدا لبعض آيات القرآن الكريم المباركة ، لكنه محاولة لفهم معاصر لهذه الآيات من وجهة نظر متخصصة في علم من علوم الدنيا ألا وهو علم الأدلة الجنائية .

تمهيد :

منذ عصى آدم وحواء ربهما وأكلا من الشجرة المحرمة فكان جزاؤهما تجربة الحياة على الأرض ، ومنذ مسيرة الخليقة المضطردة تلازم الخير والشر وترافقت الجريمة مع الحياة ، وقتل قابيل أخاه هابيل كي يفوز ـ كما تقول الأساطير ـ بالزواج من أختهما الفاتنة **اقليما** . وبذلك فقد سجل الانسان بدمه المهدور أول جريمة في التاريخ كتبت فوق سطح هذا الكوكب .

ولأن الانسان مخلوق اجتماعي ، فقد انتظم بحكم طبيعته في أسر وعشائر . ولأن مصالح الناس متباينة ، ولكي تتوافق مصالح المجموعة مع مصالح الأفراد فقد ارتضت الجماعة **بالعقد الاجتماعي** أنواعا من السلوك فأجازتها ، بينما جرمت ضروبا أخرى من السلوك ووضعت الجزاء رادعا لمن يقترفها . واستهدفت الجماعات من ذلك كله الحفاظ على كيانها . وتوطيد أركان أمنها حتى يعم الرخاء والاستقرار والأمان .

وبمرور الزمن تطورت أساليب الحياة في المجتمعات البشرية ، وكذلك تطورت أفكارها وثقافاتها . كما تطورت كذلك نوعية الجريمة وأساليبها ، وتطورت معها بالضرورة وسائل كشفها ومكافحتها وطرق التعرف على فاعليها .

أهمية الأدلة الجنائية :

لم تكن الجرائم ـ في حالة وقوعها ـ في المجتمعات البدائية محاطة بالغموض والأسرار . بل كان طبيعيا أن يضبط الجاني متلبسا بجريمته في التو واللحظة ، ويكون اعترافه شيئا لا مناص منه وبالتالي مبررا لادانته . أما اذا أنكر فغالبا ما

كانت أقوال الشهود تشكل سببا كافيا لادانته . وعليه فقد كان توجيه التهمة للمتهم يستند أساسا على الدليل المعنوي . ولذلك أشتهر القول أن **الاعتراف سيد الأدلة** .

لكنه من ناحية أخرى فقد كان الاستناد على الدليل المعنوي وحده كأساس للاتهام وبالا على العدالة ذاتها ؛ لأنه كان سببا لأن تجيز سلطات التحقيق لنفسها انتزاع الاعتراف مستخدمة أبشع وسائل التعذيب والاكراه . وظهر الى حيز الوجود ما سمي **بغرف التعذيب** التي كانت تحظى بكل اهتمام سلطات الأمن وتحتوي على كل ما هو جهنمي لاهدار الانسانية وانتزاع الاعتراف .

ومع تعقد أنماط الحياة وتطور المجتمعات البشرية واتساع العمران أصبحت المدن بما حوت من أخلاط بشرية ، وما تحفل به من صراعات مادية ومغريات جنسية . . بيئة خصبة لا نتشار شتى أنواع الجرائم الغامضة . والمجرم حين يرتكب جريمته يحرص على ارتكابها خفية دون أن تراه أعين الناس . ومع تطور وسائل المواصلات أصبح في مقدوره أن يصل الى مسرح الجريمة وأن يغادره بسرعة متناهية بحيث لا يلحظ أحد وجوده هناك بل وعلى النقيض يحرص أن يلاحظ المحيطون به استمرار حياته الاعتيادية في الوجود على مسافة قصيرة من مسرح الجريمة . فاذا حدث واتجهت اليه الشبهات فانه ينكر عن عمد أي صلة له بالجريمة ، بل ويجد من يشهد على وجوده في مكان آخر ساعة وقوعها . وبذلك لا يجد المحقق في الأدلة المعنوية سندا ولا نصيرا .

لكننا نبادر بالقول أنه مهما بلغ حرص المجرم ومهما كانت براعته في التخفي والتستر فهو لابد وأن يترك في مسرح الجريمة ـ دون قصد منه ولا وعي ـ أثرا ماديا يمكن أن يدل عليه ؛ وهو في نفس الوقت لا بد وأن يحمل من مسرح الجريمة أثرا يدل على أنه كان موجودا فيه وهذا ما يعرف **بنظرية تبادل الأثر** .

وتجدر الاشارة هنا أنه يرجع الفضل في فحص مختلف أنواع الآثار المادية وإبراز الكامن منها وبيان دلالتها وصلتها بالجريمة ، وصلة الجاني والمجني عليه بها الى التقدم العلمي . فقد أصبحت الأجهزة العلمية المستخدمة في فحص الآثار الجنائية المادية هي التي تقدم الدليل المادي الحاسم على البراءة أو الادانة .

ولما كان **البحث العلمي الجنائي** أو علم الأدلة الجنائية ، يستخدم طرق وأساليب وأجهزة العلوم الطبيعية . فقد نما وتطور بنموها ونهضتها ، ووجدت فيه سلطات الأمن البديل العصري لغرف التعذيب . كما أصبح هذا العلم هو السلاح الماضي الذي تعتمد عليه السلطات في حربها الضارية ضد الجريمة ، وكشف غوامضها وإدانة مقترفيها .

أنواع الأدلة الجنائية :

قيل قديما أن التحقيق صراع بين الجاني والمحقق ؛ الأول يحاول اخفاء معالم

الجريمة ويعمل الآخر ـ وخصوصا بما لديه من أدلة جنائية ـ على الكشف عن حقيقتها واستجلاء الغامض منها ، والتعرف على طرق ارتكابها ، وتتبع الجاني واقتفاء آثاره اذا ما حاول الفرار من وجه العدالة حتى يمكن القبض عليه لينال جزاءه .

والأدلة الجنائية تشتمل على نوعين :

١ ـ **الأدلة المعنوية** : وهي عبارة عن اعتراف المتهم وشهادة الشهود .
٢ ـ **والأدلة المادية** : وهذه تشتمل على الآثار المادية التي يتركها الجاني في مسرح الجريمة أو تلك التي يحملها منه . والأدلة المادية لا يمكننا أن نعددها أو نذكرها فهي لا تقع تحت حصر لانها تتفاوت في أشكالها وأحجامها فمنها الظاهر الذي لا يخفى على العين لكبر حجمه ومنها الدقيق الذي يتناهى في الصغر ولا يدرك الا بالمجهر . والأمثلة على الأدلة المادية كثيرة منها بصمة الاصبع ، بقعة الدم ، شعرة من رأس أو جسد ، البقايا المتخلفة عن الطعام ، الأشياء المتخلفة عن الحريق ، المقذوف الناري ، آثار المعادن والطلاء وغيرها الكثير من الأشياء المادية .

نماذج من الأدلة الجنائية في القرآن الكريم

من المعروف أن هناك تقسيمات عديدة للجرائم لتسهيل مناقشتها ودراستها ، وقد اخترنا تقسيما سهلا يفي بغرضنا في دراسة الأمثلة المختلفة على الأدلة الجنائية في القرآن الكريم . وعليه فيمكننا القول بأن الجرائم نوعان :

أ ـ **الجرائم المعنوية** : وهي الجرائم التي تتصل بالنواحي المعنوية في الإنسان كفكره وعبادته وحريته وملكاته الذهنية .
ب ـ **الجرائم المادية** : وهي الجرائم التي تتصل بالنواحي المادية للانسان وتشتمل على :
(١) **جرائم النفس** .
(٢) **جرائم العرض** .
(٣) **جرائم المال** .

وسوف نورد ـ من القرآن الكريم ـ الأمثلة التي اخترناها للدراسة آخذين في الاعتبار التقسيم السابق للجرائم بالاضافة الى أصول عامة في علم الأدلة الجنائية أو البحث العلمي الجنائي لنكمل بها هذه الدراسة . على أننا يجب أن ننوه أننا قد قصرنا هذه الأمثلة على النوع الذي يحقق المعنى الحرفي للدليل الجنائي ، ولم نتطرق للأمثلة الأخرى التي تشتمل على أنواع لا حصر لها من الأدلة على قدرة الخالق أو على ضرورة التفكير والتدبر أو الأخذ بأساليب العلم بصفة عامة . وكذلك

فاننا ننوه الى أن سورة يوسف في رأينا هي النموذج الرباني الأمثل للقصة والرواية بما فيها من تسلسل أو بناء درامي فانها تعتبر من جهة أخرى وبحق النموذج الأمثل لاستخراج الأدلة الجنائية والدلالة عليها لما تحتويه ـ كما سيلي ذكره ـ على أكثر من جريمة : (**الر تلك آيات الكتاب المبين ★ انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ★ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن و إن كنت من قبله لمن الغافلين**) يوسف/ ١ ـ ٣ .

○ **الجرائم المعنوية** :(١) (**ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ★ اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ★ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ★ قال لقد كنتم أنتم و آباؤكم في ضلال مبين ★ قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ★ قل بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن و أنا على ذلكم من الشاهدين ★ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ★ فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ★ قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ★ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ★ قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ★ قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ★ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون ★ فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ★ ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**) الأنبياء/ ٥١ ـ ٦٥ .

اتفق قوم آزر على عبادة الأوثان وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وشاء الله أن يبعث فيهم رسولا منهم هو الخليل ابراهيم يدعوهم الى عبادة الله الواحد القهار . وتوضح لنا الآيات كيف يدعو ابراهيم قومه الى التوحيد بالاقناع والحجة ، لكن قومه رفضوا الدعوة متعللين بأنهم يتبعون ملة آبائهم الأولين . ويدع ابراهيم الجانب السلمي في دعوته ويعمد الى تحطيم أصنامهم يوم عيدهم ، ويحطم ابراهيم الأصنام كلها الا أكبرها كي يترك لقومه الفرصة في استخدام عقولهم ، وأن هذه الأصنام لا تستطيع دفع الضرر عن نفسها فكيف تدفع الضرر عنهم . ويتساءل القوم عمن فعل ذلك بآلهتهم ، ويشهد البعض أنهم سمعوا ابراهيم يذكر الآلهة بسوء . وتعقد المحاكمة على مشهد من الناس . وينكر ابراهيم التهمة ويتحداهم متهكما فلتسألوا كبير الأصنام عمن فعل ذلك بهم . ويغلق القوم عقولهم أمام دعوة التوحيد ويجادلونه بالباطل وهم يعرفون ويقرون أن هذه الأصنام لا تنطق لكنه الكفران المبين .

أما من الناحية الجنائية :

فالجريمة هنا ـ من وجهة نظر قوم ابراهيم ـ تتعلق بالعقيدة الدينية وهي عدم عبادة الأصنام ، وذلك ما يمكن أن نطلق عليها اليوم **جريمة أمن عام** لأنها ليست موجهة لفرد بعينه بل هي موجهة لكل أفراد المجتمع ، وهي خروج على ما ارتضاه

هذا المجتمع لنفسه من نظام ديني . ولقد توافرت للجريمة كل عناصرها كما توافر لها بعض الأدلة الجنائية :

● دليل معنوي : يتمثل في شهادة الشهود بأنهم سمعوا ابراهيم يذكر آلهتهم بالشر :(**قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم**) .
● دليل مادي : وهو ما نطلق عليه جسم الجريمة وهو هنا هذه الأصنام المحطمة : (**فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون**) .
● دليل مادي : قصد به التمويه ؛ وهو تعليق الفأس - أداة الجريمة - في عنق كبير الأصنام كي يعتقد القوم أن الصنم الأكبر هو فاعل الجريمة . أما ما قصد اليه سيدنا ابراهيم فهو أنه كان يهدف الى افحامهم بالحجة وعن طريق التعجيز ليؤمنوا أن هذه الآلهة لا تنفع ولا تضر .

وترى الآيات(**فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون**) مقررة رجوع القوم الى انفسهم والرجوع الى النفس يعني العودة الى استخدام العقل والتدبر في اتخاذ القرار ، وهي توضح أن العقل والمنطق لا يستطيعان - ما داما يعملان بطريقة سوية - مكابرة الدليل المادي الجنائي ؛ لذلك كان عدول القوم عن اتهام ابراهيم واعترافهم بأنهم هم الظالمون لسؤال ابراهيم أو لعبادة ما لا ينطق ولا يدفع عن نفسه شرا . ونرى بلاغة القرآن الكريم في قوله تعالى (**إنكم أنتم الظالمون**) والضمير أنتم هو لتوكيد الفاعل ، وتعبيرا عن الاعتراف بظلمهم لابراهيم وعبادتهم لما لا ينفع ولا يضر . وتأكيدا - من وجهة نظرنا - لأهمية الدليل المادي الجنائي في الاقناع والحجة والتحكيم .
وتضطرد الآيات (**ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**) تروي أن قوم ابراهيم عادوا فنكسوا على رءوسهم . ولقد استعمل القرآن الكريم كلمة نكسوا بصيغة نائب الفاعل ليدلل على أنهم سلبوا العقل وأصبحوا بلا ارادة نتيجة العجز في مواجهة الدليل المادي الجنائي . على أن تنكيس الرأس في حد ذاته وهو مكان التدبر ومناط العقلانية والتفكير دلالة على انعكاس موازين الحكم وتقييم الأمور . لذلك فقد جادلوا ابراهيم بطريقة مقلوبة بل ضد ما اقتنعت به عقولهم على أنه الصواب . وكانت محاكمتهم العلنية لابراهيم لتحطيم الآلهة ولايمانه بدين جديد . ثم ينجيه الله من كيدهم وظلمهم وتكون النار التي أوقدوها لاحراقه بردا وسلاما عليه .

(٢) (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا ★ انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا ★ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة

لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) الكهف/ ١٩ ـ ٢١

كلنا لا بد يعرف قصة أهل الكهف . انهم فتية آمنوا بربهم وهربوا بدينهم من الاضطهاد ، وزادهم الله هدى وتقوى وقوى على قلوبهم بالصبر وقول الحق والشجاعة . لقد وقفوا بين يدي مليكهم ليعلنوا أنه لا اله الا الله وحده لا شريك له ، رب السموات والأرض ولن يعبدوا من دونه الها آخر بلا دليل واضح أو برهان بين . ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالآيات لما جاءته .

وشاء ربك أن يستطيعوا الفرار بدينهم فلجأوا الى الكهف لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ويهيىء لهم من أمرهم رشدا . وشملتهم رحمة ربك فأنامهم في الكهف ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ثم شاء ربك أن يوقظهم ليعطي للناس آية جديدة على قدرته وحكمته وعلمه . انه يستطيع سبحانه ـ وغيره لا يستطيع ـ أن يحيي العظام وهي رميم . واختلف الناس في مدة بقائهم في الكهف لطولها لكن الحقيقة علمها عند ربي . ولقد شاء ربك كذلك أن يعثروا عليهم بعد أن ذهب أحدهم بعملة فضية كي يشتري طعاما وبرغم الحذر الشديد كي لا يعرفهم قومهم فقد كانت العملة دليلا أرشد الناس أن هؤلاء القوم من زمان غير زمانهم .

ومن الناحية الجنائية :

فالجريمة هنا تشبه سابقتها لانها تتعلق أيضا بالعقيدة الدينية التي ارتضاها المجتمع وفي محاكمتهم أمام الملك اعترفوا بأنهم يعبدون الله وحده لا شريك له وانهم لا يؤمنون بديانة قومهم . لكنه ومع هذا الاعتراف الذي يدينهم استطاعوا الهرب والفرار بدينهم . وشاء ربك أن يبعثوا من جديد بعد أن دار الزمن دورته ومرت السنون . وأيا كان الأمر من الناحية الجنائية نحو سقوط التهمة بالتقادم فلقد عثر القوم عليهم وكان الدليل الذي أشار اليهم هو العملة الفضية التي تختلف بالطبع عن العملة التي كانت سائدة وقت أن بعثوا من جديد .

والدليل المادي الجنائي هنا هو العملة الفضية ، واختلاف العملة عن السائد في زمانها هو ما نطلق عليه اليوم **جرائم النقد** أو **تزييف العملة** . فمن المعروف أن لكل عملة مواصفاتها من النقوش والرسوم والوزن والحجم وكذلك لها تركيبها الثابت من سبائك معينة يكون تركيبها الكيميائي دقيقا حتى يصعب على مزيفي العملة تقليدها . وأي تغيير في هذه المواصفات من قبل أي جهة أو فرد غير الجهة التي أصدرتها يعتبر من جرائم تزييف العملة . والدليل المادي الجنائي هنا له أهميته القصوى في التعرف على المتهمين حتى وان كانت هوياتهم مجهولة بالنسبة للمجتمع . ولقد استخدم القرآن الكريم تعبيرا رائعا (**وكذلك أعثرنا عليهم**) كي يشير الى أن السبب المباشر في العثور على أهل الكهف هو الدليل المادي وهو العملة الفضية . الا أنه من رحمة ربك أنه كان لأهل الكهف شأن آخر .

مائدة القارئ

احذر هؤلاء

قال الله تعالى : « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا . مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا . »
الآيتان ١٤٢ و ١٤٣ من سورة النساء

مفاتيح خير

مفتاح الصلاة الطهور ، ومفتاح الحج الاحرام ، ومفتاح البر الصدق ، ومفتاح الجنة التوحيد ، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الاصغاء ، ومفتاح النصر والظفر الصبر ، ومفتاح المزيد الشكر ، ومفتاح الفلاح التقوى ، ومفتاح الاجابة الدعاء .

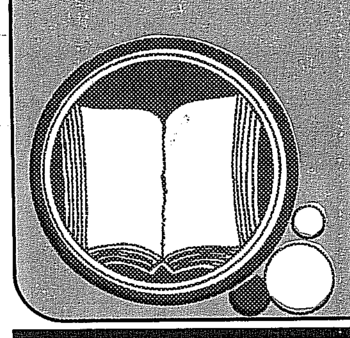
اعمى .. وسراج

كان يسير في الطريق ، حاملا على عاتقه جرة ، وبيده سراج ، حتى انتهى الى النهر ، فملأ الجرة ، فرآه أحدهم فقال : يا هذا .. أنت أعمى ، والليل والنهار عندك سواء ، فما تصنع بالسراج ؟ قال : يا كثير الفضول ، حملته لأعمى القلب ، يستضيء به ، لئلا يعثر في الظلمة ، فيصطدم بي ، فأقع ، وتتكسر جرتي .



دعاء

قال يناجي ربه : يا من لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه المسائل ، ولا يبرمه إلحاح الملحين ، أذقني برد عفوك ، وحلاوة مغفرتك .



الرياء

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ! يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءون في الدنيا فاطلبوا عندهم الجزاء**) .

حوار بين أحمقين

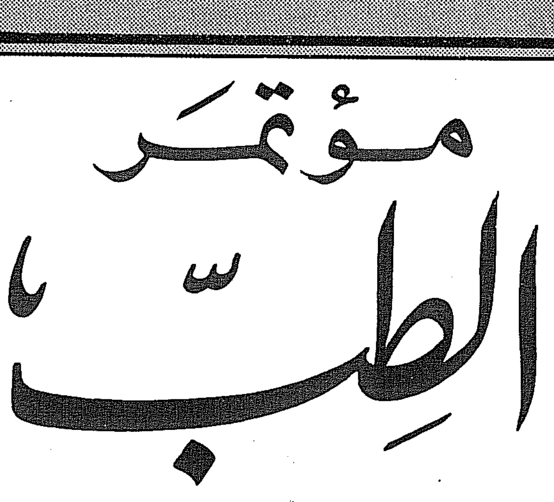
رأى رجل منارة الجامع ، فقال : ما كان أطول الذين بنوا هذه المنارة ، فقال صاحبه : اسكت ، فما أجهلك ، هل رأيت أحداً في الدنيا في طول هذه المنارة ؟ . لقد بنوها على الأرض ، ثم رفعوها .

سر قوته

يحكى أن ملكاً رأى شيخاً قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه ، والشاب يعجز عن ذلك . فعجب منه ، واستحضره ، فحادثه في ذلك ، فأراه ألف دينار مربوطة على وسطه .

غريب

غريب الدار ليس له صديق ... جميع سؤاله أين الطريق
تعلق بالسؤال لكل شئ ... كما يتعلق الرجل الغريق
فلا تجزع فكل فتى سيأتي ... على حالاته سعة وضيق





الاسلام دين الفطرة .. دين الواقع .. دين التشريع للحياة بكل جوانبها .. وللآخرة من اجل الفوز برضوان الله .. دين يعيش به الانسان موصولا بتعاليم السماء .. لتكون حياته شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء .

وفي مطلع القرن الخامس عشر الهجري يعيش العالم الاسلامي انتفاضة اسلامية يحيي بها تراثه .. ويعيد بها امجاده .. ليواصل عطاءه الخير للانسان في كل مكان .. فالدين الاسلامي يشمل نقاء النفس الى جانب سلامة البنيان .. يعنى بالداخل عنايته بالظاهر .. فالطهارة مطلب اساسي فيه طهارة الثوب والمكان ، ونظافة البدن .. وصفاء الضمير ، ونقاء الوجدان .

دين يدعو المسلم لان يكون عابدا بالليل .. فارسا بالنهار .. يدعو المسلم لان يكون سليم البدن وصولا الى سلامة العقل .. لان العقل السليم في الجسم السليم .. واذا ما اصاب البدن آفة كان لابد من العلاج .. وقبل العلاج عرف الاسلام الوقاية .. كما عرف الاسلام ادواء النفس وعالجها .. عرف ادواء البدن ووضع الله لها دواء على الانسان ان يبذل جهده في استكشافه واستخراجه مما اودعه الله فيه .

مع القرآن

قال تعالى : « **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** » .

وقال سبحانه : « **واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون** » .

وقال سبحانه واصفا رسوله والمؤمنين بالقوة والشدة على اعدائهم : « **محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم** » .

الاسلامي الأول

محمد مؤذن

ويقول الله تعالى مبينا فضله على الانسان : « **او لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون . ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون** » .

ومن الصفات التي يتفضل بها الله على خلقه ان يكون افضلهم هو الواسع العلم القوى الجسم قال تعالى : « **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم** » .

مع السنة :

ويأتي الى المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي السنة النبوية الشريفة فماذا يقول رسول الانسانية محمد ﷺ ؟.

يقول : « لكل داء دواء فإذا اصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل » .

وروى ابو سلمى بن عبد الرحمن عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا عدوى ولا صفر ولا هامة » فقال أعرابي : يارسول الله : فما بال الابل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الاجرب فيدخل فيها فيجربها كلها ؟. قال : « فمن أعدى الأول ؟ » .

ويقول : « ان هذا الوجع ، او السقم ، رجز ، عذب به بعض الامم قبلكم ، ثم بقي بعد بالارض ، فيذهب المرة ويأتي الاخرى ، فمن سمع به بارض فلا يقدمن عليه ، ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه » .

وهكذا يدعو القرآن الكريم والسنة المطهرة الى سلامة الجسم ، والحفاظ على الصحة ، وبرز من علماء المسلمين من اشتهر بالطب مثل : ابو بكر الرازي ، وعلي ابن عباس ، وابن سينا ، وابو القاسم القرطبي ، وابن زهر الاشبيلي ، وابن رشد ، وغيرهم ممن عرف العالم القديم والحديث مكانتهم في الطب الاسلامي .

وكان من علمائنا من اشتهر بالجراحة ، وفي الصدر الاول كانت هناك المرضات يضمدن جراح الجند المسلم ، ويسهرن على رعاية المريض ، وعرف الوطن الاسلامي المستشفيات والعلاج ، يوم ان كان العالم يعيش في ظل الخرافات وخزعبلات الكهنة والمشعوذين .

واليوم ـ وعلى أرض الكويت ينعقد المؤتمر الاول للطب الاسلامي تحت رعاية صاحب السمو امير البلاد .. وفي مسجد فاطمة .. يكون اجتماع العلماء .. وكيف لا .. والمسجد هو المدرسة الاسلامية الجامعة .

جلسة الافتتاح

وبالقرآن الكريم يكون البدء .. وباسم الله الرحمن الرحيم يكون الافتتاح .. ثم كلمة سمو امير البلاد التى القاها نيابة عنه الدكتور عبد الرحمن العوضي وزير الصحة الكويتية فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

« وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » .

صدق الله العظيم

اصحاب السعادة الاخوة الوزراء .. حضرات الاخوة والاخوات اعضاء المؤتمر .. حضرات الضيوف الكرام .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لقد شرفني حضرة صاحب السمو امير البلاد ـ راعى هذا المؤتمر بأن انوب عن سموه ، في افتتاح المؤتمر العالمي الأول للطب الاسلامي الذي تقيمه دولة الكويت ، في نطاق احتفالات العالم الاسلامي ، بدخول القرن الهجري الخامس عشر ، ويسرني ان انقل اليكم تحيات سموه مرحبا بكم في الكويت البلد الذي يؤمن ايمانا راسخا بالعروبة والاسلام متمنيا لكم طيب الاقامة ، بين اخوتكم وفي بلدكم وراجيا لمؤتمركم كل نجاح وتوفيق .

يتساءل الكثيرون لماذا نقيم مؤتمرا للطب الاسلامي ؟ واقول ردا على هذا التساؤل ، ان هناك حقيقة تاريخية بالغة الاهمية لا مجال لان ينكرها او يتجاهلها احد في هذا العالم ، تلك الحقيقة ، هي دور الاسلام العظيم في حضارة الانسان وفي تبديد ما ساد العالم وقت ظهوره من ظلمات وجهالة وفتح النوافذ الى نور العلم والمعرفة ، لان الاسلام رسالة السماء الى البشر كافة ، رسالة الخير والهداية الى سواء السبيل ، فهو دين شامل متكامل ، لم يترك صغيرة ولا كبيرة من امور الدين والدنيا الا وعرض لها ، سواء فيما سنه من تشريعات أم عبادات أم أوامر أم نواهي كلها استهدفت خير الانسان ورعايته وحمايته من الاذى .

واضاف يقول : ومن جانب اخر فان التاريخ شاهد على ان الاسلام قد حمل لواء الحضارة والمعرفة ، لاكثر من الف عام ، وكان منارة اضاء نورها العالم اجمع ، وقد استطاع علماء المسلمين ان يقدموا للعالم تراثا خالدا ، في مختلف مجالات العلم لا يزال حتى يومنا هذا ، محل تقدير واعتزاز جميع العلماء ولا غرو في ذلك ، فلقد كانوا صادقين مع انفسهم ، امناء على اعمالهم ، ذلك لان مدرسة محمد عليه الصلاة والسلام ، قد بنيت على الصدق والامانة ، ولم تعتمد على الدعاية الزائفة .. وفي هذه المناسبة يطيب لنا ان نذكر بالفخر والاعتزاز ، الرواد الاوائل من علماء المسلمين العظماء .. الذين تدين لهم الحضارة الانسانية .. امثال الرازي ، وابن سينا ، وابن الهيثم ، وابن النفيس ، والبيروني ، وغيرهم ممن لا يتسع المجال لحصرهم هؤلاء العلماء الفوا كتبا في الطب والعلوم والفلك والرياضة ، وغيرها من مجالات المعرفة ، ما زال علماء العالم يرجعون اليها وينهلون منها ، ويقدرونها حق قدرها .

هذه قطرات من بحر تعاليم الاسلام ، واعمال السلف الصالح ، من علماء المسلمين اوردتها لكم على سبيل المثال لضيق المجال .. ولا اظن بعد ذلك ان يسأل سائل .. لماذا مؤتمر للطب الاسلامي ..؟ الا يكفي منهجا لهذا المؤتمر ان يتناول بالبحث والتدقيق ، تراثنا الاسلامي الشامخ ، في مجال الطب ، والتعاليم التى تضمنها هذا التراث ، في مجال الوقاية والعلاج .. تلك التعاليم التى لو اتبعها الانسان .. لما احتجنا الى هذا العدد الكبير من المستشفيات ، ومصحات الامراض العصبية والنفسية والجنسية .. ومشافي الادمان على الخمر والمخدرات وملاجىء اللقطاء وغيرها .

من هذا المنطلق فكرت الكويت في الدعوة الى عقد هذا المؤتمر .. ليكون المؤتمر العالمي الاول للطب الاسلامي .. وذلك في نطاق احتفالات عالمنا الاسلامي .. بدخول القرن الهجري الخامس عشر .. وبدعوتنا لكم ايها الاخوة الاساتذة العلماء والباحثون نكون قد بدأنا المسيرة الكبرى .. مسيرة العمل في هدى الاسلام .. لكي نصل الى الكنوز العظيمة ، التى تركها لنا . الرواد الاوائل ، من علماء المسلمين الذين اسهموا في اقامة الحضارة الاسلامية العظيمة التى سادت العالم كله لاكثر من الف عام .. دعوناكم ايها الاخوة لهذا المؤتمر لنتدارس هذا التراث الشامخ .. ولنستخلص منه ما يمكن ان نقدمه للبشرية ، التى تحتاج الان الى من ينقذها مما تعانيه من الانغماس في الماديات .. والابتعاد عن الروحانيات ، والسير في ركاب الثراء وبريقه الزائف .. واتباع طريق الشيطان .. بدلا من التقرب الى الله الواحد الاحد الديان .

انه لما يحز في نفس كل مسلم ، يؤمن بربه ورسوله الكريم ، أن ننسى نحن اصحاب التراث الاسلامي العظيم .. ننسى او نتناسى حضارتنا

العريقة ، وماضينا المجيد ، الذي حاول الغرب اسدال الستار عليه زمنا طويلا .

وجذبنا الى افكاره وحضارته ، وهي اصلا من تراثنا ونتاج حضارتنا .. وما ان نسينا فضل ديننا الحنيف ، واصالتنا العريقة حتى كاد اللهان ينسينا انفسنا ، ونتيه في ظلمات الجهل ، واصبحنا في مؤخرة التقدم الفكري والحضاري المستورد ، والذي سيطر على معظم مجالات حياتنا واصبح شغلنا الشاغل التفاخر بالامجاد ، دون ان نضيف جديدا لتراثنا العظيم خلال خمسة قرون مضت .. وليكن مؤتمرنا هذا بداية الطريق من اجل مواصلة مسيرة روادنا العلماء المسلمين الاوائل .. ولا سبيل لنا لبلوغ هذا الهدف .. الا بسلوك منهج البحث العلمي ، في اطار تعاليم الاسلام . وانني لعلى ثقة من ان هذه التظاهرة العلمية الاسلامية ، التى جمعها هذا المؤتمر .. لقادرة بعون الله وتوفيقه على احياء تراثنا وصلة حاضرنا بماضينا وتحقيق نتائج جليلة في عالم الطب مستهدين بروح الاسلام الحنيف .

حضرات الاخوة والاخوات .. انه ليطيب لي في هذه المناسبة .. ان اشيد بتشجيع ورعاية حضرة صاحب السمو امير البلاد ! وسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء .. للبحث العلمي في مختلف مجالات احياء تراثنا الاسلامي بصورة عامة ، وفي الطب الاسلامي بصورة خاصة ولقد كانت اقامة مؤتمرنا هذا ، والاعداد الجيد الذي تم انجازه له ، بفضل توجيهات ورعاية صاحب السمو امير البلاد وسمو ولي العهد .. وسوف تواصل الكويت مسيرتها ، بعون من الله العلي القدير ، في سبيل احياء تراثنا الاسلامي العظيم .. وفي هذا المجال ، يسرني ان اعلن لكم ان مؤسسة التقدم العلمي بدولة الكويت ، قد قررت تقديم ثلاث منح دراسية سنويا ، تخصص احدى هذه المنح للبحث في مجال التراث ، وتخصص المنحتان الاخريان للبحث في مجال التطبيق العلمي والاكلينيكي للطب الاسلامي هذا بالاضافة الى تخصيص عدد من الجوائز القيمة سنويا ، لاحسن بحوث تقدم في مجال الطب الاسلامي وسوف يضع مؤتمركم الضوابط والشروط المتعلقة بهذه المنح الدراسية والجوائز .

ثم اشاد الاستاذ سعدون محمد الجاسم ـ رئيس اللجنة الوطنية للاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري بالمؤتمر ورجال الطب الاسلامي وقال في كلمته :

لقد كانت الهجرة المحمدية نقطة الانطلاق لبناء الدولة الاسلامية وانتشار الاسلام في العالم ، فعندما تعرض النبي صلى الله عليه وسلم لاذى قريش ومكائدها ومحاولاتها المتكررة للقضاء على دعوته العظيمة الى الخير والمحبة والبناء والعدل ، اذن الله له بالهجرة مع اتباعه الى المدينة ، حيث وجد فيها كل اسباب القوة



والدعم ، فقد نصره اهلها وايدوه ، وامدوه بالمال والرجال ، ليعود الى مكة بأذن ربه فاتحا ومنتصرا ، وليعطي للبشرية درسا عميقا بالمحبة والتسامح والعفو عند المقدرة .

ولقد وضعت تلك العودة المظفرة قواعد بناء الدولة الاسلامية التى امتدت الى الاندلس غربا والى الصين شرقا ، وارست اصول دعوة اضاءت بنورها حياة البشرية ، واخرجتها من ظلمات الضلالة والجهل الى نور الايمان والمعرفة ومن براثن العصبية والكراهية والظلم الى رحاب التسامح والعدل .

وبفضل هذه الدعوة العظيمة ، استطاع المسلمون ان يسهموا في بناء الحضارة الانسانية وارساء قواعد السلام والبناء في ربوع العالم ، وامكن بفضلها ان يعلو شأن هذه الامة وتتعزز مكانتها .

ان دولة الكويت كانت سباقة الى الدعوة للاحتفال بدخول القرن الخامس عشر الهجري ، وعملت عن طريق اللجنة العليا للاحتفالات بهذه المناسبة على وضع البرامج المختلفة لابراز هذه المناسبة واعطائها ما تستحقه من اهتمام على جميع المستويات وعلى مشاركة جميع

الاجهزة المتخصصة والمواطنين في نشاطاتها ، ولعل ابرز دليل على مدى اهتمام دولة الكويت بهذه المناسبة الطيبة ان توج صاحب السمو امير البلاد برامج الاحتفالات بكلمة قيمة جامعة وجهها للعالمين العربي والاسلامي والى شعبنا في الكويت افتتح بها تلك البرامج العديدة ، كما ان رعاية سموه لمؤتمركم هذا لخير دليل على ذلك .

لقد كان للطب في الاسلام شأن كبير وظهر من بين المسلمين عدد من علماء الطب كانوا في طليعة الرواد الاوائل من العلماء الذين وضعوا كثيرا من الاسس في هذا الحقل العلمي الحيوي من حقول المعرفة الانسانية واثروا المكتبة التاريخية بالعديد من الكتب التى ظلت نبراسا يهتدى به ويرتكز عليه الى يومنا هذا .

ثم تناول خيط الحديث الدكتور حسان حتحوت .. رئيس اللجنة العامة للمؤتمر فقال مبتدئا بقوله تعالى :

« الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار . يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » .

صدق الله العظيم

سعادة مندوب صاحب السمو .. حضرات الاخوة في الله من ضيوف واهل دار .. يمتاز لقاؤنا في هذا المؤتمر بثلاثة امور :

الاول انه تحت مظلة الاسلام . والاسلام يجب ما سواه . فهو لقاء اخوة في الله ينحسر دونها العرق والجنس واللون واللسان والعنوان .. وتذوب كلها بتأثير « لا اله الا الله محمد رسول الله » فالمؤمنون ليسوا اخوة فحسب ولكنهم امة .. خاطبها ربها بقوله : « وإن هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون » . وعلى التاريخ لم تحز الامة فلاحا الا بهذا الهدى ولم تصب طلاحا الا بالاعراض عنه والتفرق فيه .

والامر الثاني اننا اذ نؤوب الى تراثنا فكالشجرة الطيبة تصل فروعها باصولها واغصانها بجذورها واعاليها بأساسها .. لانها ان لم تفعل اقتلعت وذبلت وعقمت وصارت خشبا جامدا لا نباتا حيا . ويوم كانت شجرتنا ترتوي من اصولها ، واصولها ترتوي من ايمانها وامر ربها ، كانت واسعة الفيء سخية الثمر طيبة الريح لاهلها وللعالمين .

والامر الثالث ان عكوفنا على ماضينا ليس لنحبس انفسنا فيه بل لنغترف منه زادا لمقبلنا .. ولا ننظر للامس نظرة الاعجاب ولكن نظرة الاستفادة . وحتى في صميم المجال الطبي التجريبي يغوص علماؤنا في التراث ثم يطفون منه بلآلىء جديدة تثري الحاضر . ولعل مجموعة البحوث التى سيعرض لها المؤتمر في

هذا الباب مؤشرات الى ان تراثنا ما زال معطاء حتى في يومنا هذا والطب في ذروة سنامه ، مبشرات بان بعض الامراض التى لم يتهيأ لها حل قد تجد الحل في هذا التراث او من وحيه .

معرض الطب الاسلامي

قام الوزير والمشاركون بافتتاح معرض الطب الاسلامي الذي اشتمل على اربعة انواع من المعروضات اولها الصور :

١ ـ صور تاريخية من المتاحف المختلفة في شتى انحاء العالم .

٢ ـ صور محلية مبنية على دراسة علمية من كتب تاريخ الطب .

٣ ـ صور لمخطوطات من كتب الطب الاسلامي منقولة عن المتاحف العالمية .

ثانيا : الآلات الجراحية الاسلامية :

وضعت في معهد التكنولوجيا في الكويت كما جاءت في كتب الطب الاسلامي وخاصة في كتب الجراحة ..

ثالثا : كتب عن الطب الاسلامي ومراجع ومخطوطات :

رابعا : نباتات واعشاب طبية مما كان يستعمل في العصور الاسلامية :

خامسا : نماذج من جسم الانسان محنط وبلاستيك وجبس :

كما شمل المعرض طب ما قبل الاسلام والمستشفيات الاسلامية .





ندوات المؤتمر

وبعد ذلك عقدت عدة لجان ، وطرحت ابحاث قيمة ، ناقشها الاطباء المسلمون ، فكانت اولى الندوات عن ابن سينا .. الطبيب الفيلسوف العالم :

رأس الندوة عبد العزيز حسين وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء ورئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب وشارك فيها الدكتور احسان دوجرا ماجي والدكتور المهدى بن عبود والدكتور محمد عبد الهادى ابو ريده والدكتورة سعدية راشد .

عرف المحاضرون الحسين بن عبد الله بن سينا بانه صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والالهيات .. واصله من بلخ .. ومولده في احدى قرى بخاري وقد صنف نحو مائة كتاب بين مطول ومختصر ونظم الشعر الفلسفي الجيد ودرس اللغة مدة طويلة حتي بارى كبار المنشئين .

اشهر كتبه القانون ، طبع في اوروبا ما بين عام ١٤٧٣ وعام ١٥٠٠ خمس عشرة مرة باللاتينية ومرة بالعبرية وظل الكتاب المقدس في الطب مدة لم يتمتع بها كتاب غيره .. حيث ظلت صفحاته تقلب على منابر الجامعات في اوروبا الى اواسط القرن السابع عشر .

وقد عرف عن ابن سينا انه يفرق بين داء الجنب وبين التهاب الحجاب الحاجز .. وعرف خصائص العدوى في السل الرئوي .. وعرف انتقال الامراض التناسلية وعلل الميول الشاذة في الانسان ودرس الاضطرابات العصبية وعرف بعض الحقائق

النفسانية والمرضية من طريق التحليل النفسي .. واكد المحاضرون على اهمية الاراء التى طرحها ابن سينا في علم النفس التى اعتبرها قسمين احدهما يدخل في باب العلوم الطبيعية والطب والاخر علم النفس من تغذية ونمو وتوليد وحس واعصاب .

والمحاضرة كانت قيمة وقد ابرزت مجموعة من الاراء والنظريات التى طرحها ابن سينا والتى لا زالت مطبقة حتى الان .

ثم تابع المؤتمر ندواته ودراسة البحوث المقدمة ، والتى تعنى بابراز دور الطب الاسلامي وانجازاته .

فكان ان ترأس احدى جلساته الدكتور ابراهيم بدران حيث جرت مناقشة موضوع :

نظرة تاريخية للطب الاسلامي من ناحية تحقيق المؤلفات الطبية وقد تحدث في هذه الجلسة كل من الدكتور سامي حمارنة حيث شرح في البحث الذي قدمه مسألة « التقنية وصناعة الحيل الطبية في كتاب الجراحة لابن القف » ، والدكتور سليم عمار الذي قرأ بحثا حول « مقالة اسحق بن عمران في الماليخوليا » ، والدكتور امادور دياز غارسيا الذي قدم بحثا حول « الكتاب المستعيني لابن بكلارش » ، والدكتور سعيد شيبان الذي قدم بحثا حول « طب ابن رشد » ، والدكتور البير زكي اسكندر الذي قدم دراسة تحليلية لمؤلفات الرازي لابن سينا والدكتور احمد عروة الذي قدم بحثا حول فيزيولوجيا التنفس عند ابن سينا والدكتور نظير احمد الذي قدم بحثا حول المؤلفات الفارسية الاولى في الطب الاسلامي .

وفيما يلي بعض المقتطفات من البحث الذي قدمه الدكتور سامي حمارنة حول (التقنية وخدعة الحيل الطبية النافعة في كتاب الجراحة لابن القف) :

لقد اغفل كثير من الباحثين اعطاء اهتمام لتطور الحيل وادوات الجراحة في العمل الصحي التطبيقي . وواقع الحال يحتم وجود عناصر هامة جدا ساهمت بها الحضارة الاسلامية في هذا المضمار .

واشار الى اكتشاف تم في مدينة الفسطاط في النصف الاول من هذا القرن حول الات جراحية هامة تعود للقرن الثاني الهجري دلت باوصافها على ظهور دقة ونضوج ممارسة الطب الجراحي منذ مطلع النهضة الاسلامية وكان هذا الكشف رائعا من نوعه في ذلك الزمن .

وفي القرن الثالث الهجري نبه كثير من الاطباء في الاسلام على اهمية فن التشريح وعلم الغرائز وشاركوا في تقديم العمل باليد والتقنية الطبية فمثلا اشاد يحيى بن ماسويه بصناعة الجراحة وشرح الطبري امورا مختصة بالفصد والجراحات وعلاج

النقرس والمفاصل . ثم ان ابا زيد حنين بن اسحق العبادي (١٩٥ ــ ٢٦٠هــ) وضع تراجم كتب ابقراط وجالينوس وبولس وشرحها في التشريح والجراحة بالاضافة الى دراسة لطب العيون تحتوي اول رسوم باقية لتركيب العين وتشريحها .

وفي القرن الرابع الهجري دخلت حضارة الاسلام عصرها الذهبي في المهن الصحية بجميع فروعها ورائدها النطاسي أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الذي اشتهر في الطب السريري الاكلينيكي وفنون الكيمياء والمداولة وطب الروح والجراحة ..

وقد اجاد ابن وطنه المجوسي المتوفى عام ٣٨٤ هـ باستقصائه لامور الامراض والجراحة ، ونال قصب السبق في عمل اليد والرسوم الجراحية وكيفية صنعها ودقة اوصافها الطبيب ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (المتوفي حوالي ٤٠٤ هــ) في عاصمة الاندلس الاموية .

ان مؤرخي الطب اجمعوا على انه اعظم جراحي العصور الوسطى حتى زمنه وعميدها واوسعها شهرة حتى ان جيرارد كريمونا (١١١٤ ــ ١١٨٧ م) اعظم مترجمي الغرب من لغة الضاد الى اللاتينية قام بنفسه بترجمة مقالة الزهراوي الجراحية مع الرسوم البديعة الاتقان فانتشر عمله بذلك في تقديم الصناعة الى الغرب في القرن الثاني عشر الميلادي .

وفي القرن السادس الهجري ايضا نبغ عدد من الاطباء النابهين مثل امين الدولة ابن التلميذ شيخ اطباء بغداد (ت ٥٦٠ هــ) وأبو نصر عدنان بن العين زربي (ت ٥٤٨ هــ) وأبو مروان بن زهر الاندلسي (٥٥٧ هــ) الذين بينوا اهمية فنون التشريح والجراحة وتركيب الادوية .

اما الدكتور سليم عمار فقد شرح في البحث الذي قدمه مقالة اسحق بن عمران عن « المالينخوليا » فقال :

لقد اتى اسحق بن عمران منذ ما يقرب من ألف سنة من العراق قاصدا افريقيا حيث تولى صناعة الطب بالقيروان في خدمة الامير ابراهيم بن الاغلب ثم زياد الله الثالث الاغلبي فاقام اساس دار الحكمة بالقيروان وكان أول من ادخل حسب ابن ابي اصيبيعة حقائق المداواة والتطبيب بالمغرب العربي ولقد ألف احد عشر كتابا لم يصلنا منها الا مقالته في « المالينخوليا » او مرض السوداء والاكتئاب حيث يحفظ مخطوطها الوحيد بمكتبة ميونيخ بالمانيا .

يحتوي هذا المخطوط على مقالتين :

الاولى تتعلق بالتعريف بالمالينخوليا وبارضية الاسباب والمظاهر السريرية المختلفة للمرض ، اما الثانية فجاءت بيانا اضافيا للعلاج على اختلاف انواعه التي تشمل العلاج النفساني والحمية والتغذية والطرق المرتكزة على البيئة والمحيط فالطرق الفزيائية مثل الدلك بالادهان والاستحمام واخيرا العلاج بالادوية والعقاقير الذي شرحه ابن

عمران بكل دقة من حيث صناعة الادوية وكيفية استعمالها فسطر كل الوسائل العلاجية المعروفة اليوم في ذلك الداء . ولقد وصف ابن عمران كل الاشكال الاكتئابية تقريبا ما عدا الاشكال العصابية والارتكاسية غير انه لم يذكر ولو مرة واحدة كلمة الانتحار .

هذا وان الابحاث المماثلة التى ترفع الركام عن تراثنا العربي الاسلامي النفيس من شأنها ان تزودنا بمزيد من الحكمة والتفطن فتفتح المجال لابحاث واسعة في ميدان الفرماكولوجيا من جهة وتجعلنا من جهة اخرى نقدر مليا قداسة الرسالة الطبية الشاملة التى اقسمنا ان نؤديها لصالح البشر حسب تعاليم الطب الاسلامي الذي كان ابن عمران من ابرز رواده .

وبعد ذلك تحدث الدكتور احمد عروة عن فيزيولوجيا النفس عند ابن سيناء فقال :

الغرض من هذا البحث هو ابراز مرحلة مهمة في تفهم وظائف التنفس حسبما اوردها ابن سينا في القانون في الطب .

تحتل تحاليل ابن سينا مستوى متقدما بالنسبة لما جاء به الاطباء الاقدمون وذلك رغم انه لم تكن لديه صورة كاملة عن الدورة الدموية الرئوية كما وضحها من بعده ابن النفيس ثم من بعده من الغربيين .

وفضلا عما عرضه في ميادين التشريح العضوي والحركات الالية لاعضاء التنفس ودور الاعصاب المتدخلة فيها فانه قد اظهر فطنة بالغة في شرح الوظيفة التنفسية .

اولا : في تحليل التبادلات التنفسية الاساسية التى تتحقق في ثلاث عمليات :

١ ــ ادخال عنصر هوائي جديد يختلط بالدم ويتكون منه « الروح الغريزي » .

٢ ــ تنقية الدم عن الفضلات الاحتراقية وهى البخار الدخاني والحرارة المحتقنة .

٣ ــ هديل الحرارة الطبيعية بالترويح .

ثانيا : في ابداء نظرية تظهر ان الاستحالة التى تحدث في كيفية الهواء المستنشق لا سيما بمخالطة البخار الدخاني وتتحكم في حركات التنفس ..

ثالثا : في تحديد معنى ووظيفة الروح « الذي يصحب الدم في الشرايين بمفهوم موفق يقترب مما نصف به اليوم غاز الاكسجين وهو كما يقول : لطيف متحرك صاعد لا يحتاج الى تنكيس وعائه حتى ينصب » .

هذه التحاليل التى توصل اليها ابن سينا تشهد على التقدم العلمي الكبير الذي احرزه علية الاطباء العرب والمسلمون في العصور الوسطى والذي سيتخذه العلماء الغربيون وقليلا ما يعترفون بذلك اساسا وقدوة لبعث النهضة العلمية المعاصرة .

ثم واصل المؤتمر في احدى جلساته برئاسة الدكتور فؤاد سيزكين ، وكان

نائب الرئيس الدكتور عدنان العقيل ،دراسة النظرة التارخية للطب الاسلامي من حيث تحقق الاعمال والمنجزات .

وقد عرض الدكتور عبد العزيز بن عبد الله من المغرب بحثا حول تاريخ التراث الاسلامي بالمغرب الاقصى ، كما عرض الدكتور كمال السامرائي بحثا اخر حول التعليم الطبي في العصور الاسلامية ، في حين قدمت الدكتورة سعاد حسين بحثا يدور حول التمريض في الاسلام .

اما الدكتورة كارمن بينا ميونوز فقد قدمت بحثا خاصا عن النباتات الطبية المستعملة في الطب التقليدي العربي ، وتضمن البحث قائمة شاملة بهذه النباتات واوصافها وانواعها .

ثم قدم الدكتور عبد الحافظ حلمي بحثا عن تاريخ مرض اللثمانيا ودور الاطباء فيه ، وبعد ذلك قدم الدكتور فريد الدين بقائي من باكستان بحثا حول الجراحة في الطب الاسلامي .

وقال الدكتور كمال السامرائي في موضوعه حول تعليم الطب في العصور الاسلامية :

لا تعتبر دراسة تاريخ الطب الاسلامي كاملة ما لم تشفع بدراسة وافية في تاريخ التعليم بهذه الصناعة ، والمصادر التراثية بهذا الموضوع قليلة جدا ، كما لم يحاول احد من الكتاب المعاصرين البحث فيه بالرغم من اهميته العلمية والتراثية .

وهناك ثمة اشارات الى بعض اطراف هذا الموضوع نقف عليها لا تفي بالغرض المطلوب . كما ان للاطباء المسلمين كتبا نستنتج من اسمائها انها وضعت في بحث التعليم الطبي ، الا ان تلك لا تزال مع الاسف تعد من المفقودات ، وكل ما وصلنا منها قطع من كتاب (النافع في تعليم صناعة الطب) لابن رضوان المصري ـ (ت ٤٥٣ هـ) عثر عليها في المكتبة الوطنية بالقاهرة ، وفيها اشارة الى تعليم الطب في مدرستي قوص وقنيدس ، وفي المدارس البيتية بأثينة ، وفي طريقة التعليم واجوره وامد دراسته في مصر بتلك الايام . كما جاء فيه اراء خاصة بمؤلف الكتاب في اصول تعليم الطب .

واذ ان الطب العربي وثيق العلاقة بطب الشعوب التى سبقت ظهور الاسلام وبصورة خاصة اليونانيين منها ، فان دراسة تعليم الطب عند تلك الشعوب هى في الحقيقة امتداد الى الخلف لتعليم الطب عند المسلمين ، ولابد وان تماثلت بعض طرق التعليم في كليهما بمحض الصدفة او بالاقتباس . وتقليد الخلف كما عند السلف والاخذ عن معارفهم وصنائعهم وارد بكثرة في تاريخ الانسان المتحضر ، ولا يعتبر ذلك مثلبة أو نقيصة لمن فعل ذلك منهم .

وليس من المعقول ان تكون لتلك المعارف جذور واوليات ابتكرتها اقوام سبقتهم زمنيا في المعرفة .

ففي اصول الحضارة الاوروبية بهذا القرن كثير من المعارف التى هي



من افكار العلماء المسلمين .

وفي العلوم الاسلامية كثير من المعارف اليونانية ، وفي علوم هؤلاء كثير من المعارف البابلية . وفي الحضارة البابلية يطغى الطابع السومري على كل ما ابتكره الاكديون والبابليون والاشوريون في العلوم .

وعلى مفهوم ما تقدم نرى لكثير مما مارسه اليونانيون في التعليم الطبي نظيرا له في تعليم الطب عند المسلمين ، ولذلك اخذنا عن تراثياتهم كاحد مصادر هذا البحث ، ولو لم نشر الى مفردات ما اخذناه منها . والمطلعون على تاريخ الطب اليوناني يستطيعون بسهولة ان يميزوا بين التقليد والمبتكر في اسلوب التعليم عند المسلمين .

اما الدكتور عبد الحافظ حلمي الاستاذ بجامعة الكويت فقد قدم موضوعا بعنوان تاريخ مرض اللثمانيا ودور الاطباء المسلمين فيه فقال :

يحظى مرض اللثمانيا الجلدي بكثير من عناية الباحثين المعاصرين والسابقين وهذا البحث قاصر على صور المرض الجلدية التى تعرف باسم « قرحة الشرق » بصفة عامة . وللمرض قرحة تسم المصاب بأثر يبقى في مكان ظاهر من جسمه طيلة حياته ومن ثم كان الاهتداء الى وصفها في المرجع القديم امرا ميسورا نسبيا وعلى جانب كبير من الوثوق في معظم الاحيان .

بيد ان الاشارة العابرة الى ما سمي « دمل النيل » في بردية ابرس المصرية ليس فيها اي دليل على ان هذا الدمل كان قرحة الشرق بالذات ،

ثم تتابعت جلسات المؤتمر فكانت هناك ندوة عن الطب والدعوة

الاسلامية برئاسة الدكتور عبد العزيز كامل .

واخرى عن اداب المهنة وتطبيقاتها في ضوء الاسلام برئاسة الدكتور/ احمد كمال ابو المجد .

وثالثة عن وثيقة الكويت لدستور طبي اسلامي برئاسة الدكتور حسان حتحوت .

وفي جلسة الختام لخص الدكتور حسان حتحوت الحقائق التى أسفرت عنها الجلسات العلمية للمؤتمر كما يلي :

ان الاسلام جاء من الله عقيدة فأمة فدولة فحضارة قامت عليه ولم تكن لتقوم لولاه ولا تدوم إلا به ، إن الاسلام كان ولا يزال موجبا ودافعا وحافزا ومحركا لطلب العلم والكشف عن اسرار الكون وايات الله سواء اكانت في النفس ام الجماد ام الحيوان ام النبات ام الافاق .. بغير حدود ولا سدود ولا حجر ولا مصادرة ولا اكتفاء ، ولا سماح لاحد من الخلق ان ينتحل لنفسه سلطة الهية تجعل له سلطانا على قلوب الناس او على عقولهم .

ان هذا الاساس الاسلامي قد عاد على الانسانية بنعمتين بالغتين .. الاولى حفظ التراث العلمي الانساني السابق من الضياع والاندثار بعد أن تهدده الاندثار بالمصادرة والاحراق وتعذيب من يقتنيه وتكفير من يجيل الفكر فيه . والثانية اقامة صرح علمي شامخ واحراز انتصارات جديدة علمية ضخمة من كشوف وتقنيات ومعارف وفي شتى المجالات العلمية والنظرية على افق كامل يمتد من الفقه والتشريع حتى الطبيعة والكيمياء ... وكانت العلوم المتصلة بالطب احدى سمات هذه النهضة .

ان الاسلام باحتضانه لاهل الذمة من النصارى واليهود واعتبارهم مواطنين في دولة الاسلام واكرامهم والبر بهم وتحديد مكانهم بالقاعدة الشرعية « لهم مالنا وعليهم ما علينا » قد كفل لهم المناخ الذي يتيح لعقل الانسان ان يعمل وان يثمر وهو آمن مطمئن ، فكان دورهم في الترجمة والبحث والممارسة الطبية اثراء للانسانية كلها عملا بدين يعني بالانسانية كلها .

ان الاسلام في صلب تشريعاته وعباداته واوامره ونواهيه قد عرض مباشرة او بالاشارة او بالتوجيه والتنبيه الى امور وثيقة الصلة بصحة الانسان الجسدية والنفسية وعلى نطاق الفرد والجماعة .

ان هذا المد العلمي الاسلامي في الطب وفي غيره من ابواب العلم كان القبس الذي وجدت عليه اوروبا هداها وهي تنفض عنها ظلمتها وعماها وتفتح جفنيها على ما يسمى عصر النهضة ، مرسلة بعوثها لطلب العلم في ديار الاسلام ، مستقدمة الاساتذة لجامعاتها من الجامعات الاسلامية ، دائبة على تعلم اللغة العربية لتيسير طلب العلم فلما انحرفت امة المسلمين عن الاسلام فغربت شمسه عنها . ظل الشغل

الشاغل لاوروبا ترجمة اعمال المسلمين وظل العمل الرئيسي للمطبعة بعد اختراعها طباعة التراث العلمي الاسلامي ، الذي كان الاساس والركاز للحضارة الغربية المعاصرة وان ضنت عليه الان ـ رغم علمها به ـ بكلمة العرفان والشكران .

ان هذا التراث ـ رغم ذلك ـ يظل اغنى مما كشف منه حتى الان . وما زال يدعو الى المزيد من البحث والتنقيب ، فهو كنز لم تنفد ذخائره ومورد لم يجف معينه ، ومستودع لم يبح بكل اسراره .. ولو غاص فيه الباحثون ثم عرضوا صيدهم على ميزان البحث العلمي التجريبي الحديث فالمبشرات كثيرة بانه يستطيع ان يعين عالمنا المعاصر على بعض مشكلاته المرضية التى لم تحل .. وقد اوردت بحوث السادة العلماء المشاركين نماذج من هذه المؤشرات والمبشرات .

ان عالمنا المعاصر وما يشهد من كشوف وتطبيقات مذهلة في العلوم الحياتية تكتنفه متغيرات شديدة الوطاة حتى على الاعراف السلوكية والانماط الاخلاقية والتراث الانساني الاصيل .

وان التقدم العلمي الرهيب ينطوي على اخطر الاحتمالات ان لم يشهد بالضوابط التى تكفل له ان يكون في خدمة الانسان وتعصمه من ان يهدد الانسانية في صميم كيانها . والا كانت كالسفينة التى فقدت سكانها أو الساري الذي غم عليه الطريق .

والناظر في الاسلام قرآنه وسنة نبيه واحكام شريعته يدرك بوضوح ان فيها عناصر الدستور الطبي الاخلاقي الذي يكفل الهداية في غير ما عائق للتقدم .

اقتراح

هذا وتمنى المؤتمر على دولة الكويت انشاء منظمة اسلامية مستقلة تعنى بشؤون الطب الاسلامي تراثا وبحوثا وممارسة ، وذلك خلال توصية رفعها للحكومة وجاء فيها :

ان المؤتمر يتوجه بالشكر الى دولة الكويت على ما اتاحته من فرصة لهذا اللقاء الاسلامي العلمي التاريخي الحافل .

وقد تأكد للمؤتمر خلال ما دار من بحوث ومساجلات مدى القصور الفادح في اكتشاف ذخائر التراث الطبي الاسلامي لا من الناحية التاريخية فقط ولكن من الحقائق الكامنة وغير المستعملة للانتفاع بها في مجال البحث العلمي والعلاج الطبي لامراض ما زال الطب حائرا امامها .

ويقدر المؤتمر عظم المسؤولية التاريخية عليه وهو يتبين الحاجة الماسة لتلافي هذا القصور خدمة للاسلام وللعلم .

لهذا يود المؤتمر ان يضع بين يدي حكومة الكويت هذه الامانة ويناشدها ان تحمل هذه المسؤولية وذلك عن طريق :

تبني انشاء منظمة اسلامية

بالكويت ذات استقلالية في العمل وعالمية في الاثر ، تعنى بشؤون الطب الاسلامي تراثا وبحوثا وممارسة وتكون اهدافها كالاتي :

١ ـ احياء العلوم الطبية الاسلامية في مجال التراث والبحث العلمي والتحقيق والتطبيق .

٢ ـ تشجيع العاملين في مجال الطب الاسلامي وتوفير الامكانيات اللازمة لهم لتمكينهم من متابعة ابحاثهم وتمكين الرابطة بينهم ومساعدتهم على رفع المستوى الصحي .

٣ ـ تشجيع اقامة هيئات وطنية تعمل بنفس الاهداف في انحاء العالم وتقديم الدعم اللازم لها لنشر رسالتها على اكمل وجه .

٤ ـ السعي لتطوير برامج التعليم وخاصة في مجال الطب باسلوب فعال كفيل بتوعية النشء المسلم بتراثه وربطه بالقيم التى ارتكزت عليها حضارته الاسلامية وتعاليم دينه الحنيف وشريعته السمحة .

٥ ـ العمل على توحيد المفاهيم العلمية والاخلاقية الاسلامية للمهنة الطبية .

يكلف المؤتمر سعادة الدكتور عبد الرحمن عبدالله العوضي ان ينوب عنه في السعي بهذه الامانة النبيلة ويساعده في ذلك هيئة المؤتمر المشكلة من نائبي الرئيس والمقرر العام . على ان يختاروا معهم ثلاثة من ذوي الراي والخبرة . ويكلف المؤتمر هذه الهيئة بمتابعة ما يصدر عن هذا المؤتمر من مقررات وتوصيات .

يناشد المؤتمر دولة الكويت التفضل بعقد المؤتمر العالمي الثاني للطب الاسلامي بالكويت بعد عام من الان .

لقاء الخير

وبعد ان شارك وفود اربعين دولة من دول العالم في المؤتمر بحوالي ثمانين بحثا ، وناقشوا اربعين تقريرا علميا .. سعد ممثلو الوفود باستقبال سمو امير البلاد لهم كممثلين للمؤتمر الاول للطب الاسلامي .

وقد شكر اعضاء الوفد لسمو الامير الشيخ جابر الاحمد الصباح رعايته للمؤتمر واشادوا بمبادرات الكويت المستمرة في هذا المجال ، وبعد ذلك طلب سموه منهم العمل على ابراز دور الطب الاسلامي والانجازات التى قدمها للعالم وتمنى لهم التوفيق في اعمالهم للخروج بالنتائج التى من شأنها ان تحقق الاهداف المطلوبة .

وبعد ذلك استقبل سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله الصباح الوفد الذي يمثل المؤتمر ، وقد تبادل سموه الاحاديث الودية مع وزراء الصحة العرب المشتركين في المؤتمر ورؤساء الوفود وتمنى لهم التوفيق والنجاح في مؤتمرهم الهام .

ثم زار الوفد نائب رئيس الوزراء وزير الاعلام الشيخ جابر العلي حيث جرى تبادل وجهات النظر حول مختلف الامور المتعلقة بالمؤتمر الاول للطب الاسلامي ، وقد رحب الشيخ جابر العلي بوزراء الصحة العرب واعضاء الوفود وشكرهم على جهودهم وتمنى لهم النجاح والوصول الى النتائج المرجوة .

كلمات حول المؤتمر



خدمات قدمها الاسلام للبشرية

قال الاستاذ يوسف جاسم الحجي وزير الاوقاف والشئون الاسلامية :

الحقيقة ان دخول القرن الخامس عشر الهجري الجديد والاستعدادات التي تمت ابتهاجا بهذه المناسبة العظيمة قد اعطتنا والامة الاسلامية اشياء لم نكن نعرفها او لنقل سلطت الاضواء على علوم وخدمات انسانية كنا نتهم بالتقصير فيها من قبل .

واعتقد ان اجتهاد الاخوان في وزارة الصحة وبحثهم في العلم الذي اتى به الاسلام قد ابرز بطريقة تخدم العالم كله وتعرفهم باهمية العلم لدى الدين الاسلامي وبالتالي توضح ما حققه هذا الدين الحنيف للبشرية من خدمات لذلك نأمل ان يكون المؤتمر العالمي الاول للطب الاسلامي انطلاقة وجهدا كبيرا من جهود تبذل لتعريف ما قدمه الاسلام للبشرية في مختلف المجالات ، ونحن بدورنا لم نكن نتصور ان العلماء المسلمين قد حققوا كل هذا .

كانوا في الماضي مندفعين للعلم وتكاسل من جاء بعدهم مما جعلنا نتأخر ونأمل ان نعود الى ماضينا العريق ونفيد العالم بما لدينا من علوم ان شاء الله تكون بمستوى المسؤولية لنحقق للعالم بعضا من عزة الاسلام وكرامة الانسان وقدرته ومكانته بين المخلوقات .

التبشير والطب

مدير ادارة الشؤون الاسلامية بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية عبد الله العقيل قال : من الامور المسلمة التي يدركها كل شخص ان التبشير استفاد من الطب كوسيلة من انجح الوسائل في كسب المؤمنين بالدين الذي يبشر به ويدعو الناس اليه ، ومن هنا يتوجب علينا ان نتناول بعض جوانب التبشير في مجال الخدمات الطبية ففي سنة ١٨١٣ بدأت الارساليات التبشيرية عملها وسط

مسلمي الصين ، وانتشرت انتشارا واسعاً وخاصة من خلال الاطباء والمرضين وفي عام ١٨٨٩ اسست ارسالية التبشير العربية التابعة لكنيسة الاصلاح الاميركية فروعا لها في البصرة والكويت والبحرين والشيخ عثمان وعدن والموصل وبغداد وكلها تحتوي على مستشفيات تبشيرية وبلغ عدد المترددين على المستشفى في شيخ عثمان ٢٠ الف مسلم .

وقال ان المبشرين يبدون اهتماما خاصا بطب الامراض النسوية والولادة ضمن تركيزهم على التأثير على المرأة باعتبارها عضوا اساسيا في التحول الاجتماعي لذلك فالمهمة كبيرة ولابد من استخدام الطب في نشر الاسلام وفي كل مكان وتأمين الاطباء المسلمين في المناطق التى ينشط فيها التبشير لوقف هذا التيار قبل فوات الاوان .

قطر

اقامة جامعة طب اسلامية

وقال وزير الصحة القطري خالد المانع ان هذا اول مؤتمر للطب الاسلامي يعقد بمبادرة اسلامية ، ونحن اذ نشكر دولة الكويت وسمو اميرها على هذا العمل المشرف نتمنى اقامة المزيد من هذه المؤتمرات .

واضاف انه ينبغي الاستفادة من الخبرات الاسلامية المتواجدة في البلاد الاسلامية .

ودعا الى تعزيز فكرة اقامة جامعة طب اسلامية والاستفادة من استخدام الادوية المستخرجة من الاعشاب .

الاردن

خطوة للوصول الى ما هو افضل

قال الدكتور زهير ملحس وزير الصحة الاردني :

ان اقامة هذا المؤتمر بشكله الحالي لاول مرة في العالم الاسلامي اعتبره خطوة صادقة لنصل بأنفسنا الى ما هو افضل لامتنا العربية والاسلامية .

ومن المؤسف اننا تجاهلنا الكثير من تراثنا الطبي العربي والاسلامي سواء على مستوى جامعاتنا أم على مستوى نقاباتنا . وفي هذه الخطوة يوجد تصحيح للنهج ، فمن لا يحترم ما قام به اجداده من اعمال كانت رائدة ومتقدمة على ما كانت فيه في تلك العصور فانه لن يحقق لنفسه تقدما علميا ومكانة لائقة في المجتمع الدولي ، لذلك فاننا شاكرون لدولة الكويت ولسمو اميرها الذي رعى هذا المؤتمر والدكتور عبد الرحمن العوضي الذي رفع اسمنا كعرب عاليا في المجالات الدولية ، وذلك افسح المجال لنا لاحياء تاريخنا في هذا

المجال
واضاف الوزير الاردني :
ان المؤتمر يبحث في الدرجة الاولى عن الطب في الاسلام وفي تاريخ الاسلام العريق ومنجزاته التى يشهد لها كل متحقق وكل دارس ، اما ان نقارن او نقول ان طريقة الطب الاسلامي في المعالجة تختلف عن الطريقة الحالية فهذا غير وارد ، لاننا نريد ان نؤكد دراسة تاريخنا الطبي والعلمي في الماضي ونحصل منه على العبرة لكي ننطلق في مجالات التقدم العلمي الحديث ولا اجد اي تضارب بين استعمالات كثيرة لطرق علاجية اسلامية او شعبية وبين العلم الحديث ، فمن المعروف ان مواد كثيرة مستعملة حاليا في الطب اصلها من النبات وعرفت منذ القدم وعلى سبيل المثال مسكن الآلام (الافيون) ومادة الاتروبين من (البيلادونا) وحتى المواد التى تستعمل في التخدير الان اصلها من الاعشاب .

نحن نريد ان نعرف الطب الاسلامي ، ومن الضروري ان تدرس هذه المادة في جامعاتنا كلها كمادة اساسية ، وهذه تعني الاستفادة من تاريخنا الكبير الذي نسيناه او الذي اجبرنا على نسيانه ، ومن هنا تأتي اهمية هذا المؤتمر الذي يمكن ان يحقق لنا الاستفادة والتباحث مع الدول الاسلامية والدول غير الاسلامية التى تهتم بموضوع الطب الاسلامي .

وبذلك ختم المؤتمر العالمي للطب الاسلامي الأول جلسة الافتتاح التى عقدت صباح يوم الاثنين ١٩٨١/١/١٢ .

هذا .. وقد حضر حفل الافتتاح عدد من الوزراء الكويتيين بالاضافة الى الدكتور العوضي وزير الصحة ، منهم وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الاستاذ يوسف جاسم الحجي ، ووزير الدولة لشئون مجلس الوزراء الاستاذ عبد العزيز حسين ، ووكيل وزارة الاوقاف الاستاذ محمد ناصر الحمضان ، ووكلاء الوزارات ، وكبار الشخصيات ، بالاضافة الى عدد كبير من مختلف دول العالم ، منهم اربعة وزراء صحة ، هم وزراء قطر ، والاردن ، وتونس ، والعراق ، وشخصيات اسلامية وطبية لها مكانتها بلغ عددها ٧٢ طبيبا ، و ٧ من المتخصصين في القانون والادب .



التوصيات

وفي يوم الجمعة ١٦/ ١/ ١٩٨١ اصدر المؤتمر توصياته في مسجد فاطمة بضاحية عبد الله السالم ـ بالكويت . حيث عقد المؤتمر جلسة صباحية أعلن بعدها هذه التوصيات :

اولاً :
تقدير البادرة الطيبة التى اتخذتها دولة الكويت بالدعوة الى هذا المؤتمر الاول واستضافته وتقرير ان يكون هذا المؤتمر عملا دوريا مستمرا في العالم الاسلامي يلتقي فيه العلماء والباحثون لعرض ما تجمع لديهم من حصيلة علمية في مجال الطب الاسلامي .

ثانيـاً :
الدعوة لوصل الامة الاسلامية بتراثها وتعريفها بالاسباب التى مكنت لها من بلوغ ما بلغت من مدارج الرقي في كل مجال بما في ذلك المجال العلمي والطبي

واستثارة همتها للاخذ بتلك الاسباب من جديد .

والمؤتمر لذلك يناشد القائمين على شؤون التعليم في العالم الاسلامي ان تكون المقررات الدراسية في شتى مراحل التعليم وافية بهذه الغاية .

ثالثاً :

الدعوة لتشجيع دراسة التراث الطبي الاسلامي ضمن غيره من انواع التراث العلمي الاسلامي .. ويناشد المؤتمر كافة الجهات المسؤولة عن الثقافة في العالم الاسلامي بذل الجهود متضافرة ومنسقة للتنقيب عن هذا التراث ولم شعثه واجتلابه من مكامنه او مواطن غربته وتيسير تناوله للدارسين . والمؤتمر يحيي الخطوة المباركة التى تستهدف اقامة مركز للطب الاسلامي بالكويت يضم مكتبة وثائقية مجهزة بمطالب الدارسين في هذا المجال .

رابعاً :

تشجيع البحوث العلمية التجريبية الاكلينيكية والمختبرية التى تكفل التوثيق العلمي العصري لتراثنا الاسلامي مع تقديم ثمرات هذه البحوث في مجال علاج الامراض او التوقي منها الى الاسرة الانسانية جمعاء .

ويناشد المؤتمر كافة الجهات العلمية في العالم وخاصة العلماء المسلمين مؤازرة هذه الابحاث العلمية اولا بالاهتمام بها وثانيا برصد ما يلبي حاجتها من ميزانيات وادوات ومختبرات .. وفق اصول البحث العلمي المعاصر مع نشر ما تسفر عنه من نتائج ايا كانت .

خامساً :

مناشدة المتخصصين في تاريخ الحضارات وتاريخ العلوم وتاريخ الطب في العالم اجمع ان يسلطوا على تاريخ الحضارة الاسلامية ضوء الحقيقة وان يصارحوا شعوب العالم بها في غير تعصب ولا تحريف ولا انكار وانما في سمو العلماء عن العواطف العامة التى طغت على المجتمعات الغربية حقبة من الزمن فأن استقرار السلام في العالم والمحبة بين الشعوب وحدب الانسان على الانسان لن يرتكز الا على اساس من الحقيقة المجردة والصدق النزيه الذي لا بد سيعلو صوته يوما مهما طال الزمن .

سادساً :

مناشدة المسؤولين عن التعليم الطبي ان تشتمل المقررات على دراسة للاسلام ولتاريخ الطب الاسلامي ولاخلاقيات الطبيب التى يحض عليها او يوصي بها الاسلام والتى يراها المؤتمر حرية بالاعتناق من قبل الهيئات الطبية كلها لا أطباء

المسلمين فحسب وتشكيل اللجان اللازمة لتحديد محتوى هذه المقررات .

سابعاً :
تبني وثيقة الكويت عن الدستور الطبي الاسلامي وقسم الطبيب ووضعها تحت انظار المسؤولين في العالم الاسلامي لاقرارها والعمل بها .

ثامناً :
السعي لتشكيل مجلس اسلامي من اهل الثقة والكفاءة من المتخصصين في الفقه ومن المتخصصين في العلوم الطبية والحياتية يتناول بالدراسة المحدثات من نتائج التقدم العلمي التى لا تندرج تحت نص ولا تقاس الى سابقة حتى تصدر الفتيا فيها على بينة شاملة لكل جوانبها محيطة بدقائقها الطبية والفقهية معا . ويكون كذلك مرجعا فيها يستشكل على الناس في امورهم الصحية وما يترتب عليها من فتاوي شرعية .
ويعقد المؤتمر الامل على دولة الكويت لتأخذ بزمام المبادرة في تكوين هذا المجلس والسعي بفكرته الى حيز التنفيذ .

تاسعاً :
تشكيل لجنة تقوم بمتابعة توصيات هذا المؤتمر والقيام على تنفيذها وتنفيذ ما يترتب عنها من اجراءات .
وهكذا انهى المؤتمر العملاق جلساته على امل العودة في العام القادم ، مبينا الربط بين الدين والطب ، كما قال الدكتور حسان حتحوت :

وما الطب الا حنو السماء ... على الارض بالبر والمرحمات
وكف سعت بين رب العباد ... وبين العباد بفيض الحياة
براءة ايوب من ضره ... وغاية عيسى من المعجزات
بناء البنوة حتى تشب ... وراعي الامومة والامهات
سياج الشعوب من التهلكات ... وعون الشعوب على المهلكات
تباركت ربي فيما صنعت ... وفيما بدعت من المعجزات
ببرك انت وصلت الحياة ... فكان الاطباء تلك الصلات !

وهكذا رأينا شمولية الدين الاسلامي لكل ما ينفع الناس ، وفضل علماء المسلمين على التقدم الذي يشهده الغرب في كل ميادين الحياة .. فالى صحوة اسلامية قوية تحيى مجد الاسلام ، وتسير الى الامام والله يعز دينه ، وينصر جنده ، ويوفق المخلصين لما فيه الخير .



للأستاذ عزت أبو الفتوح حموده

لقد خلق الله الانسان في أكمل وأجمل صورة . قال تعالى : (**يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ما شاء ركبك**) وقال : (**لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم**) وزينه بنعمة العقل الذي يستطيع به أن يفرق بين الشيء الذي ينفعه والذي يضره واننا لا نجد أبدا شيئا أمر الله به الا وفيه فائدة للخلق بصفة عامة والانسان بخاصة .

وكذلك لا نجد شيئا حرمه الله الا وفي اتيانه ضرر للخلق بصفة عامة وللانسان بصفة خاصة .

كـذلك نجد أن الاسلام بدعوته القوية الواعية طالب بخمسة أشياء فيها سعادة البشر ، وعمارة الدنيا ،

ورضاء الله سبحانه وتعالى وهي .. « حفظ النفس ـ وحفظ العقل ـ وحفظ العرض ـ وحفظ الدين ـ

وحفظ المال » كما جعل الموت في سبيل صيانتها من أعظم أنواع الشهادة ..

فعن سعيد بن زيد رضى الله عنه . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » ... رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه ـ حديث حسن ـ

والحق أن الاسلام عندما جاء يدعو الى صيانة هذه الخمس وحفظها ، لم يكن في ذلك بدعا بين الأديان . فقد كانت هذه الخمس المحور الذي قامت عليه الأديان على امتدادها ...

ولذلك فنحن حين نتعرض للحديث عن التدخين نريد أن نبين خطره من ناحيتين هما :

- ناحية اعيائه للبدن واضعافه .
- وناحية اذهابه للمال واهداره » .

ومما لا شك فيه أنهما أمران يتصادمان مع الدين ومع ما يدعو اليه . وهنا يجب أن نفكر بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة عن عمره فيم أفناه ، وعن جسده فيم ابلاه ، وعن علمه ما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه . » ..

ولقد ثبت علميا وطبيا مدى ضرر التدخين بالنفس والمال وقد جعلهما الله وديعتين عند كل انسان . وأمره بصيانتهما . وهنا قد يطرأ الى ذهن القارىء سؤال ما هو التركيب الكيميائي للسيجارة . وللاجابة على ذلك أقول ..

تتكون السيجارة من التبغ الذي يتكون أساسا من مادة « النيكوتين » وتحتوي مؤخرة السيجارة على أكبر كمية ممكنة من النيكوتين .. وعندما تشتعل السيجارة وتدخن فان أبخرة النيكوتين تمتص عن طرق الغشاء المخاطي المبطن للانف والقناة الهضمية حيث تتصاعد بعض مكونات التبغ وهي .. البيرودين ، والفيرفورال ، والأكرولين » كما أن هناك غازات ضارة مهيجة للغشاء المخاطي تنتج نتيجة لاحتراق الورق الذي يغلف السيجارة مثل غاز أول أكسيد الكربون وثان أكسيد الكربون ..

ولقد وجد أن تدخين سيجارة واحدة يعطي حوالي ١٠ مجم من النيكوتين . ولكن ما هو اذا تأثير النيكوتين على جسم الانسان . ـ وهنا أقول ـ ان تأثير النيكوتين ضار بجميع أجهزة جسم الانسان ..

أولا ـ الجهاز العصبي المركزي ..
يؤثر عليه مباشرة وخاصة على مراكز

التنفس ومركز الجهاز الدوري ، ومركز القيء في النخاع المستطيل فيؤدي الى تنشيطها . ولذلك نجد عندما يحصل المدخن على كمية كبيرة من النيكوتين فانها تؤدي الى حدوث رعشة وتشنجات عصبية كما أنه له أثر كبير في ادرار البول نتيجة لتأثيره على الفص الخلفي من الغدة النخامية ..

ثانيا ـ **تأثيره على الجهاز العصبي اللا إرادي** .. وجد أنه يؤثر على العقد العصبية في الجهازين السمبثاوي والباراسمبثاوي . وكذلك نهاية الأعصاب في العضلات الارادية فيؤدي الى تنشيطها أولا ثم شلها ثانيا ..

ثالثا ـ **تأثيره على الجهاز الهضمي** .. يؤدي الى الشعور بالغثيان والقيء ثم اسهال يعقبه امساك وكذلك يزيد من افرازات اللعاب والشعب الرئوية . ولقد وجد أنه قد يحدث التسمم الحاد بالنيكوتين بجرعة قدرها ٤ جم من التبغ . ويمكن استخلاص هذه الجرعة من أربع سجائر فقط ولكن في الحقيقة أن معظم النيكوتين لا يمتص ..

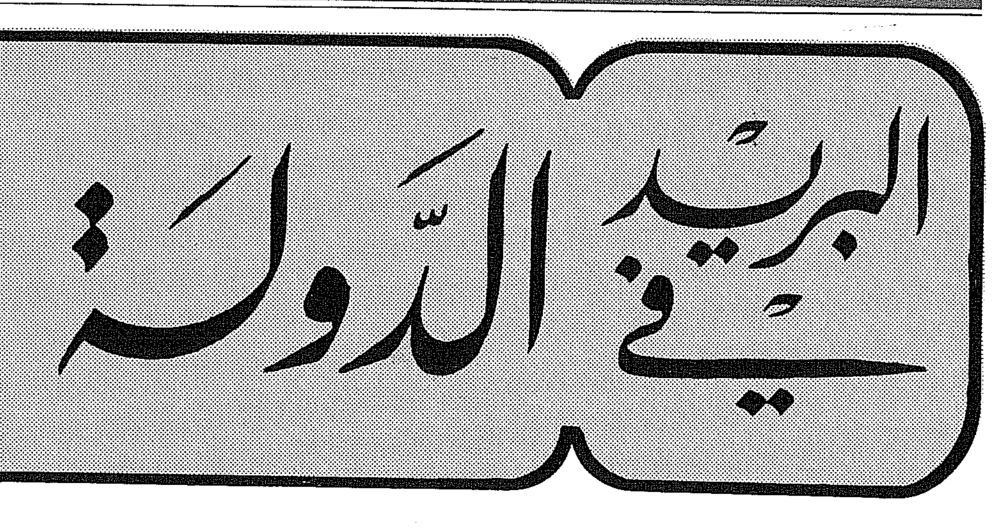
رابعا ـ **تأثيره على الجهاز الدوري** .. يؤدي أولا الى ارتفاع ضغط الدم وذلك نتيجة للتأثير المنشط لمركز الجهاز الدوري في المخ كذلك نجد أن ضربات القلب تقل أولا ثم لا تلبث أن تزيد نتيجة لتأثيره على الجهاز السمبثاوي .

ننتقل أخيرا الى ذكر بعض الأعراض التي تظهر على الانسان الذي يدخن بكثرة مثل :

١ ـ التهاب مزمن في الجهاز التنفسي مما يؤدي الى صعوبة التنفس .
٢ ـ فقدان الشهية وسوء الهضم .
٣ ـ يؤدي الى ضيق في الشريان التاجي الذي يغذي القلب مما قد يؤدي الى حدوث أعراض الذبحة الصدرية .
٤ ـ يؤدي الى ضعف حاسة الابصار (العين) وذلك نتيجة لضيق الأوعية الدموية المغذية لشبكة العين .
٥ ـ فقدان الدم لجزء كبير من وظيفته في حمل الأكسجين الى خلايا الجسم نظرا لأنه يحتوي على مادة كربوكس هيموجلوبين نتيجة لوجود غاز أول أكسيد الكربون بالدم ..
٦ ـ قد يؤدي الى حدوث سرطان الشعب الرئوية نتيجة لحدوث التهابات مزمنة بالأغشية المبطنة للشعب الهوائية للرئتين ..

وبعد هذا العرض أستطيع أن أقول بأن التدخين عادة سيئة ومكروهة من قبل الله عز وجل حيث أنه يكون سببا أساسيا في اصابة جسد المدخن بالأمراض العديدة وكذلك في اهدار وضياع المال وانفاقه في طريق غير مشروع ..

ولذلك فانني أقول لمن يدخن بكثرة عليه أن يقلل من التدخين تدريجيا وأن يعزم عزما أكيدا على ترك هذه العادة السيئة التي لا يعود عليه منها سوى ضياع الصحة والمال ..



البريد في الدولة

عرفت الدولة الاسلامية نظام البريد منذ نشأتها في المدينة على يد النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، الذي امر ان يعهد بالبريد لمن يكون حسن الوجه حسن الاسم وذلك اضافة الى تمتعه بالذكاء وطلاقة اللسان ويتضح هذا من اختياره لعامله ومبعوثه الى قيصر امبراطور الروم دحية الكلبي الذي خاطب القيصر قائلا « يا قيصر ارسلني من هو خير منك والذي ارسله خير منه ومنك فاسمع ثم اجب » وكان هذا المبعوث يحمل اول رسالة بريدية او سفارة اسلامية من النبي الى حاكم الروم يدعوه فيها الى الاسلام .

وتطور البريد ايام الامويين الذين ادركوا اهميته في معرفة احوال البلاد ، ونقل الاخبار السياسية والاقتصادية والامنية والعسكرية ، فكان صاحب البريد ينقل المعلومات عن طريقة معاملة الولاة للرعية واثر هذا على ولاء المواطنين لسلطة الدولة المركزية وعن طريقة جباية الاموال من زكاة وخراج ، وهل فيها تعسف او ظلم ، لا يتفق مع القوانين الشرعية والنظم المعمول بها التى يجب ان يلتزم بها الولاة في توفير العدالة بين كافة افراد الامة ، على اختلاف الوانهم وديانتهم ومناطقهم ؟ وتأتي اهمية البريد في سرعة اتخاذ السلطة المركزية في دمشق للاحتياطات الامنية بارسال الجنود والشرطة للعمل على استتباب الأمن والنظام بالقبض على من يحاول الخروج على سلطان الدولة ، او يحاول اثارة الفتن ،

وتتعاون الشرطة مع الجند في هذا المضمار بينما يقوم الخليفة بارسال الجند للدفاع عن الوطن على الحدود الفاصلة بين الدولة الاسلامية واطرافها وذلك بارسال النجدات واعادة تجديد الحصون والاستحكامات الدفاعية ليهب الجند



للدفاع عن الوطن والاسلام .

وتتضح اهمية البريد في نظر الخلفاء من قول الخليفة عبد الملك بن مروان لحاجبه « وليتك ما حضر ببابي الا اربعة : المؤذن داعي الله تعالى فلا حجاب عليه ، وطارق الليل فشرٌ ما أتي به ولو وجد خيرا لنام ، والبريد فمتى جاء من ليل او نهار فلا تحجبه فربما افسد على القوم سنة حبسهم البريد ساعة ، والطعام اذا ادرك فا فتح الباب وارفع الحجاب وخل بين الناس وبين الدخول » .

وكان هذا القول اكبر دليل على دور البريد في توفير الأمن في انحاء الدولة ، وربط اجزائها ومعرفة اخبار الولايات والاخطار عن تحركات الجيوش على الحدود ، ومقدار استعداد العدو للحرب وتحديد موعد الهجوم لتكون قوات الدولة جاهزة للهجوم قبل ان تفاجأ بالعدو ، خاصة ان الهجوم احد قواعد النصر وركائزه .

وكـذلك فطن الخليفة ابو جعفر المنصور مؤسس الدولة العباسية الحقيقي لدور البريد وخطورة مهمته في قوله « ما كان احوجني الى ان يكون على بابي اربعة نفر لا يكون على بابي اعف منهم هم اركان الملك ، ولا يصلح الملك الا بهم . اما احدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم ، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى ، والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية ، والرابع صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة » .

وكان صاحب البريد ايام العباسي يؤدي مهمات اكبر حيث يقف على اعمال الولاة وعلى اعمال القضاة وما يصدرونه من احكـام ويسجل في تقاريره للخليفة اسلوب الحكم وطريقة التقاضي والتحري عن الشهود ، وهل تتوفر العدالة او ان الحكم والقضاء يسير على هوى الولاة ؟ ولا يستند الى ما تقرره الشريعة من نظم تحقق

الاخاء وتكفل المساواة ، كما يكتب صاحب البريد عن اسعار المـــواد الغذائية وهل هي في مستوى عامة الشعب او مرتفعة ؟ وهل هناك استغلال من التجار ؟ وأهم من هذا كله هو قيام الجيش في الولايات وعلى الحدود بواجبه وتدريباته ، ليكون على المستوى اللائق الذي تريده الدولة في السهر على حماية امنها وسلامة حدودها البرية والبحرية وحماية سواحلها وشواطئها ومراقبة تحركات العدو عن طريق الاستخبارات والمناورات على السواحل التى تكشف العدو قبل وصوله .

استخدام الحمام الزاجل في المراسلات البريدية :

عرفنا ان مهمة صاحب بريد الولاية هي موافاة الخليفة بجميع الامور الهامة في ولايته ، وما يدور فيها .

ومعرفة احوال المـــوظفين وعمال الخراج ، وما يقومون به من اعمال وكتابة تقارير عن احوال الولاية وادارتها ، وتصرف المسئولين مع الصناع وعمال الزراعة ، وكـــان لعمال البريد اكبر الفضل في تحسين احوال الرعية وتقوية الروابط بينهم وبين كبار الرسميين والخليفة ، وكانت الخيل التى تخصص للبريد تمتاز بالسرعة والمهارة ، وتقيم لها الدولة محطات استراحة بين منطقة واخرى ، وتشيد هذه المراكز ببناء محكم له قباب ثلاث تميزه على غيره ، وكانت قطارات البريد تتألف من اكثر من اربعين دابة ، ويوضع البريد في اكياس من الجلد لحفظه ، وكانت الخيول تستبدل بين فترة واخرى حتى لا يصيبها الجهد ، وليصل البريد بأقصى سرعة وفي الوقت المناسب .

واستبدل الحمام الزاجل بدلا من الخيل لسرعة الحمام حيث يستطيع الطيران والوصول في مدة تقل عن ثلث الوقت اللازم للخيل عند قطعها نفس المسافة ، ويذكر المؤرخون ان الخليفة العباسي ثالث الخلفاء ، كان اول حكام المسلمين في استخدام الحمام في نقل البريد .

وطريقة التراسل بالحمام هي شد الرسالة تحت جناح الحمامة او ذيلها على ان المسئولين في الدولة الاسلامية كانوا يكتبون الرسائل من صورتين ترسل كل منهما مع حمامة ، الثانية بعد الأولى بساعتين ، وذلك ضمانا لوصول الرسائل .

التراسل الحربي :

كـــانت الرسائل الحربية توضع ضمن غلاف صغير من الورق الذي لا يتأثر بالماء وذلك بطلائه بالزيت ، وتعلق الرسائل في عنق الحمامة او في جوف الريشة من ذنبها ، او داخل قارورة صغيرة تحت جناح الحمامة ويرسل الحمام من ابراج الحصون بين بغداد او حلب او دمشق او القاهرة

وقد توسع السلطان الناصر صلاح الدين الايوبي في استخدام الحمام

الزاجل اثناء حصاره لمدينة عكا في اغسطس ١١٩٠ م ، وقد ادى الحمام دورا هاما في نقل الرسائل الحربية التى تطالب بالامدادات والنجدات البشرية التى يجب ارسالها برا وبحرا لتحطيم قوات الغزو الصليبي لبلاد الشام .

وكانت الاسراب التى تطلق من مصر تطلق من ابراج قلعة صلاح الدين الى الصالحية ، فبلبيس ، ثم غزة ، والقدس ، ونابلس ، فدمشق ، وفي هذه المحطات يمكن استبدال الحمامة باخرى ، لكن الحمام كان يستطيع الطيران مسافات بعيدة ، وكانت سرعة طيران الحمام في الساعة حوالي اربعين ميلا . وكان العمال يبصمون منقار الحمامة ببصمات خاصة ، ينقش اسم السلطان عليها ، ويسجل عليها رقمها ، وبمجرد وصول هذا الطير الى قصر الخلافة ، تفض الرسالة وتعرض فورا على الخليفة ، ليتصرف بسرعة وفق ما يراه .

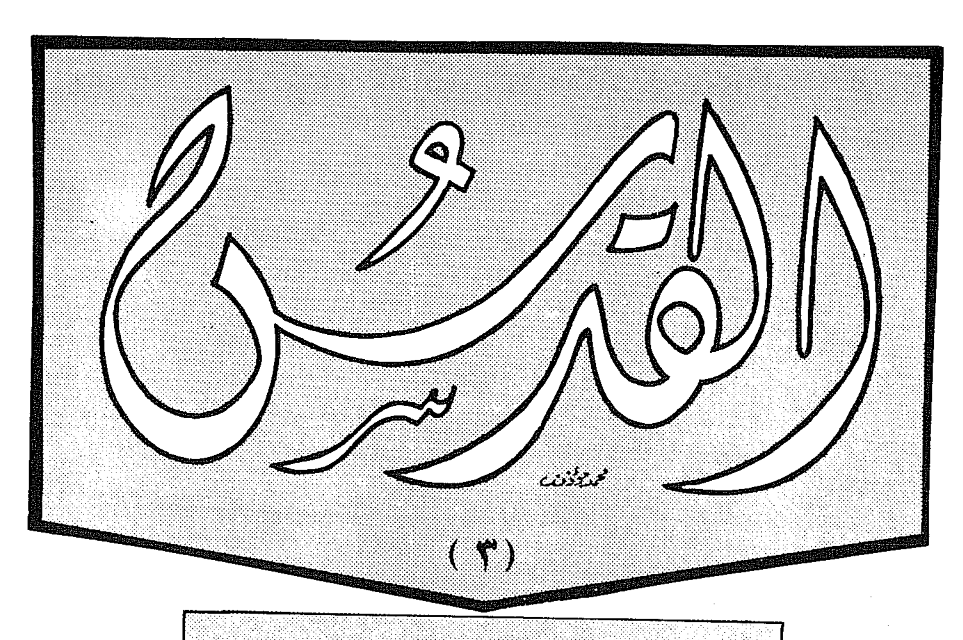
وقد حطم المغول ابراج الحمام الزاجل بسوريا حين غزوا هذه البلاد في زحفهم على مصر الذي توقفوا فيه بعد ان هزموا في معركة عين جالوت بفلسطين ، بفضل تعاون قوات الجيش الاسلامي في مصر والشام على مجابهة هؤلاء الغزاة ، لكن هذه الابراج والمحطات اعيدت للعمل بعد ان تم اصلاحها في عهد السلطان الظاهر بيبرس المملوكي .

وهكذا فقد كانت المراكز الخاصة بالحمام موزعة في الطريق بين مصر والشام على مسافات منتظمة في كل مركز موظفون ساهرون ، يتولون عملية استبدال الرسائل او الحمام وفي كل مركز حراس وموظفون ، يراقبون وصول الحمام ليلا او نهارا خوفا من ان يمر عليهم وهم نائمون .

وكان المتبع الا يطلق الحمام في الجو العاصف الماطر الا نادرا ، حرصا على وصول الرسائل بسلام الى الاماكن المحددة .

وكذلك كان يطلق الحمام للمساعدة في خدمة تجارة القوافل حيث يرسل صاحب القافلة رسالة مع الحمام في حالة تعرضه للخطر ، او في حالة طلب بيانات عن الاسعار ، او طلب بضائع بسرعة لتصل قبل مواسم الشتاء او الصيف او قبل الاعياد الدينية والقومية ، وتطور استخدام الحمام فيما بعد الى قيامه بنقل الرسائل العادية بين الافراد كالتجار ، بعد ان كان مقتصرا على الرسائل العسكرية والرسمية بين الولاة ، ودار الخلافة ، خدمة للمصلحة العامة .

وقد حقق البريد في الدولة الاسلامية اجل الخدمات وافضلها ، وساهم في تحقيق النصر اثناء الحملات الحربية ، كما ساعد على نشر الامن والقبض على قطاع الطرق في الصحراء بالاسراع في ارسال النجدات وضبط الادارة الحكومية ، وضمان سيرها على اسس من العدالة حتى نعم ابناء الامة الاسلامية بمزيد من الامن والطمأنينة على انفسهم وحرياتهم واموالهم .



تنفيذا لتوصيات اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين بقضية فلسطين والقدس الشريف بالكويت يسر مجلة الوعي الاسلامي ان تنشر هذه الموضوعات التي اعتمدتها تلك اللجنة في اجتماعاتها .

حينما نزلت الآية الكريمة (**سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير)** . لم يكن المسجد الاقصى ولا القدس في يد المسلمين فكان ذلك تحولا عظيما وباعثا يدعو المسلمين لنشر لواء الاسلام في بلد حمل ركاب خاتم الانبياء وامام الانبياء فيه .

وعندما أذن الله بالفتح الاسلامي امر امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائده ابا عبيدة بن الجراح ان يتوجه من الشام الى بيت المقدس فأعد العدة وسير جيشا بلغ عدده خمسة وثلاثون الف مقاتل . ولعل المقاتل الصابر الذي يحب الموت في سبيل الله كما نحب الحياة يذكرنا بقول الله جلت عظمته « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » ولعلنا نتذكر قول الشاعر :

كأنهم في ظهور الخيل نبت ربا
من شدة الحزم لا من شدة الحزم

وبعد حصار دام اربعة اشهر طلب السكان من أبي عبيدة ان يصالحهم على صلح اهل مدن الشام وان يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب فكتب اليه بذلك فخرج عمر رضي الله عنه الى بيت المقدس وخرج صقرنيوس بطريق بيت المقدس الى عمر بن الخطاب فاعطاه عمر وثيقة الامان التي عرفت بالعهدة العمرية .

وكل ارض يفتحها المسلمون سلما أو حربا تصبح دار اسلام ويجب على المسلمين جميعا المحافظة عليها واقامة حكم الله فيها وحمايتها وصيانتها من ان تمس بسوء من سلب او نهب او احتلال .

وواجب على الناس اذا جاء العدوأن ينفروا المقل منهم والمكثر ويقول الامام ابن الهمام في كتابه الهداية « وقتال الكفار واجب وان لم يبدأوا ولا يجب الجهاد على صبي ولا امرأة ولا اعمى ولا مقعد لعجزهم فان هجم العدو على بلد وجب على جميع الناس الدفع». تخرج المرأة بغير اذن زوجها لانه صار فرض عين بل لقد مضى الفقهاء على ما هو اكثر من ذلك فقالوا ان استولى الكفار على اموال اهل الذمة الذين يعيشون في الدولة الاسلامية وجب استعادتها كما تستعاد اموال المسلمين .

اما الجنوح الى السلم فانه يأتي ابتداء من الكفار ولا يبادئهم المسلمون بطلبه اعمالا لبقية النصوص الخالدة:فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم .

وقوله تعالى « **فلا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين** ».

اما الاستدلال على جواز الصلح من السنة منقوض ايضا فمعاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم لقريش في صلح الحديبية كانت على ارضهم وشتان بين معاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم والتي تضمنت اعتراف قريش بالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين كقوة دولية وبين رأي من حاولوا جعل مئات الملايين من المسلمين في مقام كفار قريش حيث يطلب منهم الاعتراف بدولة يهود على أرض مباركة من أرض المسلمين .

وقد كان فيما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم درسا لامته في أن اليهود قوم لا يصلح معهم عهد ولا صلح يتجلى ذلك مما آلت اليه معاهداتهم من غدرهم وبغيهم مما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يجليهم لأنهم اشد الناس عداوة للذين آمنوا.

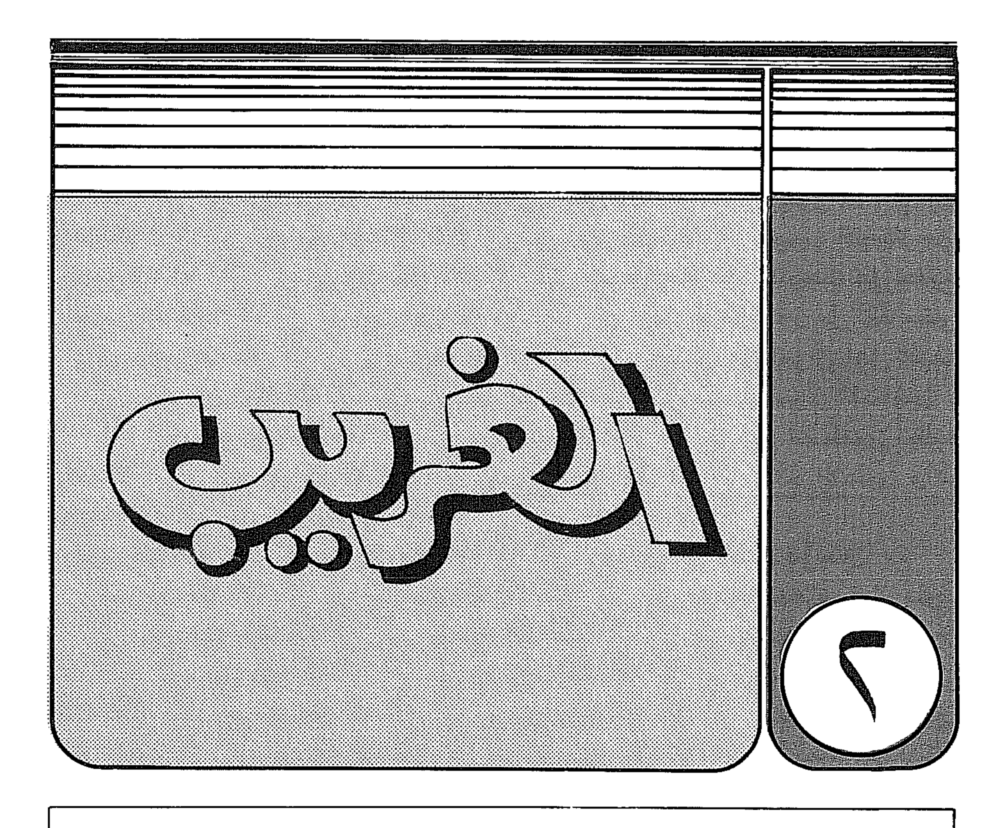
وأرض فلسطين كلها اسلامية لا تفريط بشبر واحد منها وقد مرت في تاريخنا فترات لا تقل مرارة عن هذه الفترة لم ينهض بها من كبوتها الا صدق اللجوء لله والاخذ باحكام الاسلام فلا يجوز شرعا اقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه وتمكين المعتدي من البقاء على عدوانه والله سبحانه امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتال المعتدين .

(**واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم**) .

(**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**) .

واليهود عبر تاريخهم المظلم لا يعرفون ولا يفهمون الا لغة واحدة هي لغة القتل لانهم أحرص الناس على الحياة .

اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين
بقضية فلسطين والقدس الشريف

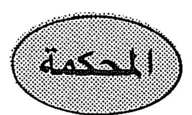


مسرحية في فصل واحد من ستة مناظر

للاستاذ/ محمود دياب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبـه ، وذلك أضعف الايمان » .

المنظر الثالث



قاعة محكمة غريبة ، يتربع على منصتها قاض على رأسه طرطور يعلوه سلك هوائي طويل ، وعلى أذنيه سماعات ، وعلى اليمين يقف ممثل الاتهام ـ في

ملابس جلاد ـ وراء منصته .. وعلى الشمال قفص الاتهام ، وخلف القضبان يقف ثلاثة من الرعايا المتهمين ، وقد وضعوا على رؤوسهم الاقنعة التنكرية التي كانوا يلبسونها في السوق ، وهم مكبلون بالاغلال الطويلة يحرسهم بعض رجال الشرطة من رجال الاسواق ، وفي يدهم السياط .

وفوق رأس القاضي مباشرة ، يعلق شعار الدولة ، وهو عبارة عن رسم لقرود ثلاثة : الاول : يضع كفيه على عينيه ، والثاني : يضع كفيه على أذنيه ، اما الثالث فيضع كفيه على فمه ، ويتدلى من هذا الشعار ميزان العدالة وكفته اليمنى الى أعلى ، واليسرى الى أسفل .. وتحت الميزان شعار مكتوب عليه بخط احمر بارز (المتهم مدان حتى لو ثبتت براءته) وهناك حاجب مقنع يقف امام منصة القاضي وعلى جانبي قاعة المحكمة بابان للدخول والخروج .. ولا يوجد محامون بهذه المحكمة .. وتمضي فترة ترقب وانتظار طويلة نسبيا لا ينطق فيها احد من الحاضرين بالمحكمة ، كأنهم خشب مسندة ، او تماثيل جامدة .. ثم يتحرك القاضي فقط ويلعب في الهوائي الذي يعلو رأسه ثم يشير الى الحاجب بابهامه .

الحاجب : (يتحرك بنشاط صارخا)

الجلسة فتحت فانتبهوا والعدل سيأخذ مجراه

القاضي : (يشير اليه القاضي قائلا) : **ناد أسماء الأوغاد**

الحاجب : (يشير الى المتهم الاول الماثل في قفص الاتهام ويقول)

الوغد الأول سيدَنا بالقفص الماثل ينتظر

المتهم الاول : (لا ينطق بل يهز رأسه في حركات عصبية مضحكة)

القاضي : (يوجه كلامه الى ممثل الاتهام) **ما التهمة ؟**

ممثل الاتهام : (يشير الى المتهم الأول)

..... هذا سيدَنا وغد يتحدى بعناد

قد ثار بسوق مدينتنا يمطرنا فحش الاحقاد

يقلد صوت المتهم ساخرا

سرقوني ، غشوا ، لن اسكت فلتبتر رأس الاوغاد

القاضي : (بغضب) (يفكر قليلا ثم ينطق بالحكم)

يتحدى السلطة في صلف ... . ارسله لسيف الجلاد .

(فور نطق القاضي بالحكم ينقض الحراس على المتهم المسكين ، وهو يقاوم

ويصرخ ثم يقتاده احدهم الى خارج قاعة المحكمة ويخرجان من الباب)

القاضي : (بعد ان يسود السكون قاعة المحكمة يشير الى الحاجب) .
ناد اسماء الأوغاد ..

الحاجب : (يشير الى المتهم الثاني الذي يقف في قفص الاتهام)

الوغد الثاني سيدَنا بالقفص الماثل ينتظر

القاضي : (يسأل ممثل الاتهام) **ما التهمة ؟**

ممثل الاتهام : (يشير الى المتهم)
هـذا سيدنا لا يضحك بل يبكي دوما
ذبلت عيناه بلا عمل واشاع الحزن بلا جدوى
لا يسهم في نفع ابدا وغدا قد تنتشر العدوى
العدل سيشفي علته وكلاب الصيد به اولى

القاضي : (يستجوب المتهم متهكما)
ماذا أبكاك لتزعجنا ؟ يا نسل البومة والشؤم
(صارخا) **انطق ان شئت واسمعنا سببا يدعوك الى اللؤم**

المتهم : (في ضراعة يبدأ كلامه) : **مولاي أنا رجل ....**

القاضي : (بمجرد ان يسمع المتهم ينطق أنه رجل يقاطعه في غضب ساخراً)
.... **رجـل ؟ ستنال جزاءك يا رجل**
اوقفت تجادلنا حقا ؟ ونسيت حدودك يا حمل
ونطقت أمامي في صلف ؟ لا ادب فيك ولا خجل

(ثم يلتفت القاضي الى حارس المتهم قائلا) **يا حارس ...**

حارس المتهم : (في خوف بالغ) ..... **سمعا سيدنا**
القاضي : (يأمره) **نفذ ما تسمع وامتثلوا :**
(ينطق بالحكم)
محكمة الشعب تجرمه ولسجن الدولة ينتقل
خازوق العدل سيضحكه ولسان الفاجر يعتقل

الحارس : (في خشوع تام) **السمع لأمرك والطاعة ...**

(يهجم الحارس على المتهم ويجره جرا خارج قاعة المحكمة والاخير يصرخ)

المتهم الثاني : (يبكي ويصرخ)
مظلوم ... اني مظلوم ... مظلوم ... اني مظلوم ...

(يظل يرددها حتى يخرج مجرورا من قاعة المحكمة)

القاضي : (يشير الى الحاجب) **ناد أسماء الأوغاد**

الحاجب : (يشير الى المتهم الثالث الواقف بالقفص)

الوغد الثالث سيدَنا بالقفص الماثل ينتظر

القاضي : (يسأل ممثل الاتهام) **ما التهمة ؟**

ممثل الاتهام : (يشير الى المتهم ويقول) :
...... هذا سيدنا مأجور ينقل أسرارا
يسترق السمع لاخبار للدولة ليلا ونهارا
سيحيك مؤامرة كبرى للفوضى يجمع أنصارا
ويشيع بأن عدالتكم ظلم ، وسيشعلها نارا

القاضي : (يتعجب في غضب)
عجبا لكلاب نطعمها ما لذ وطاب وتنهشنا
لا نطلب الا طاعتها لتعيش بظل رعايتنا
(يسأل المتهم) **اتقول بأن عدالتنا ظلم وتهدد مولانا ؟**

المتهم الثالث : (مقاطعا صارخا في يأس)
ما قلت ولا سمعت اذني سرا او جهرا مولانا
منبوذ مالي من احد ولعدلك انشد الحانا

القاضي : (صارخا في المتهم)
اتكذب دعوانا علنا سأريك عذابي الوانا

القاضي : (يسأل ممثل الاتهام) **التهمة ثابتة ؟**
ممثل الاتهام : (مؤكدا ومشيرا الى ملف القضية الضخم الذي يضعه امامه) ... **طبعا**
القاضي : (يهز رأسه في صلف وغرور قائلا) ... **العدل سيأخذ مجراه**
(يعتدل في جلسته وينطق بالحكم)
نظـرا لبشـاعـة فعلتـه تقطـع اذنـاه ورجـلاه
(ثم يشير الى الحارس)
علقـه بـلا رأس شهـرا بـالسـوق وتقلـع عينـاه
المتهم : (صارخا والحارس يجره الى الخارج)
مظلوم ... اني مظلوم ... مظلوم اني مظلوم
(المتهم يرددها حتى يخرج وبعد فترة صمت قصيرة يداعب القاضي السلك الهوائي ثم يسأل
القاضي : (موجها كلامه الى ممثل الاتهام)
اهنـاك قضايـا ننظـرهـا في هـذا اليوم ـ لنـا الله

ممثل الاتهام : (يجيب في ثقة) .... **ابدا ما ظل بحوزتنا ....**

(تسمع جلبة وضوضاء صادرة من الخارج ثم تزداد تدريجيا ، ثم يدخل من الباب الشيخ الغريب يتوكأ على عصاه ، يتدافعه القرود الثلاثة ، ويقفون جميعا بالقرب من القضبان التي كان يقف بداخلها المتهمون السابقون ـ القاضي وممثل الاتهام يتبادلان نظرات الاستفسار والدهشة ويظهر عليهما الضيق والملل ـ حيث قطع الداخلون اقوال ممثل الاتهام)

القاضي : (يوجه كلامه للقرد الاول) .... **يا هذا ما هذي الفوضى ؟**
ممثل الاتهام : (مستفسرا محتجا)
بـل كيف دخلتم ؟ ولمـــــــــاذا ؟

القرد الاول : (يجيب في خشوع ورهبة)
عفـوا سيدنـا لا تغضب قد جئنا من عنـد الوالي
مـولانا الحـاكم سيـدنـا يـرجو ان تسمـع أقوالي

القاضي : (في ملل وضيق)
افصح عن قصدك مختصرا ايـاك تعطـل اعمـالي

ما القصة ؟

الاول : (يشير الى الشيخ قائلا)

..... هـذا سيـدنـا الشيـخ غـريب الاطـوار
مـذ جاء وادخـل دولتنا يتسقط كـل الاخبـار

القرد الثاني : (مدعما قول الاول)

يتكلم جهـرا بـل يسمـع ويـرى ممنـوع الاسـرار
قـد زعم يفتش عن كبد ولديه : (جهاد ، حورية)

القرد الثالث : (مكملا القصة)

واليـوم يـريـد مقـابلـة للوالي من اجل قضية

القاضي : (في غضب للشيخ)

عجبـا لغبائـك يـا هـذا الوالي من اجل قضيـة ؟

القاضي :

وانـا ما افعـل ؟ خبرني أنسيت أصـولا مرعيـة ؟
ولمـاذا أزعجت الـوالي ؟ هـذي أعمـال سـوقيـة
مـولانـا الـوالي مشغـول بشئـون الحكم السلميـة

(ثم يبدأ القاضي في استجواب الشيخ)

يا هذا .... من انت اجبني ؟

الغريب الشيخ : (يجيب في ثقة واعتزاز)

أنا في الزمان حكاية وسؤال !!

أما الحكاية .... فاسألوا تاريخكم عنها فقد يتذكر الجهال ...
أما السؤال ... فقد أجابت حالكم فعرفت ما نطقت به الأحوال ...

القاضي : (في غضب)
ماذا تقول ؟ أراك تهذي ملغزا ... هـلا اجبت موضحـا الغـازا ...
من أي أرض جئت تبغي أرضنا ؟ مـاذا تريـد ؟ وحدد الألفـاظا ..

الشيخ : (يرد في ثقة) **من جنة للخلد جئت معاتبا ...**

ممثل الاتهام : (يعلق على كلام الشيخ ساخرا) **الشيخ يهذي ...**
القاضي : (يشير بيده بما يدل على شكه في القوى العقلية للشيخ)
ما عليه ملام ...
(ثم يهدد الشيخ)
أوتدعى هذا الجنون لتتقي غضبي وبطشي ؟ خابت الأوهام

الشيخ : (يشير الى القاضي آمرا مهددا)
(قرقوش) اقصر واستمع لمقالتي هذي بلادي والحبيب يزار
قد شاقني اهلي ، ومهد زعامتي والقدس ، والزيتون والأسوار

القاضي : (مقاطعا صارخا) **اتسبني ؟ من ذا تكون ؟**
الشيخ : (ينتصب في اعتزاز وفخر قائلا)
...... انا الذي تاريخه عطر يفوح ونار
الغرب يعرف من اكون وشرقنا والقدس والتاريخ والكفار
انسيت (عكا) حيث اسرك يا ترى؟ وفدتك اموالي ففك اسار[1]
قد كنت مملوكا فصرت مملكا هزل الزمان وضاعت الاقدار
واذا الرعاع تحكموا في سادة هدم القضاء وضيع الاحرار

ممثل الاتهام : (يوجه كلامه للقاضي محتجا)
حتام نصبر ؟ والدعي يسبنا
القاضي : (في مكر ودهاء) **صبرا جميلا تكشف الاسرار**
(ثم يسأل الشيخ)

قد ضاق صدري منك هلا قلت لي ؟ من انت قل لي ؟ ايها الثرثار
الشيخ : (مذكرا في سخرية مرة)
اخسأ .. وأقصر كل قولة هازىء أني صلاح الدين يا حمّار

القاضي : (يضرب كفيه دهشة واستغرابا ويقول هازئا)
الشيخ جن فجاء يهذي هاهنا لم يدر أن صلاحه أطمار
يا شيخ قد مات العزيز وفي الثرى دفن الأبيّ ، وبالشآم مزار

الشيخ : (مؤكدا اقواله)
ما مت بل احيا بفردوس السما واليوم عدت فهالني استنكار

(١) اشارة الى أسر (قرهقوش) في (عكا) وافتداء صلاح الدين له بالمال حتى فك أسره

هــل تنكــرون البعث ؟؟

القاضي : حــــاشـــا انمـــــا
يوم القيامة بعثنا ...

الشيخ : (وقد فهم التورية في قول القاضي فيرد معقبا) ... أصفار

بُعثَ (العُزَيّرُ) وكان مثلك منكرا وحِمَارُهُ ، فاستغفر الانكار[٢]
قدَ عاد قبلي فِتيةٌ قد آمنوا اصحابُ كهفٍ كلهم اخيار

القاضي : (وقد افحمته الحجة ، ولكنه يكابر غير مصدق لما يسمع فيصرخ آمرا القرود الثلاثة)

هذا الجنون بعينه متجسدا السجن يشفي عقله والنار

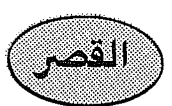
(يهجم القرود الثلاثة على الشيخ : ثم يقتادونه الى خارج قاعة المحكمة)

الشيخ : (يصيح مهددا متوعدا)

تبا لمثلك يا بغى وفي غد تأتيك انبـاء لها اخطـار

(يخرج القاضي وممثل الاتهام والحاجب)

المنظر الرابع



في احدى الليالي الساهرة وفي قاعة العرش في قصر الوالي جلس الوالي منتفخ الاوداج صلفا وغرورا ، تحيط به الجواري والغلمان ، وقد تهيأ الجميع لاقامة حفل ساهر ما جن من ليالي الف ليلة وليلة .. وعلى يمين القاعة الفخمة وقف كبير الحجاب على الباب والحراس في كل مكان .

ويصفق الوالي بيديه ويشير ايذانا ببدء الحفل ، فتبدأ الجواري والقيان بالعزف والرقص ، والغناء والضحك ، ثم تقدم احدى القيان كأس شراب يرتشفه الوالي قطرة قطرة وهو يكاد يذوب من النشوة والسرور والسعادة .
وتقوم المغنية لتغني بصوت شجي ، ولحن سحري اغنية يسكر لها الجميع ويتمايلون طربا :

(٢) اشارة الى (العُزَيّر) الذي يدعى اليهود أنه ابن الله .. لعنهم الله بكفرهم : كما جاء في سورتي التوبة الآية رقم (٣٠) والبقرة الآية رقم ٢٥٩ .

فــاتن ملــك	مــاس وارتبــك
يسحــر النهى	اينمــا سلــك
راقص الخطى	تــاه وامتلــك
سهم لحظــه	قــاتــل فتــك
صــاد مهجتي	غــازل الشبــك
ظــالم الهــوى	حبــه شــرك
هــز عطفــه	صبــرنــا هلــك
بت ســاهــرا	ارقب الفلــك
زار طيفــه	قلت : هيت لك
شفني الجــوى	ليتني معــك
قــال ضاحكــا :	انت من ملــك
شــاعر الهــوى	كيف ضيعــك

كبير الحجاب : (يترك مكانه عند الباب ويقترب من الوالي قائلا في خشوع)
مولاي (يتوقف الرقص والغناء)

الوالي : (بغضب لان الحاجب قطع عليه لهوه ومجونه) **لماذا تزعجنا ؟؟**

كبير الحجاب : (مبينا السبب وكأنه يعتذر) ... **مولاي وزيرك بالباب** .

الوالي : (في ضيق)

اف ... اي الوزراء ترى ؟ في هذا الليل المرتاب ..

(يشير بيده للجواري والقيان للانصراف قائلا)
انصرفوا الليلة احبابي ...
(يخرج الجميع ما عدا كبير الحجاب والحراس)
(ثم يشير الوالي الى كبير الحجاب قائلا) **ادخله كبير الحجاب ...**

كبير الحجاب : (في خشوع) **فورا مولانا** (ينحني امام الوالي ثم يجري الى الباب مهرولا)

كبير الحجاب : ثم يشير الى وزير الدولة بالدخول قائلا) **وتفضل...**

وزير الدولة: (يدخل وعلى رأسه طرطور طويل ثم ينحني ويقبل يد الوالي)

مــولاي تعطف وتقبــل من عبدك رصد الاحــوال

(ثم يقدم للوالي ملفا ضخما منتفخا بالأوراق والتقارير)
الوالي : (يأخذ الاوراق بعدم اكتراث ويقول في ضيق)
تقـريـرك معـروف سلفـا ألديك جـديد بـالوادي ؟

الوزير : (في ثقة يشرح ملخص التقرير شفهيا)

احوال الشعب مطمئنة والخير وفير بالوادي
لا احد يبصر او يسمع او ينطق خوف الارصاد
وسجونك عامرة دوما بكلاب الحقد الاوغاد
والقاضي يعرف واجبه والعدل نشيد الاعياد
اركان الامن مدعمة وعدوك رهن الاصفاد

الوالي : (وقد مل وضاق صدره مما يسمع)

هذا ما كنا نعرفه أهناك جديد ببلادي ؟
ما حال الجيش وعدته ؟ وقلاع الشرق الميّاد ؟
وعيوني ، هل جاءت منهم أخبار تخدم أغراضي ؟

الوزير : (في ثقة واعتزاز)

مولاي جيوشك مفخرة تتحرق شوقا لجهاد
اعداؤك باتوا في رعب وقلاعك حصن الامجاد
وعيونك تسعى في حذر تترصد كيد الحساد

الوالي : (تنفرج اساريره ويقول في سعادة)

حسنا ، ضاعفت سعادتنا أين الشعراء لإنشادي ؟

الوزير : (يشير الى الباب الذي يقف عنده كبير الحجاب ويقول)

بالباب فريق مجتمع هل ندخل شحرور الوادي ؟

الوالي : (يتذكر شيئا مهما فيشير بيده قائلا)

مهلا ، حدثني هل صنعت اقفال السر السحرية ؟

الوزير : (يجيب في سرور بعد أن تذكر هذا الأمر فيقول)

مولاي نسيت فسامحني لك عندي بشرى وهدية
حدادك عبدك مسعود صنع اقفالا سرية
لا تفتح الا برموز تجهلها كل البشرية
لحزام العفة مفتاح ولسور الدولة مفتاح
ولبيت المال وخزنته ولسجن الدولة مفتاح

ولكــل نفيس تملكــه صنف أرقــامــا مخفيــة

الوالي : (وقد بهرته تلك الأنباء)

بشــراك أهاجت أفــراحي أمــلاكي بــاتت محميــة
أمــا الاقفــال فجــربهــا ان نجحت ضعها بروية
ورمــوز السر تسجلهــا ومفــاتحهــا تبقى عنــدك
لا يغلق قفــل او يفتــح الا بكتــابي اوتــذبــح

الوزير : (يتحسس رقبته في خوف ويقول في ذلة)

سمعا مولاي ومن فوري اضــع الاقفــال واختبــر
ان نجحت فــزنــا بنظــام لــلامن ، ومجدك يــزدهــر

الوالي : (في لهجة آمرة)

يا رجل الدولة فلتســرع واصدع بالامر فلا تخسر

الوزير : (ينحني في خشوع قائلا) **سمعا مولاي سأنصرف**
(يخرج من الباب الذي جاء منه)
الوالي : (يقول للوزير مهددا وهو يخرج) **عجل ، وحذار تتأخر** .
كبير الحجاب : (يقترب من الوالي ويقول) **مولاي ... القاضي بالباب** ..
الوالي : (آمرا) **ادخله كبير الحجاب** ...
كبير الحجاب : (في خشوع) **فورا مولانا** (يهرول الى الباب ويقول للقاضي) **وتفضل** ..
القاضي : (يدخل في زيه الغريب الذي كان يرتديه في المحكمة ينحني ويقبل يد الوالي)

مــولاي اتيتك كي احظى بســديد الــرأي وأنتصح
ميــزان العــدل بــدولتكم لــولاكم مــال وننفضــح

الوالي : (يشير للقاضي بالجلوس)

اجلس .. وتمهل واسمعني هل جاءك شيخ مجنون ؟

القاضي : (يحك رأسه كأنه يتذكر ثم يجيب قائلا)

قد جاء صباحا تحــرسه انيــاب زرق وعيــون
جادلني ـ فصبرت طويلا وهجــاني ذاك الملعــون

الوالي : (ينفجر ضاحكا عند سماعه عبارة القاضي الاخيرة خصوصا وان القاضي قالها بتأثر)

لا تغضب واهدأ وتذكر السر خطير مدفون
مذ جاء رصدنا حركات يأتيها ، فالأمن مكين
لولا اسرار نجهلها قتل المأجور المأفون

القاضي : (تنفرج أساريره عند سماع ذلك فيقول) **مولاي بماذا تأمرني ؟**
الوالي : (بعد تفكير) **ارسل للسجن لكي يحضر**
القاضي : (يقف ممتثلا ويقول) **سمعا مولاي سأخبرهم**
(يسر لكبير الحجاب بما يفعل)
كبير الحجاب : (يخرج برهة ويعود ثانية لمكانه والقاضي والوالي يتابعان حركاته ثم يعود القاضي لمجلسه قائلا)
القاضي : **في التو سيمثل مخفورا**
الوالي : (في ثقة وكأنه يحدث نفسه) .... **وسنعرف سرا مستورا**
كبير الحجاب : (يتقدم الى الوالي قائلا) **مولاي الشيخ لدى الباب**
الشيخ : (يدخل مكبلا بالاغلال وعصاه في يده يتوكأ عليها وحوله بعض الحراس الشيخ يردد بيت الشعر المشهور) :
مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها

الوالي : (مرحبا بالشيخ في مكر ودهاء)
اهلا وسهلا هلت الانوار اهلا وسهلا ساءنا استهتار

(ثم يلتفت الى الحراس قائلا)
فكوا وثاق الشيخ من اغلاله فالشيخ ضيفي حقه الاكبار

الحراس : (يسرعون بفك اغلال الشيخ)
الوالي : (يأمر الحراس بالخروج) **هيا اخرجوا ودعوه حرا بيننا**
(يسرع الحراس بالخروج) (يلتفت الى الشيخ ويقول)
اجلس ... تفضل انتم الاخيار
الشيخ : (يجلس صامتا وقد بدت عليه علامات التعذيب)
الوالي : (**متوددا**)
اني اعتذرت لما اصابك آسفا هلا عفوت ، وربك الغفار
العفو من شيم الكرام وفي غد يأتيك من جوف الظلام نهار

الشيخ : (لا ينطق .. وانما يتطلع فيما حوله صامتا)
الوالي : (ينادي على كبير الحجاب) **يا آمر الحجاب**
كبير الحجاب : (يأتي مهرولا) .. **سمعا سيدي ...**

الوالي : (يشير الى الشيخ قائلا) **للشيخ بالقصر الكبير مقام**
هيا اصطحبه الى هناك مكرما وتعهدوه فحقه الاكرام

(يقوم الشيخ يدب على عصاه يسنده كبير الحجاب ويخرجان من الباب ويغيبان عن الانظار)
القاضي : (يبدي تعجبه ودهشته مما رأى)
مولاي ماذا قد رأيت بربكم ؟ او هكذا تتعهد الاشرارا ؟

الوالي : (هازئا من غباء القاضي)
هذي السياسة يا غبي وفي غد نجلو الخبيء ، ونعرف الاسرارا

كبير الحجاب : (يعود كبير الحجاب ويبلغ الوالي ان امره قد نفذ)
مولاي أمرك نافذ ومنفذ
الوالي : حسنا (يعود كبير الحجاب الى مكانه) .
(ثم يلتفت الوالي الى القاضي قائلا) ... **ودعني استريح موفقا** .
(يقف القاضي ثم ينحني أمام الوالي ويخرج من القاعة والوالي يفكر ويدبر)
كبير الحجاب : (معلنا قدوم وزير الدولة) **مولاي وزيرك بالباب** ..
الوالي : (آمرا وقد فرغ صبره) ... **ادخله كبير الحجاب** ..
وزير الدولة : (يدخل مبتهجا فرحا)
ابشر مولاي لقد نجحت اقفال الرمز السحرية
اغلقت بأمرك أبوابا للدولة باتت محمية

الوالي : (يفرك يديه من السعادة) **حسنا .. ضاعفت سعادتنا** ..
وزير الدولة : (يشير الى الباب ويقول)
عبدك مسعود منتظر بالباب ليحظى بعطية

الوالي : (يقف ويفكر قليلا ثم يقول)
حسنا ... علقه بلا رأس بالسوق وتقلع عيناه

وزير الدولة : (يسأل في رعب وهو لا يصدق ما سمعته أذناه) **ولماذا** ؟
الوالي : (مبررا فعلته) ... **كي نحفظ دوما للأقفال السرية**

(يخرج الوزير ... وبعد لحظات تسمع صرخة مدوية دليل قتل مسعود)

يتبع

بأقلام القراء

صلاة الجمعة

ارسل الينا الاخ الاستاذ احمد حسين مرواد ــ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ــ الكويت ــ رسالة يبين فيها فضائل صلاة الجمعة من القرآن الكريم والسنة الشريفة .. ويهدى مقالته الى الاخوة القراء حتى لا يفرطوا ولا يتهاونوا في اداء صلاة الجمعة مهما كانت الظروف .. فالصلاة عماد الدين من تركها فقد ترك الدين .

ونمضي مع الاستاذ مرواد فيقول :

قال تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** » **الجمعة / ٩ .**

تبين لنا الآية الكريمة ان صلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم وهي واجبة على كل انسان بالغ عاقل يقوم بواجبه لله رب العالمين .

وقد وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث تحذرنا من ترك صلاة الجمعة . فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم .. « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليسع الى الجمعة ومن استغنى عنها بلهو او تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد » **رواه الطبراني .**

وروى عن جابر رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ــ « يأأيها الناس توبوا الى الله قبل ان تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة قبل ان تشغلوا ، وصلوا بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، وكثرة الصدقة في السر والعلانية **ترزقوا وتنصروا وتجبروا .** واعلموا ان الله افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا ، في يومي هذا ، في شهري هذا ، من عامي هذا الى يوم القيامة ، فمن تركها في حياتي أو بعدي وله امام عادل ، أو جائر ، استخفافا بها وجحودا بها فلا جمع الله شمله ، ولا بارك له في امره ، الآ ولا صلاة له ، الا ولا زكاة له ، الا ولا حج له ، الا ولا صوم له ، الا ولا بر له ــ حتى يتوب ــ فمن تاب تاب الله عليه . **رواه ابن ماجة .**

وعن فضل السعي الى صلاة الجمعة .. روى مسلم وابو داود والترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من توضأ فأحسن الوضوء ثم اتى الجمعة فاستمع وانصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام . ومن مس الحصى فقد لغي » اي وضع يده على الارض

متلاعبا اثناء الخطبة مشغولا عن سماعها ومعنى قوله لغى خاب من الاجر ، وقيل أخطا ، وقيل صارت جمعته ظهرا .

وروى مسلم وغيره عن ابي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال – « الصلوات الخمس ، والجمعة للجمعة ، ورمضان الى رمضان ، مكفرات ما بينهن اذا اجتنب الكبائر » .

وروى ابن حبان في صحيحه عن ابي سعيد رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خمس من عملهن في يوم كتبه الله من اهل الجنة : من عاد مريضا – وشهد جنازة – وصام يوما – وراح الى الجمعة – واعتق رقبة » .

ومن السنة الغسل يوم الجمعة روى ابن خزيمة في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا كان يوم الجمعة فا غتسل الرجل وغسل رأسه . ثم تطيب من اطيب طيبه . ولبس من صالح ثيابه – ثم خرج الى الصلاة ولم يفرق بين اثنين ثم استمع للامام غفر له من الجمعة الى الجمعة وزيادة ثلاثة ايام » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء يوم الجمعة فليغتسل ، وان كان عنده طيب فليمس منه ، وعليكم بالسواك » .

يوم الجمعة خير ايام الاسبوع .

فعن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه ادخل الجنة ، وفيه اخرج منها ، وفيه تقوم الساعة » .

رواه مسلم وابو داود والنسائي والترمذي .

ويفضل التبكير الى الجمعة .

فلقد وردت احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين فضل التبكير الى الجمعة وتنهي عن التأخير فعن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من اغتسل يوم الجمعة ، ثم راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة – ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن . ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة . ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة . فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » .

وروى الامام احمد والطبراني في التبكير عن ابي امامة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تقعد الملائكة على ابواب المساجد معهم الصحف يكتبون الناس ، فاذا خرج الامام طويت

الصحف » ـ قلت يا ابا امامة ليس لمن جاء بعد خروج الامام جمعة ؟ قال : بلى ولكن ليس ممن يكتب في الصحف .

ولما كانت صلاة الجمعة محفلا كبيرا من محافل الاسلام . فقد راعى الاسلام لها آدابا ونظاما بحيث لو تعداها المصلي يكون متجاوزا لتعاليم الاسلام . ومنها التحذير من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة .

« ولقد وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث صريحة في دلالتها تحذر من تخطي رقاب الناس يوم الجمعة . واعتبرت ذلك العمل ضربا من ضروب الاذي ـ والاسلام دين ينهي عن اذي العباد قل أو كثر . فهو دين اسمه السلام . وفي السلام سلام من كل الاذي .

وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال :

بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب اذ جاء رجل يتخطى رقاب الناس حتى جلس قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته **قال** : « ما منعك يافلان ان تجمع معنا ؟ قال يارسول الله قد حرصت ان اضع نفسى بالمكان الذي ترى ـ قال .. قد رأيتك تتخطى رقاب الناس وتؤذيهم . من آذي مسلما فقد آذاني ـ ومن آذاني فقد آذي الله عز وجل » . **رواه الطبراني في الصغير والاوسط .**

ومعنى : فقد آذي الله عز وجل : اي لم يعبأ **بشرعه تعالى ولم يتأدب في بيته سبحانه ولم يخشع لجلاله وهناك تحذير من الكـــلام وقت الخطبة ، بل يجب الانصات لسماع خطبة الجمعة .**

وبقدر ما رغب الاسلام في الانصات بقدر ما حذر من الكلام وجعل ذلك لغوا يحبط ثواب المصلي .

وفي يوم الجمعة يتلاقى المسلمون في بيوت الله ، فتتحقق اقوى الروابط الانسانية ، في ظل عبادة الله وحده ، وهذا هو طابع المناسبات الدينية عموما .

آيات جرت مجرى الامثال

ومن الاستاذ محمود زيدان السفاريني بالاردن جاءتنا هذه الفقرة الجميلة :

لكل نبأ مستقر . قل كل يعمل على شاكلته . ولا تنس نصيبك من الدنيا . كل نفس بما كسبت رهينة.ولا يحيق المكر السيء الا بأهله . كل نفس ذائقة الموت . كل من عليها فان . تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى . كل حزب بما لديهم فرحون . وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .

بريد الوعي الإسلامي

الصفا والمروة

السيد اسماعيل أحمد عبد الله من السودان يسأل عن سبب نزول الآية :

« إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » .

سبب نزول الآية ١٥٨ من سورة البقرة هو أنه كان على الصفا صنم يقال له (اساف) وعلى المروة صنم يقال له (نائلة) ، وكان المشركون اذا طافوا تمسحوا بهما فخشى المسلمون أن يتشبهوا بأهل الجاهلية . وتحرجوا من الطواف لهذا السبب فنزلت الآية المذكورة تدفع الحرج عنهم لأنهم انما يسعون لله لا للأصنام .

وأخرج البخاري والترمذي عن أنس رضى الله عنه أنه سئل عن الصفا والمروة فقال : « كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية فلما جاء الاسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله : (ان الصفا والمروة من شعائر الله .. »

طوفان نوح

السيد سالم أبو ريده من العراق أرسل لنا رسالة مطولة عن تاريخ نوح عليه السلام ولكنه توقف عند الطوفان ويسأل هل عم طوفان نوح الكرة الأرضية :

يميل بعض العلماء الى عموم طوفان نوح ويقول بعض علماء الجيولوجيا : اننا كلما بحثنا في أعالي الجبال وجدنا بقايا حيوانية من الأحياء التي لا تعيش الا في الماء ، وهذا يستدعي وجود طوفان على هذه الجبال ، بل عدد من الطوفانات لوجود الاختلاف في عمر هذه البقايا ، فلا مانع من أن يكون طوفان نوح أحدها ويكون قد عم ، قال تعالى **(وجعلنا ذريته هم الباقين)** ويميل فريق آخر الى أن الطوفان لم يكن عاما بل كان طغيان الماء على الجهة التي يسكنها نوح وقومه وأما بقية بقاع الأرض فلم يصلها هذا الطوفان .

والمسألة ليس فيها نص من القرآن بل كل ما فيه من هذه الناحية أن قوم نوح كفروا وعصوا الرسول فأغرقهم الله بالطوفان ونجى نوحا ومن معه في الفلك وجعل ذريته هم الباقين فالعموم محتمل والخصوص محتمل .

المهر

السيد عبد الكريم محمد السامري من دبي أرسل الينا يستفسر عن مقدار المهر المفروض في الشريعة الاسلامية .

المهر في الشريعة الاسلامية هبة وعطية وليس له قدر محدد اذ الناس يختلفون في الغنى والفقر ويتفاوتون في السعة والضيق فتركت الشريعة التحديد ليعطي كل واحد على قدر طاقته وحسب حالته وقد اتفق الفقهاء على أنه لاحد لأكثره لقوله تعالى (وآتيتم أحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) .

وأقله ثلاثة دراهم (ربع دينار) عند مالك .

وعند الشافعي وأحمد لا حد لأقله ويجوز بكل شيء له قيمة .

الله .. والاله

السيد عبد الفتاح العطار من القاهرة يسأل عن الفرق بين لفظ الله ولفظ الاله ·

الأول اسم علم للذات المقدسة لا يشاركه فيه غيره ومعناه المعبود بحق والثاني يطلق على الله تعالى وعلى غيره وهو مشتق من (الَّه) ومعناه المعبود سواء كان بحق أو غير حق فالأصنام التي كان يعبدها العرب تسمى (آلهة) جمع (اله) لأنها عبدت بباطل من دون الله ، وما كان أحد يسمي الصنم (الله) بل كان العربي في الجاهلية اذا سئل من خلقك ؟ أو من خلق السموات والأرض ؟ يقول : الله وفيهم يقول القرآن الكريم : **(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ..) .**

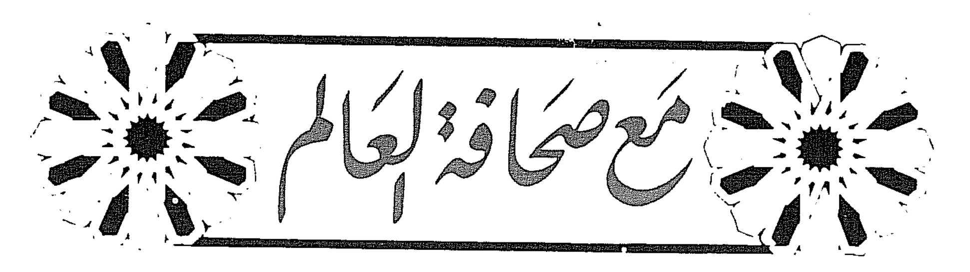
ابن باجه وابن البيطار

السيد حسن موسى من الكويت أرسل الينا يود معرفة شيء عن كل من ابن باجه وابن البيطار :

ابن باجه هو أبو بكر محمد ظهر في غرناطة وكان قد ولد في سرقسطة في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي وتوفي في فاس عام ١١٣٨م وقد اشتهر بالطب والرياضة ومن مؤلفاته كتاب تدبير المتوحد وفيه يتحدث عن الأفعال الانسانية وأنواعها ورسالة الوداع وفيها بعض مبادئه الفلسفية .

أما ابن البيطار فهو عبد الله بن أحمد بن البيطار ولد في ملقة بجنوب اسبانيا في أواخر القرن السادس الهجري وتوفي في دمشق عام ١٢٤٨م .

ويعتبر ابن البيطار من أعظم العلماء العرب في التاريخ الطبيعي عامة وعلم النبات خاصة الذين ظهروا في القرون الوسطى ومن مؤلفاته كتابا المغنى في الأغذية والأدوية والجامع في علاج الأعضاء .



نشرت مجلة الدعوة السعودية في عددها رقم ٧٧٨ كلمة بعنوان :

مصير الأمة الإسلامية .. وارتباطه بتطبيق الشريعة

الحقيقة التي لا يجوز الجدال فيها ان الحكم بشريعة الله فرض واجب على سائر من ينتمي الى الاسلام .. ولا يعتبر مسلما كل من يطبق غير شرع الله ، وكل من يرضى بهذا التطبيق .

وقد عاشت أمة الاسلام مرهوبة الجانب مرفوعة اللواء يوم حكمت نفسها وحكمت الدنيا بهذه الشريعة الغراء التي نزلت من لدن اللطيف الخبير الذي يعلم من خلق .

وحين تخلت معظم الشعوب الاسلامية عن تطبيق هذه الشريعة بضغوط الصليبيين واعوانهم فسدت مسيرتها وتعثرت خطواتها واصابها وبال كبير وشر مستطير لازال يحيط بها من كل جانب من جوانبها العامة .

بيد ان هناك الى جانب هذه الآثار السيئة العامة التي اصابت المسلمين من الحكم بالقوانين الوضعية ــ أثرين خطيرين يعملان عملهما المدمر في جسم الأمة الاسلامية :

اولهما : الانفصال العقلي بين عقيدتها الكامنة في اعماقها والمتجاوبة مع مشاعرها ، وبين الثقافات المفروضة عليها ، والتي تجدها اقل جدارة ، واسوأ في مطابقتها لبديهيات الحياة والحقائق .

انها لم تعد تتلقى هذه الثقافات من موقف القوة النافذة الواثقة ، بل تتلقاها من موقع الانهزامية الفكرية التي تحاول ان تكيف فكرها مع هذا الفكر الناقص المفروض عليها بالقوة الطاغية .

ومن هنا سادت عبودية الفكر وانساقت الجماهير شبه المثقفة كالمخبولة ، وراء شعارات من هنا وهناك ، دون ان تحاول مرة عرض الافكار على حقائق العقول وبداءة التفكير .. لقد اصبح الفكر الوافد في البلاد الاشتراكية والعلمانية فكرا يحميه القانون الوضعي .. وقد اصبح من التضحية الكبيرة

مقاومته ، ومحاولة احلال الفكــــر الاسلامي الأصيل مكانه .. ومن هنا أخذ الانشقاق الفكــــري طريقه ، وأخذت اللامبالاة طريقها .. وتاهت الحقائق في زحمة الصراع بين الحق المعروف ، والباطل المفروض .

اما ثاني الاثرين السيئين فهو : ما يسميه الفقهاء المسلمون (بنظرية البطلان في الشريعة الاسلامية) ، وأساس هذه النظرية ان الأوامر والنواهي التي جاءت في القرآن بصرف النظر عن انها تشكل اجزاء اساسية من القرآن والسنة ، فهي ايضا لم تجيء عبثا ، وهي جزء من دين المسلم من حقه ان يمارسه في بلده المسلم سياسة واقتصادا واجتماعا .. والا .. فما معنى قول الله تعالى : **(وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله)** « سورة النساء ٦٤ » وما معنى قوله ايضا : **(يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول)** « سورة النساء ٥٩ » وما معنى قوله ايضا : **(وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** « الحشر ٧ » .. وما معنى مئات الأحاديث والآيات القرآنية الأخرى التي تتحدث عن احكــام مجملة واخرى تفصيلية في الزكـــاة وفي الحدود وفي الاحوال الشخصية (قوانين الأسرة) وفي الحرب وفي السياسة وغيرها ؟.. ان هذه الآيات لم تأت الا لتطبق كالصلاة والصيام ، وهكـــذا كان يطبقها الصحابة رضوان الله عليهم والراشدون في كل دولة اسلامية .!

وبالتالي ، ففي يقين المسلم وفكره ـ ان هذه القوانين الوضعية قوانين باطلة ما انزل الله بها من سلطان ، ومن حقه الا يكيف حياته معها ، وان يتحايل عليها ، وان يقاومها سرا .. اذا استحال مقاومتها فكرا في ظل الحكومات العسكـرية والثورية المــــأجورة ضد الاسلام وقضية الانسان المسلم .

ويصوغ الشهيد عبد القادر عودة (نظرية البطلان) من ناحية أثرها القانوني على الأمة فيقول :

« واذا طبقنا نظرية البطلان على القوانين واللوائح والقرارات والأوامر ـ أمكننا ان نقول على وجه القطع ان التشريعات الوضعية على اختلاف اسمائها تكون باطلة بطلانا مطلقا كلما جاءت مخالفة لنصوص الشريعة الاسلامية ، او خارجة على مبادئها العامة ، او مباينة لروح التشريع الاسلامي ، واساس هذا البطلان كونها مخالفة للشريعة طبقا لرأي جمهور الفقهاء ، وأساسه ان القوانين واللوائح والأوامر مما يمس صالح الجماعة ونظامها العام ، او يمس حقوق الله وكل ما يتصل بصالح الجماعة ونظامها باطل اذا جاء مخالفا للشريعة الاسلامية » .

ويتعمق في الذهنية المسلمة هذا التناقض الفكري بين التشريع الذي

يؤمن به المسلم ، والقوانين التي تفرض عليه ، عندما نحس بمدى البؤس والحيرة اللذين يعانيهما المسلم ، وهو يعلم من دينه الذي يؤمن به حقائق أكيدة وثابتة .

١ ــ ان الله أمر باتباع الشريعة ونهى عن مخالفتها فلم يبح الاسلام لمسلم ان يتخذ من غير شريعة الله قانونا .
٢ ــ ان الله لم يجعل لمسلم ان يرضى بغير حكمه ، او يتحاكم الى غير ما أنزل الله ، بل لقد أمره الله ان يكفر بكل حكم غير حكمه .
٣ ــ ان الله لم يجعل لمسلم ولا لمسلمة الخيرة من أمرهم غير ما اختاره الله سبحانه .
٤ ــ ان الله حرم على المؤمنين ان يسبقوا رسوله بقول أو فعل أو أمر أو رأي ، بل حرم عليهم ان يرفعوا اصواتهم فوق صوت النبي .
٥ ــ ان الله أمر أن يكون الحكم طبقا لما انزله ، وجعل من لم يحكم بما أنزل الله كافرا وظالما وفاسقا في آيات صريحة .
٦ ــ كذلك حرم الله على المسلم ان يحاول التوفيق بين ما جاء من عند الله وما جاء من هوى البشر ، مذهباً او تشريعاً ، او تصورا ، بل كلمة الله هي العليا دائما ، واي تلفيق هو نفاق مرفوض .
٧ ــ وان الله قد نفى الايمان عن العباد واقسم بنفسه على ذلك ، حتى يحكموا الرسول فيما شجر بينهم من الدقيق والخطير والحقير وكل أمر .

واخيرا : فها هي تجربة الأمة الاسلامية مع القانون الوضعي قد امتدت قرنا كاملا ، ولم تصب الأمة من هذا القانون الجاهلي الا الفساد والتخلف والتمزق .. ولقد آن ان تعود الأمة المسلمة الى دينها القويم ..

(فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) « الروم ٣٠ » .. وان ذلك اليوم لقادم باذن الله .

نشرت جريدة الاهرام بعددها رقم ٤٤٣٦ كلمة للاستاذ احمد بهجت

تحت عنوان

نعمة الله

يامر الله عباده ان يحمدوه .. ويحدثهم انه يزيد في نعيم من يشكر « لئن شكرتم لأزيدنكم » .. وهذا من رحمة الله بعباده .

وشكر الله تعالى يكاد يكون هو العمل الوحيد الذي لا ينتهى ، لان نعم الله عز وجل على عباده بلا نهاية ولا حصر ولا يمكن احصاؤها

« وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .

ونعمة الله تبدأ بنعمة الحياة .. وكلمة الحياة تعنى تسخير الشمس بطاقتها والقمر والسحاب والهواء والارض والجبال والبحار والبحيرات والانهار وانواع الاشجار والنباتات والفواكه والطيور ولقد حسب احد العلماء الغربيين ثمن الطاقة الشمسية التى تصلنا من الله بلا ثمن ، حسب ثمنها بالنسبة للفرد في الساعة واقام حسابه على فرضية ان الطاقة الشمسية ليست مجانا انما هي سلعة لها ثمن .

ولقد وجد هذا العالم ان على الانسان ان يدفع كل ساعة ٢٦ الف جنيه ثمنا لما يستخدمه من طاقة الشمس .. والحساب نسبي لانه اعد طبقا لاسعار عشر سنوات مضت .

اي ان كل انسان مدين لله تعالى في كل ساعة بستة وعشرين الف جنيه ثمن ما يصله من الطاقة الشمسية .. اي ٦٢٤ الف جنيه كل يوم ، لم يحسب العالم ثمن الهواء لو كان له ثمن ، لم يحسب ثمن الماء ، لم يحسب ثمن حركة السحاب ، لم يحسب ثمن كل متر يسقط من المطر ، لم يحسب .. لم يحسب .

« وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » والاحصاء هنا عام شامل ، يتصل بعدد انواع النعم ويتصل بقيمتها ويتصل بقدرها واثارها ونتائجها .

ولو تاملنا خلية نباتية بسيطة وراينا كيف تعمل وقدرنا ثمنا لها فسوف نكتشف انها اغلى من قدرة الذهن على الحساب او التصور .. وكذلك كل نعم الله تعالى ، وكل انسان مدين لله تعالى بعدة ملايين من الجنيهات كل يوم ثمنا لتسخير الكون له لو ترجم تسخير الكون الى قيمة مادية .

رغم ذلك ، تسدد هذه الملايين كلها لو قال الانسان عبارة واحدة ـ الحمد لله .

ولذلك يقول المسلم في صلاته اليومية الحمد لله سبع عشرة مرة اثناء الصلوات الخمس ، واذا كان مقتضى العدل ان يسدد الانسان دينه لله بهذا الحمد ، فان مقتضى العدل الا يكافأ الانسان بعد ذلك .. ولكن رحمة الله تعالى سبقت عدله .. انه يزيد الشاكرين ويجزيهم الجنة .

العالم الاسلامي

تعتزم « الوعي الاسلامي » بمشيئة الله تعالى ، ابتداء من العدد القادم التعريف بعالمنا الاسلامي كل قطر في عدد .. دراسة موجزة .. وتعريفا مجملا .. مع خريطة تحدد موقع كل قطر في دنيا الواقع .. وذلك بمناسبة القرن الهجري الخامس عشر .

وفي هذا العدد نبدأ بنشر خريطة كاملة واحصائية شاملة للعالم الاسلامي .

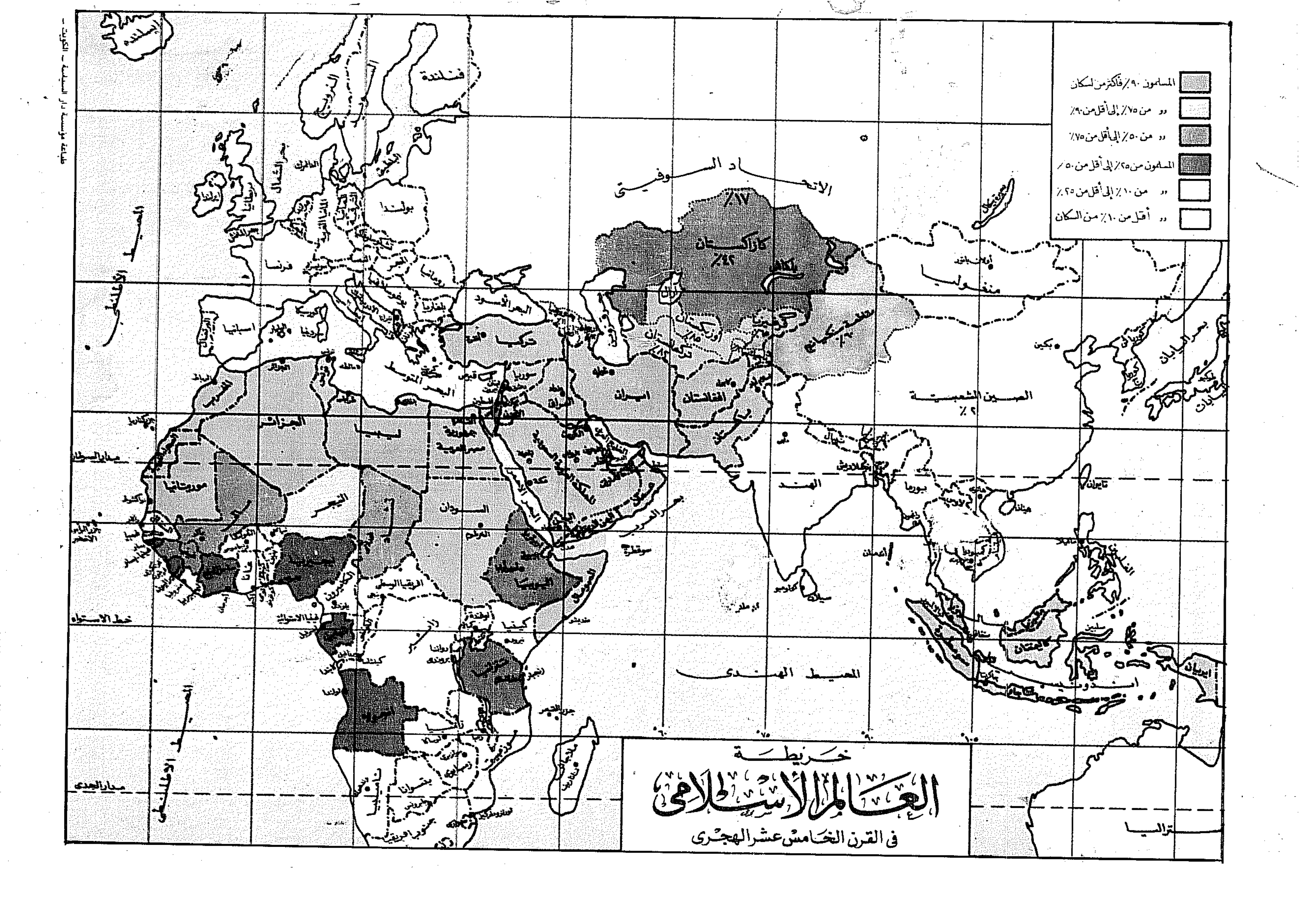
الدول الاسلامية المستقلة

البلد	العاصمة	المساحة	عدد السكان	عدد المسلمين	نسبتهم
السعودية	الرياض	٢,١٥٨,٠٠٠	٨,١٧٥,٠٠٠	٨,١٧٥,٠٠٠	١٠٠
الكويت	الكويت	١٧,٨٠٠	٩١٧,٠٠٠	٩١٧,٠٠٠	١٠٠
الامارات المتحدة	ابو ظبي	٥٨,٨٠٠	٣٢٠,٠٠٠	٣٢٠,٠٠٠	١٠٠
عمان	مسقط	٢١٣,٢٠٠	٧٥٠,٠٠٠	٧٥٠,٠٠٠	١٠٠
ليبيا	طرابلس	١,٧٥٩,٥٠٠	٢,١٧٨,٠٠٠	٢,١٧٨,٠٠٠	١٠٠
موريتانيا	نواكشوط	١,٠٣٠,٠٠٠	١,٢٢٧,٠٠٠	١,٢٢٧.٠٠٠	١٠٠
قطر	الدوحة	١٠,٤٠٠	١٧٠,٠٠٠	١٧٠,٠٠٠	١٠٠
الصومال	مقاديشو	٧٠٢,٠٠٠	٣,٩٥٠,٠٠٠	٣,٩٥٠,٠٠٠	١٠٠
جزر مالديف	مالا « مالي »	,٢٣٥	١٢٥,٠٠٠	١٢٥,٠٠٠	١٠٠
المغرب	الرباط	٤٤٦,٥٥٠	١٦,٩٩٥,٠٠٠	١٦,٨٢٦,٠٠٠	٩٩
اليمن الشمالي	صنعاء	١٩٥,٠٠٠	٦,٠٧٠,٠٠٠	٦,٠٠٠,٠٠٠	٩٩
تركيا	انقرة	٧٨٠,٥٨٠	٣٨,٠٠٠,٠٠٠	٣٧,٦٢٠,٠٠٠	٩٩
البحرين	المنامة	١,١١٨	٢٢٢,٠٠٠	٢٢٠,٠٠٠	٩٩
افغانستان	كابول	٦٥٢,٠١٥	١٧,٩٠٠,٠٠٠	١٧,٧٢١,٠٠٠	٩٩
الجزائر	الجزائر	١,٥٠٠,٢١٢	١٥,٧٠٠,٠٠٠	١٥,٣٨٦,٠٠٠	٩٨
ايران	طهران	١,٦٤٨,٠٠٠	٣٢,٢١٥,٠٠٠	٣١,٥٧١,٠٠٠	٩٨
باكستان	اسلام اباد	١,٠٤١,٧٣٥	٦٤,٨٩٢,٠٠٠	٦٢,٩٤٥,٠٠٠	٩٧
العراق	بغداد	٤٣٨,٤٤٦	١٠,١٦٤,٠٠٠	٩,٦٥٧.٠٠٠	٩٥
اليمن الجنوبي	« عدن »	٢٩١,٢٠٠	١,٥١٦,٠٠٠	١,٤٤٠,٠٠٠	٩٥

غينيا	كوناكري	٢٤٥,٨٥٧	٤,٠٤٧,٠٠٠	٤,٢٥٩,٠٠٠	٩٥
السنغال	داكار	١٩٦,١٩٢	٤,٠٢٠,٠٠٠	٣,٨١٩,٠٠٠	٩٥
اندونيسيا	جاكرتا	١,٤٩١,٥٦٤	١٣١,٧١٣,٠٠٠	١٢٥,١٢٧,٠٠٠	٩٥
تونس	تونس	١٦٥,١٥٠	٥,٥٢١,٠٠٠	٥,٢٤٥,٠٠٠	٩٥
الاردن	عمان	٩٤,٥٠٠	٢,٥٥٦,٠٠٠	٢,٤٢٩,٠٠٠	٩٥
جزر القمر	موروني	٢,٢١٦	٢٩٠,٠٠٠	٢٨٦,٠٠٠	٩٥
الصحراء المغربية	العيون	٢٧٤,٠٥٥	٧٦,٤٢٥	٧٣,٠٠٠	٩٥
مصر	القاهرة	١,٠٠٥,٣٢١	٣٥,٩٠٠,٠٠٠	٣٣,٣٨٧,٠٠٠	٩٣
النيجر	نيامي	١,٢٧١,٨٩٦	٤,٣٥٥,٠٠٠	٣,٩٦٣,٠٠٠	٩١
مالي	باماكو	١,٢٣٩,٩٨٨	٥,٣٩٢.٠٠٠	٤,٨٥٣,٠٠٠	٩٠
سوريا	دمشق	١٨٦,٨٠٨	٦,٨٩٠,٠٠٠	٥,٩٩٤,٠٠٠	٨٧
بنغلادش	دكا	١٤٣,٣٢٨	٧٥,٠٠٠,٠٠٠	٦٣,٧٥٠,٠٠٠	٨٥
غامبيا	بادرست	١٠,٢٤٦	٣٨٤,٠٠٠	٣٢٧,٠٠٠	٨٥
تشاد	فورت ـ لامي	١,٢٨٩,٠٨٠	٣,٩٩٩,٠٠٠	٣,٤٠٠,٠٠٠	٨٥
السودان	الخرطوم	٢,٥١٥,٥٠٠	١٦,٩١١,٠٠٠	١٤,٣٧٥,٠٠٠	٨٥
نيجيريا	لاجوس	٩٢٧,٣٣٩	٧٩,٧٥٩,٠٠٠	٥٩,٨٢٠,٠٠٠	٧٥
البانيا	تيران	٢٨,٨٦٠	٢,٣٥٠,٠٠٠	١,٧٦٣,٠٠٠	٧٥
غينيا ـ بيساو	دوبوي	٣٦,١٢٥	٨١٠,٠٠٠	٥٦٧,٠٠٠	٧٠
تنزانيا	دار السلام	٩٤٣,٣٣٢	١٤,٣٨٠,٠٠٠	٩,٣٤٧,٠٠٠	٦٥
اثيوبيا	اديس ابابا	١.٢٢١,٩٠٠	٢٦,٥٩٨,٠٠٠	١٧,٢٨٩,٠٠٠	٦٥
سيراليون	فري تاون	٧٢,٦٠٥	٢,٧٦٩,٠٠٠	١,٨٠٠,٠٠٠	٦٥
داهومي	بورت ـ نوفو	١١٥,١٥٤	٢,٩٠٩,٠٠٠	١,٧٤٦,٠٠٠	٦٠
لبنان	بيروت	١٠,٤٠٠	٣,٠٢١,٠٠٠	١,٧٢٣,٠٠	٥٧
فولتا العليا	اوجادوغو	٢٧٥,٢٥٩	٥,٥١٤,٠٠٠	٣,٨٧٩,٠٠٠	٥٦
افريقيا الوسطى	بنجاوي	٦١٨,٤٢٠	١,٦٤٠,٠٠٠	٩٠٢,٠٠٠	٥٥
ساحل العاج	عبيدجان	٣٢٢,٥٠٠	٤,٥١٥,٠٠٠	٢,٤٨٤,٠٠٠	٥٥
الكاميرون	ياوند	٤٧٧,٢٧٧	٦,١١٧,٠٠٠	٣,٣٦٥,٠٠٠	٥٥
توغو	لوم	٥٦,٦٠٠	٢,١٢٠,٠٠٠	١,١٦٦,٠٠٠	٥٥
ماليزيا	كوالالامبور	٢٨٦,٠٠٠	١١,٣٩٣,٠٠٠	٥,٩٢٥,٠٠٠	٥٢

تعداد مسلمي العالم

عدد المسلمين في الدول الاسلامية المستقلة	٥٩٩,٦٦٢,٠٠٠
دول/ مناطق اسلامية تحت حكم غير ا سلامي	٧٧,٨٧٥,٠٠٠
المسلمون في دول غير اسلامية	٢٢٩,٦٦٠,٠٠٠
★ مجموع مسلمي العالم	٩٠٧,١٩٧,٠٠٠



طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ